

من نحن؟

نحو استكشاف عظمتنا ككائنات بشرية

الجزء الأول

من الصورة الصُغرى إلى الصورة الكُبرى

ترجمة وإعداد

علاء الحلبي

الفهرس

القسم الثالث

ما هو الكائن البشري؟

هناك حكمة قديمة تقول بأن ".. الدراسة الصحيحة للإنسان تتمثّل بالإنسان ذاته..". إن معضلة "الإنسان" أزلية، وبنفس الوقت تعتبر أكثر المسائل إلحاحاً. إنها تكمن في قلب الأسئلة الفلسفية المتعلقة بمكانة "الإنسان" وكذلك مصيره في عالم اكتُشف وتحوّل أصلاً باسم الإنسانية التي تُعتبر الأكثر أهمية. إن الهدف الرئيسي للتطوّر الاجتماعي هو تشكيل قدرات إنسانية وخلق أفضل الظروف المناسبة للتعبير عن الذات الإنسانية.

قد يكون الفيزيائيون صادقين تماماً عندما يشددوا على صعوبات البحث في الذرات الأولية للمادة. لكن وجب أن لا يمتعضوا إن قيل لهم بأن هذه الأبحاث تُعتبر ألعاب أطفال بالمقارنة مع محاولات العلم لفهم واستيعاب الألعاب التي يلعبها الأطفال! إن قوانين أي لعبة هي مجرّد مسارات مرسومة اصطلاحياً، حيث يركض الأطفال عبر هذه المسارات على هواهم، منتهكين حدودها كلما ناسبهم ذلك، هذا لأنهم يمتلكون حرية الاختيار وبالتالي لا يمكن توقّع اختيارهم التالي. ليس هناك شيء في العالم أكثر تعقيداً أو إرباكاً من الكائن البشري.

الكثير من العلوم تتناول دراسة الإنسان، لكن كل منها تقوم بذلك من زاويتها الخاصة. الفلسفة، التي تدرس الإنسان ككل، تعتمد في استنتاجاتها على إنجازات العلوم الأخرى وتنشد المعرفة الجوهرية التي توحّد الجنس البشري.

المذهب المثالي Idealism يختصر جوهر الإنسان في مبادئ روحية. يقول "هيغل" Hegel، الفرد لا يحقق أهدافاً شخصية، بل أهداف مجرّدة وغير ذاتية.. إنه جزء من وحدة قائمة ليس فقط على مستوى العرق البشري بل الكون بكامله، لأن جوهر كل من الكون والإنسان هو الروح.

يتضمن جوهر الإنسان دائرة روحية، دائرة العقل، ومنظومته الجسدية، لكنه لا يتوقف عن هذه الحدود. فالإنسان يصبح واعياً لنفسه كجزء من كلّ اجتماعي. ليس من العدم جاءت مقولة أن الإنسان حيّ طالما استمرّ في العيش من أجل الآخرين. الكائنات البشرية تتصرّف بنماذج مُصممة من قبل سياق التطورات الحاصلة عبر التاريخ الذي السبق وجوده. إن أشكال النشاطات الإنسانية متجسّدة بشكل موضوعي في كافة الثقافات المادية، في إنجازات العمل، في اللغة، المفاهيم، في منظومة المعايير الاجتماعية. الإنسان هو كائن عضوي/اجتماعي ويمثّل أعلى مستوى من تطوّر كافة الكائنات الحيّة على وجه الأرض، مذعن للعمل، النماذج الاجتماعية للحياة، الاتصال والتواصل والوعي.

إذا نظرنا للوجود الإنساني على المستوى العضوي، سوف نجد عملية تسيير القوانين المستندة على آلية الضبط الذاتي يتمتع به الكائن العضوي كنظام متكامل مستقرّ. وخلال ارتقائنا إلى مستوى أعلى، نلتقي بعالم العقل، عالم الشخصية. في المستوى العضوي، يشكّل الكائن البشري جزءاً من تواصل طبيعي لسلسلة ظواهر ويطيع متطلباتها، بينما على مستوى الشخصية يكون ميله اجتماعي. من العالم العضوي وعبر العالم النفسي ندخل إلى دائرة التاريخ الاجتماعي.

في الفلسفات القديمة، كان يُعتقد بأن الإنسان يمثّل عالماً صغيراً بالنسبة للتركيبة العامة للكون. أي كانعكاس ورمز للكون الذي اعتُبر بأنه كائن روحي حيّ. كان يُعتقد بأن الإنسان يمتلك في جوهره كافة العناصر الأساسية التي قام عليها الكون. في النظرية المتعلقة بتناسخ الأرواح والتي تطوّرت على يد الفلاسفة الهنود، تُعتبر الحدود الفاصلة بين الكائنات الحيّة (النباتات، الحيوانات، الإنسان، الآلهة) متحرّكة ومتقلّبة على الدوام. يحاول الإنسان تحرير نفسه من قيود الوجود الاختباري المحكوم بقانون الكارما.. أو ما يمكننا تسميته "القدر". حسب فلسفة "الفنداتا"، فإن المبدأ المحدد للكائن البشري هو الـــ"أتمان" (النفس، الروح، الذات)، والتي يمكن تشبيهها جوهرياً بميدأ الروح الكونية.. "البرهمان". الإغريق القدامى، أرسطو مثلاً، فهموا الإنسان على أنه كائن اجتماعي موهوب بـــ"روح متفكّرة".

في المسيحية يعرّف الإنجيل الإنسان بأنه خُلق "بصورة الله"، منفصل عنه باطنياً نتيجة السقوط الكبير (الطرد من الجنّة)، وهذا متصل بنظرية وحدة المقدّس والطبائع الإنسانية في شخصية المسيح وبالتالي إمكانية الإحراز الداخلي للنعمة المقدّسة في كل فرد.

كان عصر النهضة مُلهماً بالكامل بفكرة الاستقلالية الإنسانية، وكذلك القدرات الإبداعية غير المحدودة للإنسان. عمل "ديكارت" على مبدأ ".. أنا أفكّر إذاً أنا موجود.."، وكان المنطق يُعتبر مظهراً خاصاً للإنسان. تم فهم الروح والجسد بشكل ثنائي منفصل. اعتبر الجسد مجرّد آلة، مشابهة لتلك العائدة للحيوان، بينما الروح تماثلت مع الوعي.

انطلاقاً من هذا الفهم ألازدواجي للإنسان ككائن ينتمي لعالمين مختلفين، عالم الضرورة الطبيعية وعالم الحرية المعنوية، قام "كنت" Kant بتقسيم علم الأنثروبولوجية إلى مظهر فيزيولوجي ومظهر برغماتي. بحيث وجب على الأوّل أن يدرس ما تصنعه الطبيعة في الإنسان، بينما الثاني يهتم بما يفعله الإنسان أو يجعل من نفسه بصفته كائن حرّ التصرّف والسلوك. هنا نجد عودة إلى المفهوم الذي ميّز عصر النهضة والقائل بأن الإنسان يمثّل وحدة حيّة متكاملة. بخلاف تلك التابعة للحيوانات، التنظيم الجسدي للإنسان وكذلك أعضائه الحسيّة هي أقلّ تخصصاً، واعتبرت هذه ميزة إيجابية لمصلحته. وجب عليه أن يبني نفسه، من خلال خلق حضارة. وهكذا نصل إلى فكرة الطبيعة التاريخية للوجود الإنساني.

بالنسبة للفلسفة الكلاسيكية الألمانية، العامل الحاسم هو فكرة أن الإنسان يمثّل مخلوق نشط روحياً يخلق عالم من الحضارة كأداة للمنطق. خلال انتقاده لهذه الأفكار، حقق "فويرباخ" Feuerbach إعادة توجّه أنثروبولوجي في الفلسفة جاعلها تتمحور حول الإنسان، الذي اعتبر بشكل رئيسي أنه كائن جسدي/روحي، تداخل حيوي بين "أنا" و"أنت".

وفقاً لـــ"نيتشه" Nietzsche، يُحدّد الإنسان بفعل القوى الحيوية والتجاذبات وليس بفعل المنطق. يعطي "كيركغارد" Kierkegaard أولوية لفعل الإرادة، بحيث عبرها يختار الفرد فيخلق نفسه، ويتوقف عن كونه مجرّد طفل للطبيعة ليصبح شخصية واعية، أي كائن روحي، كائن يقرّر نفسه. في مذهبي "الشخصانية" personalism و"الوجودية" existentialism تُعتبر مسألة "الشخصية" محورية. فالكائن البشري لا يمكن اختصاره إلى أي ذاتية منفردة (بيولوجية، نفسية، اجتماعية أو روحية). "الشخصانية" و"الوجودية" تخالفان مفهوم "الفردية" (كونه جزء من كلّ اجتماعي أو طبيعي)، فتعتبران "الشخصية" بأنها آلية تقرير مصير روحي فريد، كما "الوجود" ذاته.

نقطة انطلاق الفهم الماركسي للإنسان تمثلت في أن الكائن البشري هو منتوج وكذلك موضوع فعالية العمل. يقول ماركس: ".. جوهر الإنسان ليس تجريداً كامناً في كل فرد على حداه.. هذا الجوهر في حقيقته يمثّل أداء موحّد للإصلاح الاجتماعي.."

المادية الدايلكتية (أ.سبيركن)
الفصل الخامس: حول الكائن البشري والكينونة البشرية
Dialectical Materialism (A. Spirkin)
Chapter 5. On the Human Being and Being Human

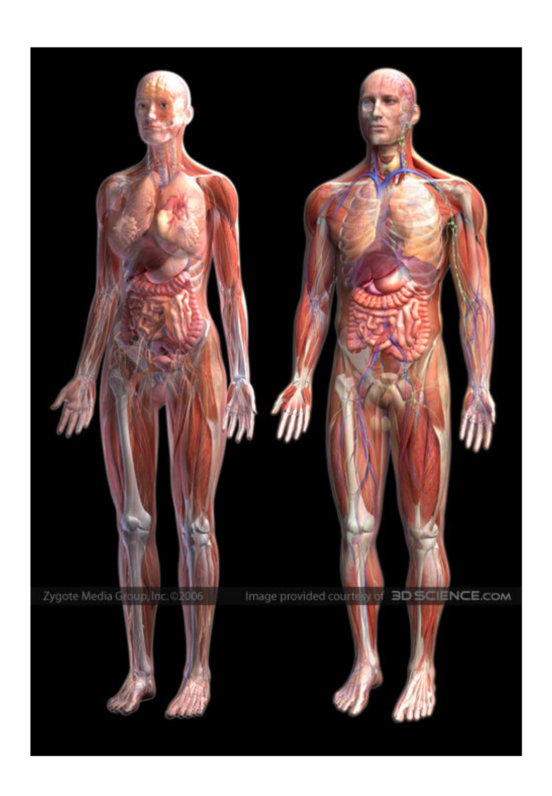
لقد اعتقد الماديون الدنيويون بأن الكائنات البشرية تستطيع تشييد معرفة مقنعة وفعّالة تتناول روح الإنسان انطلاقاً من الأدنى نحو الأعلى إذا صحّ التعبير. لقد مثّل كل من "ماركس" و"فرويد" أمثلة بارزة لهذه العقلية التي برزت في القرن العشرين. لا زال فشل "الماركسية" Marxism (الذي لا يعني بالضرورة نجاح النموذج الغربي للرأسمالية) يشكل مسألة جدلية. وكذلك فشل "الفرويدية" Freudianism، رغم بقاءه مستتراً، هو جدير بالملاحظة. هذه الأنظمة الفكرية لم تكن مجرّدة من عناصر التبصّر القوية مع بعض من الحقيقة، ولا كانت اكتشافاتها

أو تعليقاتها خارجة عن السياق. لكن يعود فشلها إلى أنها لم تقدّم نموذجاً مقنعاً للغاية الأسمى من حياة الإنسان. إن ما نشهده في هذه الألفية الجديدة هو الانهيار الثقافي للحركة العصرانية modernism بعد كل تلك الوعود الواثقة بإقامة فردوس على الأرض، والعودة السريعة وغير العقلانية للأصوليات الدينية المتطرّفة لملئ الفراغ بكل ما لديها من أفكار لاهوتية خاصة متعلقة بالإنسان وامتداده الماورائي. وهذا الالتفاف اللّحظي للوراء، أو لليمين، يدعو للعجب فعلاً ويجعلنا نتساءل بإلحاح: أين يكمن الخطأ؟

رغم كل ما مثّلته تلك الفلسفات العصرية من عقلانية وتبصّر وأهداف مثالية، إلا أنها بكل بساطة فشلت في تعريف الإنسان بشكله الصحيح. ذلك من خلال انصباب جلّ اهتمامها على تناول مستواه الدنيوي مع تجاهل كامل للمستويات الأخرى التي تدخل في جوهر تكوينه. يعود سبب هذه الطريقة الانبساطية للنظر إلى الإنسان من مظهره الخارجي إلى قرون طويلة من سوء التعليم والتنشئة التي اتبعتها المسارات الدينية والفلسفية السائدة في حينها، إلى أن تطوّرت على أنقاضها في القرون الثلاثة الماضية العلوم الأوروبية الحديثة التي انغمست بالكامل في البحث بالمستوى المادي/الدنيوي للطبيعة بما تشمله من جماد ونبات وحيوان وإنسان، متجاهلة المستويات الأخرى التي هي عديدة وأكثر روعة وعظمة.

قبل الدخول إلى موضوعنا الرئيسي، أعتقد بأنه من اللائق ذكر بعض المقتطفات من التعريف العلمي للإنسان، أي الطريقة التي ينظر بها العلم المنهجي إلى الكائن البشري. هذه النظرة الضيّقة التي تم تعميمها على مستوى العالم، وتنشأ الأجيال اليافعة على تصديقها واعتبارها وصفاً للواقع بعينه دون النظر في أي واقع بديل، هي النظرة ذاتها التي اعتمد عليها الفلاسفة العصريين خلال تأملاتهم الطويلة ليخرجوا لنا بفلسفاتهم التي مهما ذهبت بعيداً تبقى ملتزمة بالتعريف العلمي المحدود للإنسان.

التعريف العلمي للإنسان



الكائنات البشرية Humans هي "رئيسيات تمشي على قدمين" bipedal primates تنتمي إلى نوع "الإنسان العاقل" Homo sapiens ضمن فصيلة "الأناسيّات" Hominidae، "عائلة القرد الأعلى" great ape family. ويعتبرون من الأعضاء الوحيدة الباقية من "جنس الإنسان" genus Homo. إن للكائنات البشرية دماغ متطور إلى حد كبير، قادراً على التفكير والاستنتاج والاستبطان وحلّ المسائل. هذه القدرة العقلية، متحدة مع جسم منتصب بحيث يحرّر اليدين للتحكّم بالأشياء، سمح للإنسان أن يذهب بعيداً في استخدام الأدوات أكثر من أي فصيلة أخرى. تشير المستحثات وكذلك "الحمض النووي المتقدّري"Mitochondrial DNA إلى أن البشر العصريين انحدروا في الأصل

من أفريقيا قبل حوالي ٢٠٠,٠٠٠ سنة. والبشر الآن منتشرون في كل القارات، وعددهم أصبح اليوم حوالي ٦,٨ مليار نسمة (إحصاء العام ٢٠٠٩م).

كما باقي "الرئيسيات العليا" higher primates، فإن الإنسان اجتماعي بطبيعته. ومن ناحية ثانية، فالكائن البشري ماهر في استخدام أنظمة اتصال وتواصل للتعبير عن نفسه وتبادل الأفكار وكذلك التنظيم. خلقت الكائنات البشرية هياكل اجتماعية معقّدة مؤلفة من العديد من المجموعات المتنافسة والمتعاونة، انطلاقاً من مستوى عائلات صغيرة وصولاً إلى أمم وأوطان. لقد ساهمت التفاعلات الاجتماعية بين البشر إلى إنشاء طيف واسع ومتنوّع من القيم والنماذج الاجتماعية والطقوس، والتي ساهمت بدورها في تشكيل أساس المجتمعات البشرية. إن للبشر تقدير كبير للجمال وعلم الجماليات، وهذا، ممزوجاً مع الرغبة الإنسانية للتعبير عن الذات، أدى إلى ابتكارات وإبداعات ثقافية مثل الفن الأدب والموسيقى.

تتميّز الكائنات البشرية في رغبتها لفهم بيئتها المحيطة والتأثير عليها، وتنشد تفسير الظواهر الطبيعية والتحكّم بها عبر العلم والفلسفة وكذلك الميثولوجيا والدين. هذه النزعة الطبيعية في حب الاستطلاع والفضول أدى إلى تطوير أدوات وحِرف متقدمة والتي تم توارثها ثقافياً عبر الأجيال. الكائنات البشرية هي الفصيلة الوحيدة التي تستطيع صناعة النار، طهي الطعام، وارتداء الملابس، وبالإضافة إلى استخدام تكنولوجيات عديدة أخرى.

التطوّر

الدراسة العلمية لمسيرة التطوّر البشري تتمحور حول عملية تطوّر "جنس الإنسان" genus Homo لكنها عادةً ما تشمل أيضاً دراسة "أشباه القرود" hominids وكذلك "أشباه البشر" hominines، مثل كائن "الأستروبيثاكوس" *Australopithecus*. أما البشر العصريين فيُوصفون بأنهم من فصيلة "الإنسان

العاقل" Homo sapiens. أقرب الأقارب الأحياء للكائن البشري هم "الغوريلا" و"الشمبانزي"، لكن الإنسان لم يتطوّر من هذه القرود بل يتقاسم معها بسلف واحد، جدّ مشترك. ربما يمثّل الأقارب الأقرب للإنسان نوعين من الشيمبانزي: الشيمبانزي العادي chimpanzee والبونوبو Bonobo.

الناحية البيولوجية

تشريح

تختلف أنواع الأجساد البشرية بشكل كبير. بالرغم من أن حجم الجسم يتحدّد بفعل الجينات في المقام الأول، لكنه أيضاً يتأثّر بشكل كبير بعوامل بيئية مثل المنظومة الغذائية والتمارين الرياضية. يُقدر متوسط طول الإنسان البالغ بحوالي ١,٥ إلى ١,٨م، رغم أن الأطوال تتفاوت بشكل كبير بين منطقة وأخرى. يُقدر متوسّط وزن الإنسان الذكر البالغ بحوالي ٧٦ إلى ٨٣ كيلوغرام، ومتوسّط وزن الأنثى البالغة بحوالي ٥٤ إلى ٦٤ كيلوغرام. يمكن للوزن أيضاً أن يتفاوت بشكل كبير (مثل حالة السمنة) بين منطقة وأخرى في العالم. بخلاف معظم الرئيسيات الأخرى، يستطيع الإنسان أن يتحرّك بشكل كامل على ساقين بحيث يبقي ذراعيه متحرران لاستخدام الأشياء والتحكم بها حسب الرغبة بواسطة يديه، والتي بدورها تستفيد من الوضعية المميزة لأصبع الإبهام.

بالرغم من أن الكائنات البشرية تبدو جرداء بالمقارنة مع الرئيسيات الأخرى ذات الشعر الكثيف الذي يكسو جسدها، مع استثناء الكثافة المتمركزة بشكل رئيسي عند منطقة الرأس والإبط والعانة، لكن الإنسان العادي يملك تجاويف شعرية hair follicles على جسده أكثر مما يملكه الشيمبانزي مثلاً، رغم صعوبة ملاحظتها بسهولة.

يُحدد لون البشرة وكذلك الشعر بالاعتماد على نسبة وجود صباغ تُسمى "ميلانين" melanin. يمكن للون البشرة أن يتدرّج من بنّي قاتم إلى زهري باهت. وكذلك

شعر الإنسان يتدرّج من أبيض إلى بنّي إلى أحمر ثم إلى اللون الأكثر شيوعاً وهو الأسود. هذا يعتمد على كمية الميلانين في البشرة والشعر. وفيما يخصّ الشعر، فكمية الميلانين تتناقص مع تقدم العمر مما يؤدّي مع مرور الوقت إلى تحوّل لون الشعر إلى رمادي أو حتى إلى أبيض.

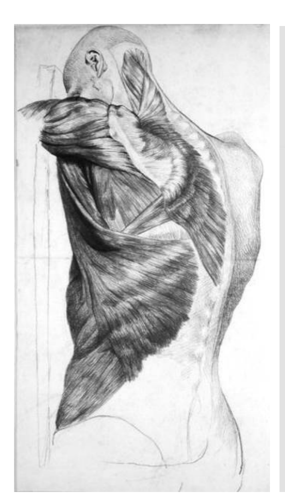
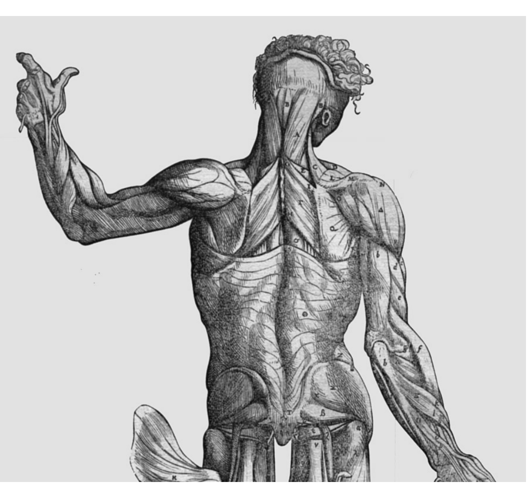
إن للإنسان حنك قصير نسبياً بالمقارنة مع الرئيسيات الأخرى، وكذلك الحال مع الأسنان. ويُعتبر الوحيد بين كافة الرئيسيات الذي يحوز على أسنان نابية قصيرة. يتميّز الإنسان بأسنان مكتظة، حيث الفجوات الناتجة من فقدان أحد الأسنان يتم ملئها مباشرة عند الصغار.

مكونات جسم الإنسان (شخص يبلغ وزنه ٦٠ كغ)		
التكوين	***الوزن***	***نسبة الذرات***
أكسيجين	38.8 kg	25.5%
كربون	10.9 kg	9.5%
هيدروجين	6.0 kg	63.0%
نيتروجين	1.9 kg	1.4%
مواد أخرى	2.4 kg	0.6%

فيزيولوجيا

الفيزيولوجيا البشرية هي علم وظائف الأعضاء إن كان من الناحية الميكانيكية أو الجسدية، وكذلك الوظائف البايوكيماوية، ويتناول أيضاً الخلايا. المستوى الأساسي الذي يركّز عليه هذا العلم هو مستوى الأعضاء والأنظمة. معظم مظاهر الفيزيولوجيا البشرية هي قريبة الشبه لتلك الموجودة في الفيزيولوجيا الحيوانية، وقد قدمت التجارب الجارية على الحيوانات الكثير من المعلومات الثمينة للمخزون المعرفي للفيزيولوجيا البشرية. إن بين علمي "التشريح" و"الفيزيولوجيا" صلة وثيقة في مجال البحث والدراسة. فعلم التشريح يدرس "الشكل" بينما علم الفيزيولوجيا

يدرس "الوظائف"، وبالتالي فهما وثيقي الصلة لدرجة أنهما يشكلان مجال واحد في علم الطب.

دورة الحياة

إن دورة الحياة البشرية مشابهة لتلك العائدة للثديات المشيمية. تنقسم اللاقحة داخل رحم الأنثى لتتحوّل إلى مضغة، والتي بدورها تتحوّل عبر فترة ٣٨ أسبوع (٩ أشهر) من الحمل إلى جنين بشري. بعد هذه الفترة يتم ولادة الجنين الكامل النمو من جسم المرأة ليتنشّق الهواء لأوّل مرّة كطفل مستقلّ.

هناك تفاوت كبير في متوسط العمر المتوقع حول العالم. فالعالم المتقدّم يحتل المرتبة الأولى في زيادة معدّل العمر حيث يبلغ متوسّط العمر ٤٠ سنة (الأعلى في موناكو ٤٥,١ سنة). أما في دول العالم الثالث، فيبلغ معدّل العمر بين ١٥ و٢٠ سنة. أما عدد المئويين (يتجاوز عمرهم ١٠٠ سنة) في العالم، فقد تم تقديره من قبل الأمم المتحدة بـــ٢١٠,٠٠٠ في العام ٢٠٠٢م. وشخص واحد على الأقل بلغ عمره ١٢٢ سنة، واسمه "جين كالمنت". تم ادعاء وجود أعمار أكير لكن لم يتم تأكيد ذلك.

المنظومة الغذائية

حتى تطوير الزراعة قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة، كان الإنسان يتبع أسلوب الصيد وجمع الثمار كمصدر أساسي للغذاء. وتضمّن هذا خليط بين مصدر الأغذية الثابتة (الثمار، الحبوب، الفطر، الجذور، شرانق الحشرات، والرخويات) والحيوانات البرية، والتي وجب ملاحقتها وقتلها قبل استهلاكها. لقد تم افتراض أن الإنسان استخدم النار لتحضير الطعام منذ بداية تحوّله من مرحلة شبه القرد.

الكائنات البشرية هي متعددة التغذية بشكل عام، أي أنها تأكل كل شيء تقريباً. فهي تستهلك منتجات حيوانية وكذلك نباتية. لقد تمكّن الإنسان من تبني طيف واسع من المنظومات الغذائية بحيث تتدرّج من مجرّد تغذية نباتية إلى مجرّد تغذية حيوانية، وهذا التنوّع في التغذية يُحدّد وفق المناطق التي يقطنها ونوع المصادر الغذائية المتوفرة فيها، وبالإضافة إلى العوامل الثقافية والدينية التي تلعب دوراً في تحديد نوع الطعام. في بعض الحالات، يمكن للقيود الغذائية التي تُفرض على الإنسان أن تؤدي إلى إصابته بأمراض نقص في التغذية. لكن على أي حال، فقد تمكّنت معظم المجموعات البشرية أن تتأقلم مع الكثير من الأنظمة الغذائية عبر تخصّص الموروثات الجينية أو التقاليد الشعبية بحيث تستخدم مصادر طعام تحتوي على تغذية متوازنة بالنسبة لها.

بشكل عام، يستطيع الإنسان أن يبقى على قيد الحياة دون طعام لمدة تتراوح بين ٢ إلى ٨ أسابيع، ويعتمد ذلك على كمية الدهون المخزّنة في الجسم. أما البقاء دون ماء، فلا يستطيع في هذه الحالة أن يتجاوز ٣ إلى ٤ أيام. لازال النقص في الطعام يمثّل مشكلة خطيرة اليوم، مع حوالي ٣٦ مليون إنسان يموتون جوعاً كل سنة. كما أن سوء التغذية في الطفولة شائعاً ويساهم في زيادة عبء الأمراض حول العالم. لكن من ناحية ثانية، هناك مشكلة السمنة التي راحت تنتشر بين بعض المجموعات البشرية وزادت نسبتها مؤخراً مما أدى إلى ازدياد معدّل الأمراض والوفيات في البلدان المتقدمة وبعض البلدان النامية.

تتشكّل السمنة نتيجة التهام السعيرات الحرارية بكميات تفوق طاقة استهلاك الجسم مما يؤدي إلى تزايد الوزن، وذلك عبر الإفراط في الأكل وعدم لقيام بالتمارين الرياضية.

طوّر الإنسان الزراعة قبل حوالي عشرة آلاف سنة، مما أدى إلى حدوث تغيير في منظومته الغذائية. وهذا بدوره أدى إلى زيادة في عدد السكان، وظهور المدن. وبسبب الزيادة في كثافة السكان، انتشرت الأوبئة والأمراض المعدية. تختلف أنواع الأطعمة المستهلكة وطريقة تحضيرها مع اختلاف الفترة الزمنية والمنطقة والثقافة.

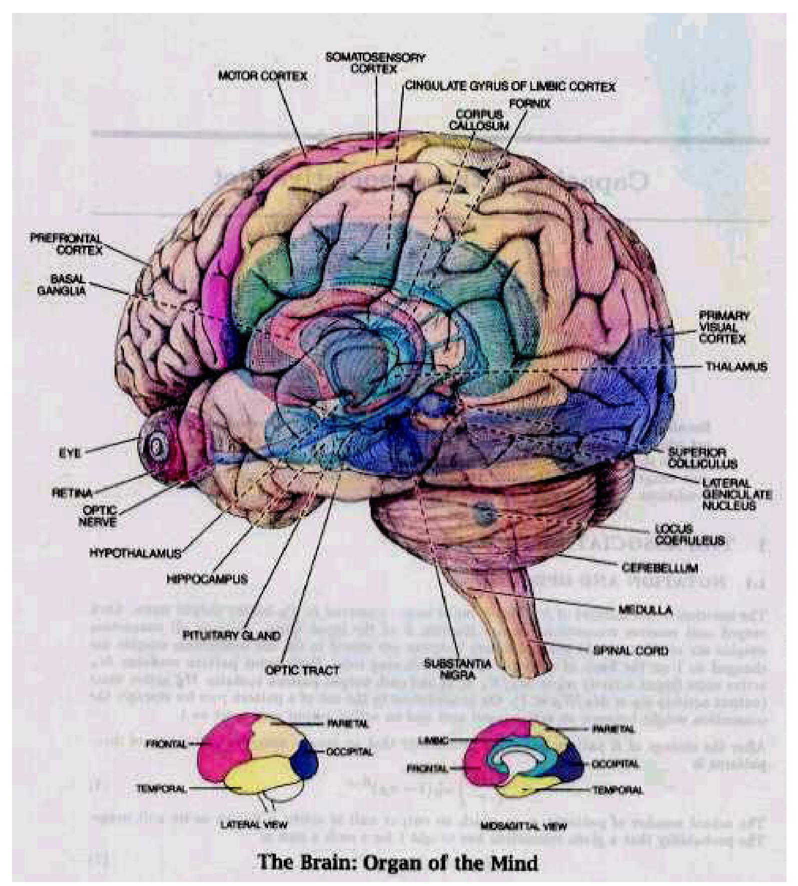
النوم

يُعتبر الإنسان من الكائنات النهارية. أي يقوم بنشاطاته في فترة النهار. أما معدل النوم الذي يتطلبه الإنسان العادي فهو بين ٧ و٩ ساعات متواصلة للبالغين، وبين ٩ و١٠ ساعات للأطفال. أما الكهول فعادة ما ينامون بين ٦ و٧ ساعات في اليوم. إن النوم بمعدلات أقلّ من المدة المطلوبة هو شائع في المجتمعات العصرية. هذا النقص في النوم له تأثيرات سلبية. فمثلاً، إن اضطرار الفرد للنوم لمدة ٤ ساعات فقط يومياً، ويبقى على هذه الحالة لفترة طويلة من الزمن، سوف يؤدي إلى حصول تغييرات في حالته الجسدية والعقلية، بما في ذلك إصابته بحالة إرهاق دائم، طبيعة عدوانية، غياب كامل للراحة الجسدية.

الناحية النفسية

الدماغ البشري، البؤرة المركزية للنظام العصبي في الإنسان، فيتحكم بالنظام العصبي لكامل الجسم، بما في ذلك النشاطات الإرادية وغير الإرادية أو الأوتوماتيكية مثل التنفّس والهضم وضربات القلب. بالإضافة إلى هذا كله، فهو مقرّ الوظائف الذهنية مثل التفكير، التأمّل، الاستنتاج، وشرود الذهن. هذه

الإجراءات الذهنية المختلفة تشكّل ما نعرفه بالعقل، وما يترتب من تصرفاتها يخضع للدراسة في مجال علم النفس psychology.



The Brain: Organ of the Mind

الدماغ مصدر العقل!

الدماغ البشري، الذي يُعتقد بأن قدراته تفوق مستوى الوظائف المذكورة سابقاً، يُعتبر أكثر ذكاءً من أي فصيلة أخرى معروفة. صحيح أن هناك كائنات تمتلك أدمغة أكبر حجماً من حيث معدل الجسم، وهناك بعض الكائنات التي تستطيع استخدام أدوات بسيطة وتشييد بيوت معقّدة هندسياً بالاعتماد على الغريزة

والمحاكاة طبعاً، إلا أن التكنولوجيا البشرية هي أكثر تعقيداً وفي حالة تقدم وتطوير مستمر عبر الزمن.

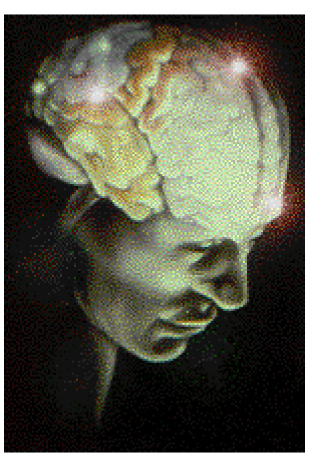
رغم التقدم الكبير للمقدرات الذهنية الإنسانية بالمقارنة مع الفصائل الأخرى، إلى أن معظم هذه المقدرات معروفة بشكلها البدائي بين تلك الفصائل. تميل الأنثروبولوجيا العصرية إلى المصادقة على فكرة "داروين" القائلة بأن: *".. الفرق في العقل بين الإنسان والرئيسيات الأخرى، مهما بلغت عظمته، هو من حيث [الدرجة] وليس [النوع]..."*

الوعي والتفكير

تُعدّ الكائنات البشرية من بين تسعة فصائل نجحت في تجربة "المرآة" mirror test، التي تختبر إن كان بستطيع الحيوان تمييز صورته المنعكسة على المرآة بحيث يعلم أنها تعود له. الفصائل الأخرى هي: الغوريلا، الشيمبانزي، قرد الأورانغوتان، قرد البونوبو، نوع من الدلافين، الفيل الآسيوي، الحوت السفاح، طائر العقعق الأوروبي. مُعظم الأطفال البشر ينجحون في اختبار المرآة خلال عمر ١٨ شهر. لكن تم مؤخراً الدحض بمدى فعالية هذه التجربة في اختبار "الوعي" في الكائنات الحيّة، حيث وجب أن يتم التصنيف بالدرجات بدلاً من التقسيم القطعي للكائنات. فهناك نوع من القرود مثلاً، والتي لم تنجح في اختبار المرآة، تستطيع القيام بمهمات معقّدة مما يدلّ على تطوّر الوعي لديها.

الدماغ البشري هو الذي يدرك العالم الخارجي عبر الحواس، وكل إنسان يتأثّر بشكل كبير من خبراته الحياتية الخاصة، مما يؤدي إلى تكوّن وجهات نظر شخصية للوجود. يتمتع الإنسان بالوعي، الصحوة الذاتية، ولديه عقل، وجميعها منسجمة مع، أو تمثّل فعلياً، الإجراءات الذهنية للتفكير. وهذه الأخيرة تمتلك خواص مثل الشعور بالذات، الحسّ، التعقّل، والقدرة على إدراك العلاقة بين الذات والبيئة المحيطة. المدى الذي يستطيع فيه العقل أن يشكّل أو يختبر العالم الخارجي لازال مثار جدل، وكذلك الحال مع المصطلحات والمفاهيم المذكورة في السطور

السابقة. فمثلاً، الفيلسوف في علم الإدراك "دانيال دينيت" Daniel Dennett يجادل بأنه ليس هناك شيء يُدعى "عقل"، بل بدلاً من ذلك هناك بكل بساطة مجموعة من المداخل والمخارج الحسيّة، أي أنواع مختلفة من "المكونات غير المادية" software التي تجري ذهاباً وإياباً بشكل متوازي. أما عالِم النفس "ب.ف. سكينر" B.F. Skinner، فيجادل بأن العقل هو "شيء خيالي" يتم اللجوء إليه أثناء التفسيرات من أجل لفت الانتباه عن المسببات البيئية للسلوك behavior، وأن ما يُعتبر بأنه "إجراءات ذهنية" mental processes من الأفضل اعتباره مجرّد أشكال من السلوك الشفوي المستتر covert verbal behavior.



الإجراءات الفكرية تجري في الدماغ، وهو وينتج الوعي!

يدرس الإنسان المظاهر المادية للعقل والدماغ وامتداداته الممثّلة بالجهاز العصبي، من خلال مجال علمي يُسمى "علم الأعصاب" neurology، والجانب السلوكي يتناوله مجال "علم النفس" psychology، وبعض الأحيان، المنطقة القابعة بين هذين المجالين يتناوله "الطب النفسي" psychiatry الذي يعالج الأمراض العقلية والاضطرابات السلوكية.

علم النفس قد لا يتناول بالضرورة الدماغ أو الجهاز العصبي، ويبحث بشكل خاص في النظريات التي تتناول الجانب الظاهراتي phenomenological أو المعالجة المعلوماتية information processing من العقل. لقد تزايد مؤخراً إدماج محاولات فهم وظائف الدماغ في نظريات علم النفس وممارساته، وكذلك في مجالات أخرى مثل "الذكاء الصناعي" artificial intelligence، الفيزيولوجيا العصبية neurophysiology، والعلم الأعصاب الإدراكي cognitive neuroscience.

تُعتبر طبيعة التفكير مركزية لأبحاث علم النفس ومجالات مماثلة. علم النفس الإدراكي Cognitive psychology يتناول دراسة كل من الإدراك، والمجريات الذهنية المستترة تحت عتبة السلوك. تستخدم الإجراءات المعلوماتية كإطار لفهم العقل. الإدراك، التعلّم، حلّ المسائل، الذاكرة، الانتباه، اللغة والعاطفة، جميعها مجالات مدروسة جيداً في سياق الأبحاث. علم النفس الإدراكي مرتبط بمدرسة فكرية تُدعى "الإدراكية" cognitivism، التي يجادل مناصروها لإنشاء نموذج "معالجة معلوماتية" للوظيفة الذهنية، بالاعتماد على أفكار الفلسفة "الواقعية" positivism (مذهب فلسفي يقول بأن الحقيقة تمثّل الواقع خارج الذهن وليست الصور داخل الذهن)، وعلم النفس التجريبي experimental psychology. يتم تطبيق نماذج وتقنيات من علم النفس الإدراكي بشكل واسع وتشكّل دعامة النظريات السائدة لعلم النفس في معظم المجالات بجانبيها البحثي والتطبيقي. من خلال تركيزه بشكل كبير على تطور العقل البشري على مدى عمر صاحبه، يحاول علم النفس التطوّري developmental psychology أن يفهم كيف يستطيع الناس الإدراك، الفهم، والتصرّف في هذا العالم، وكيف تتغيّر هذه الإجراءات خلال التقدم بالعمر. وهذا المجال يركّز أيضاً على التطوّر الفكري، الإدراكي، العصبي، الاجتماعي والأخلاقي.

بعض الفلاسفة يقسمون "الوعي" إلى "وعي ظاهراتي" phenomenal consciousness الذي يمثّل التجربة الإنسانية بذاتها، و"الوعي المدخل" access

consciousness الذي يعالج المعطيات التي تقدمها التجربة الإنسانية. "الوعي الظاهراتي" هو البقاء في حالة واعية، أي كما نقول "أنا واعي". أما "الوعي المدخل" فهو أن تكون واعياً لشيء ما بالمقارنة مع مفاهيم مجرّدة، أي كما تقول "أنا واعي لهذه الكلمات". هناك أشكال مختلفة "للوعي المدخل"، مثل اليقضة، الوعي بالذات، الضمير، تيار الوعي، علم الظواهر لــ"هرسل"، و"المقصودية" intentionality.

إن مفهوم "الوعي الظاهراتي" في التاريخ المعاصر، ووفقاً للبعض، هو قريب الصلة بمفهوم "كواليا" qualia. علم النفس الاجتماعي Social psychology يوصل السوشيولوجيا مع علم النفس من خلال بحثهما المشترك في طبيعة ومسببات التفاعل الاجتماعي البشري، مع تشديد على طريقة تفكير الناس تجاه بعضهم البعض وكيف يتصلون ببعضهم البعض. يمكن وصف الإجراءات السلوكية والعقلية، إنسانية وغير إنسانية، عبر دراسة "الإدراك الحيواني" animal cognition، "علم السلوك الحيواني" ethology، "علم النفس التطوري" evolutionary psychology، وكذلك "علم النفس المقارن" comparative psychology. "الإكولوجيا البشرية" Human ecology (علم التبيّؤ) هو منهج أكاديمي يحقق في كيفية تفاعل البشر والمجتمعات البشرية مع البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية.

الدافع والإنفعال

الدافع Motivation هو القوة المحرّكة للرغبة التي تكمن وراء كل التصرفات المتعمدة للبشر. ***الدافع*** يستند على ***الانفعال***، خاصة في البحث عن الرضا (وهو أحد التجارب العاطفية الإيجابية)، وتجنّب الصدام. يمكن تحديد الإيجابي والسلبي من خلال حالة دماغ الفرد، والذي يمكن أن يكون متأثراً بالنموذج الاجتماعي العام. فيمكن للشخص أن يُدفع إلى حالة الأذى الذاتي أو العنف، لأن دماغه خضع لعملية تكييف بهدف خلق تجاوباً إيجابياً لهذه التصرفات. "الدافع" مهم لأنه يدخل في أداء الاستجابات المُتعلّمة. في علم النفس، يُنظر إلى "تجنّب المواجهة"

و"الليبيدو" libido على أنها "دوافع" رئيسية. في مجال "الاقتصاد"، يُنظر غالباً للدافع على أنه يستند على حوافز incentives. ويمكنها أن تكون: مالية، أخلاقية، أو قسرية. أما الأديان، فغالباً ما تفترض وجود دوافع إلهية أو شيطانية.

السعادة، أو حالة الفرح والبهجة، هي حالة انفعالية إنسانية. إن تعريف السعادة يمثّل مادة فلسفية عامة. البعض يعرفها بأنها أفضل حالة للإنسان، أي حالة عقلية وجسدية صحية ومعافاة. لكن آخرون يعرفونها بالحرية من العوز والبؤس، أي الوعي بانتظام الأمور، أو التأمين على مكانة الفرد في الكون وكذلك المجتمع.

إن للانفعال Emotion تأثير كبير على، أو يُقال بأنه يتحكم بـــ، السلوك الإنساني. رغم أنه على مدى التاريخ، شجّعت ثقافات كثيرة وكذلك الفلاسفة، ولأسباب عدة، على النظر في هذا التأثير. التجارب الانفعالية المُعتبرة محببة، مثل الحب، الإعجاب، أو البهجة، تتناقض مع تلك التي تُعتبر بغيضة، مثل الكره، الحسد، والحزن. غالباً ما يُصنع فارق بين الانفعالات المصقولة التي تُعلّم اجتماعياً، وتلك التي تحكمها غريزة البقاء والتي تُعتبر فطرية. من الجدير ملاحظة انفصال الاستكشاف الإنساني للانفعالات عن ظواهر عصبية أخرى، خاصة في ثقافات تُعتبر فيها الانفعالات منفصلة عن الحالة الفيزيولوجية. في النظريات الطبية لبعض الثقافات، تُعتبر الانفعالات العاطفية مرادفة مع أشكال معيّنة من الصحّة البدنية لدرجة أنه ما من اختلاف أو فارق بينهما. فمثلاُ، باردي الإحساس Stoics (رواقيين) يعتقدون بأن المبالغة في الانفعال هو أمر مؤذي، بينما بعض المعلمين الصوفيين (مثل الشاعر عمر الخيام) شعروا بأن انفعالات مفرطة معيّنة يمكنها أن تنتج نوع من الكمال التخيّلي، وهو ما نسميه "البحران" ecstasy.

ضمن الفكر العلمي العصري، تُعتبر انفعالات مصقولة معيّنة بأنها سمة عصبية متأصلة في أنواع مختلفة من الحيوانات الداجنة والبريّة. تم تطويرها كرد فعل ضدّ آليات البقاء الرئيسية والتفاعل الذكي مع بعضها البعض ومع البيئة. وبهذا، فالانفعال المصقول لا يُعتبر في كل الحالات منفصلاً عن الوظيفة العصبية

الطبيعية كما كان مفترضاً في الماضي. على أي حال، عندما يعمل البشر بترادف حضاري، لوحظ بأن التصرّف المنتهك (غير المنضبط) خلال الانفعال المفرط يمكنه أن يؤدّي إلى فوضى اجتماعية وحتى إلى الجريمة.

[انتهى التعريف]

خلاصة التعريف

بعد قراءة هذا التعريف المُقتضب الجميل والرتيب بما فيه من مصطلحات أكاديمية طنانة وعبارات علمية مهيبة، ربما سيشعر البعض (أو الكثيرون) بالاكتفاء والرضا وسيتولّد لديهم قناعة تامة بأنها تغطي كافة جوانب الإنسان.

الإنسان إذاً هو حيوان برّي تطوّر من فصيلة القرود، والتي هي بدورها تمثّل فرع من فروع شجرة التطوّر التي تتفرّع منها كافة الفصائل الحيوانية الأخرى، وهذه الشجرة نمت أصلاً من كائن بحري يمثّل البذرة الأساسية. وكل المجريات المتسلسلة لمسيرة التطوّر الطويلة التي خاضتها هذه الشجرة خلال نموها وتفرعها البطيء (مئات الملايين من السنين) حصلت بالصدفة!

ــ الإنسان، وكذلك الحيوان، يشبه بشكل كبير الآلة المعقّدة، ومؤلفة من آلات أصغر معقّدة أيضاً، وجميعها تتآزر في جوقة واحدة لتدير مجريات الجسم بتناغم وانسجام. لهذا السبب تُدرس الإجراءات السلوكية والعقلية للإنسان عبر دراسة "الإدراك الحيواني"، و"علم السلوك الحيواني" (كلب بافلوف)، وغيرها من مجالات علمية تتجاهل ذلك الجانب الروحي المسؤول عن كينونته وسلوكه، ابتداءً من هيئته الكاملة حتى أصغر خلية.

ــ بالنسبة للعلم المنهجي، الإنسان هو مجرّد من أي أسس روحية. وإن كل ما ألزم به من مزاعم وادعاءات روحية يُعتبر خيالي/ماورائي ومن ابتكار الإنسان ذاته

بهدف تسلية نفسه عبر العصور الطويلة بلياليها المظلمة حيث لا يوجد كهرباء ولا تلفزيون.

ــ لقد حصل شيء ما (بالصدفة) في إحدى الحقب الجيولوجية الماضية مما جعل الإنسان أكثر ذكاءً من رفاقه وحوش الغابة. وهذا الذكاء لم يتوقّف عند حدود بل راح يتطوّر مع الوقت حتى أصبح في المستوى المتقدم الذي يتمتع به اليوم.

ــ الدماغ يمثّل مركز النظام العصبي في الجسد، ويمثّل أيضاً مركز العقل والوعي إذا وُجدا أصلاً، حيث هناك ميل قوي بين بعض العلماء البارزين للاعتقاد بأنه ليس هناك عقل بالمطلق! بل مجرّد مجريات حسية/عصبية داخلة وخارجة من هذه الآلة المعقّدة التي نسميها إنسان!

ــ يتم دراسة المظاهر المادية الملموسة لما يُسمى "عقل" من خلال دراسة الدماغ وامتداداته الممثّلة بالجهاز العصبي، وذلك من خلال مجال علمي يُسمى "علم الأعصاب"، والجانب السلوكي يتناوله مجال "علم النفس"، وبعض الأحيان، المنطقة القابعة بين هذين المجالين يتناوله "الطب النفسي" الذي يعالج الأمراض العقلية والاضطرابات السلوكية. أما كل ما يخرج عن نطاق هذه المجالات الثلاث هو ماورائي، هلوسة، شاذ، غير منطقي... إلى آخره، فيُعتبر غير علمي ومن غير اللائق البحث فيه فيتم تجاهله تماماً! أو إحالته إلى عمال "الطب النفسي" ليصنفوه على طريقتهم الخاصة ويرمونه في الزبالة.

ــ أما الوظائف الذهنية غير المرئية والملموسة مثل، التفكير، التأمّل، الاستنتاج، وشرود الذهن.. وغيرها من الإجراءات التي تشكّل ما نعرفه بالعقل، فهي بكل بساطة مجموعة من المداخل والمخارج الحسيّة، أي أنواع مختلفة من "المكونات غير المادية" التي من الأفضل اعتبارها مجرّد أشكال من السلوك الشفوي المستتر. لأن العقل بمفهومه العام غير موجود! فالعقل هو "شيء خيالي" يتم اللجوء إليه خلال التفسيرات من أجل لفت الانتباه عن المسببات البيئية للسلوك. ويتم دراسة

الإجراءات السلوكية للإنسان عبر "علم السلوك الحيواني". أي بمعنى آخر، وفقاً للعلم المنهجي، إذا أردت أن تعرف مقومات ومقتضيات السلوك الإنساني، ليس عليك سوى الاطلاع على أبحاث "بافلوف" على الكلاب والقرود، فتستخلص منها كل ما يتعلق بك من سمات وخصائص وعلاقتها بالمؤثرات الخارجية والدوافع الداخلية.

ـــ ليس هناك أي سلطة كونية أو تجاوزية تؤثّر على سلوك الإنسان بل يرى العلم أن السبب يتمثّل في مفهوم "***الدافع***" الذي هو القوة المحرّكة للرغبة التي تكمن وراء كل التصرفات المتعمدة للبشر. وهذا الدافع يستند بدوره على ***الانفعال*** (العاطفة)، ويمكن تحديد مظهره الإيجابي والسلبي من خلال حالة دماغ الفرد، والذي يمكن أن يكون متأثراً بالنموذج الاجتماعي العام. وإذا جردنا انفعال الإنسان من أي مؤثرات بيئية أو اجتماعية، فهو ينزع تلقائياً نحو ***السعادة***، التي هي هدفه الأوّل. تُعرّف السعادة بأنها حالة عقلية جيّدة ناتجة من الاكتفاء والرضا. لكن هناك جدل كبير حول تحديد العوامل المؤدية لهذا الاكتفاء والرضا. ومن المؤكّد أنهم تجاهلوا خلال جدالاتهم تلك "المسرات الروحية الأصيلة" التي تتجاوز عالمنا المادي والملموس.

هذه النظرة الضيّقة لذلك الكيان الرائع، أنبل مخلوقات الأرض، هي دون شكّ محدودة وغير سليمة لأنها تستثني من المشهد الكثير من العناصر المهمة، كالملكات الحقيقية التي تجعل من الإنسان إنساناً.. ميزاته الروحانية، العقلانية، الأخلاقية، والنفسية.

إنه من اللائق طبعاً النظر للجسد المادي للإنسان ككيان بذاته، لأنه يبدو كذلك فعلاً. وإنه لأمر ممتاز أن تدرس العلوم المادية هذا الجسد المادي لأنه يمثّل بالفعل مُنتج طبيعي عجيب ورائع.. عجيب بقدر ما هو غامض بنفس الوقت.

لكن جسد الإنسان هو في الحقيقة أكثر من مجرّد مُنتج انبثق من الجانب المادي للطبيعة، بل تجسّد نتيجة تعاون عدّة عوامل تجاوزية سامية مع القوى المادية المسؤولة عن جعل هذا الجسد ما هو عليه الآن. وفي الحقيقة، فإن تلك العوامل التجاوزية السامية هي التي أدارت مسار القوى المادية لتميّز الجسد المادي للإنسان عن الأجسام المادية الأخرى في الطبيعة. فبالتالي، المظهر المادي للإنسان هو مجرّد تعبير مادي لحركة معقّدة ومتباينة من الطاقات والقوى الخفية التي أدارتها عوامل تجاوزية سامية هدفت إلى تجسيده بشكله الحالي.

الإنسان إذاً هو كيان مُركّب، مؤلّف من مستويين: مستوى مادي ملموس ومستوى متجاوز للمادي والملموس. وهذه الحقيقة طالما نادت بها الفلسفات القديمة وشدّدت عليها عبر العصور. وقد بنت عليها معظم الأديان فلسفاتها اللاهوتية ونظرتها الخاصة للوجود. جميع الفلسفات القديمة أجمعت على أن الروح هي سابقة للهيئة المتجسّدة، وأن كل ما هو سابق يشمل ما هو لاحق. وبما أن الروح سابقة للهيئة المتجسّدة، فبالتالي تكون الهيئة المتجسّدة داخل مجال الروح. بعكس ما هو مألوف وشائع اليوم، حيث يُقال بأن روح الإنسان (وعقله) تقبع داخل جسده. فالروح ترسم أولاً حدود منطقة معيّنة ثم تتجسّد داخلها بهيئة مادية.

إن كل شيء في الوجود له بنية ثنائية المظهر، حيث القسم الأعظم هو خفي بينما القسم الأصغر هو ظاهر وملموس. في كليهما أيضاً هناك مجال وسطي، يمثّل الحد الذي يلتقي فيه المظهرين الخفي والظاهر. بما أن المظهر الروحي (الخفي) لله يتحكّم بالكون المرئي والملموس، فبالتالي إن المظهر الروحي للإنسان يمثّل السبب الخفي لشخصيته المتجسّدة مادياً وبالإضافية إلى القوة المتحكمة بها. وهكذا فقد أصبح واضحاً بأن روح الإنسان تحمل نفس العلاقة مع جسده المادي كما علاقة الله مع الكون المرئي والملموس.

إذا تحدثنا بطريقة فلسفية، يمكن القول بأن الهيئة المتجسّدة، كونها جزء من الروح، فهي داخل الروح وليس العكس. لكن، الروح هي أكثر من مجموع الهيئة

المتجسّدة، حيث أن المظهر المادي للإنسان هو داخل روحه، وبالتالي فإن المظهر الكوني، بما يشمله من المنظومة النجمية بالكامل، يقبع داخل الجوهر الرباني المنتشر في كل مكان.. أي الروح الكونية.

الإنسان أعظم مما يبدو عليه بكثير. لكن من سيعلمنا هذه الحقيقة؟ من له مصلحة في ذلك؟ في هذا العصر الحديث "المتنوّر؟!"، يهتم العلم بشكل كلّي بتكريس المعرفة المادية والبحث في الأجزاء الوهمية والمؤقتة من الطبيعة. أي القسم التافه من الإنسان. ما تُسمى بالاكتشافات العملية لا تعمل سوى على ربط الإنسان أكثر وأكثر بقيود المحدودية المادية. وحتى الدين أصبح مادياً.. حيث أصبح جمال الإيمان ومنزلته يُقاس بالأبنية الضخمة الشاهقة، وبالعقارات، والميزانية المصرفية. حتى الفلسفة... الفلسفة التي توصل السماوات مع الأرض كسُلّم عملاق حيث تسلّقه الحكماء المتنورين في كل العصور ليدخلوا روح الواقع.. حتى الفلسفة أصبحت مجموعة من الأفكار النثرية المتغايرة والمتضاربة. أما جمالها، جلالتها، وسموها التجاوزي، فلم تعد موجودة. كما الفروع الأخرى من الفكر الإنساني، فقد جعلوها مادية ــ عملية ــ بحيث أصبحت نشاطاتها موجّهة جداً لكي تساهم في تشييد هذا العالم العصري المؤلف من الحجر والحديد.

خلال اجتهاد الإنسان اليوم لأن يكون صادقاً مع معاير الحياة المزوّرة والخاطئة، يتجاهل حقه الطبيعي في المعرفة والتنوّر ــ دون أن يدرك العواقب الوخيمة ــ وينغمس في دوامة الوهم المادية. فهو يكرّس كل سنواته الأرضية الثمينة في مجهود عقيم يهدف إلى إثبات نفسه كقوة باقية في عالم من الأشياء الزائلة. وبالتدريج، تبدأ ذاكرته عن كونه كائناً روحياً بالتلاشي من عقله الموضوعي، فيبدأ بتركيز كافة ملكاته الذهنية شبه الصاحية على العيش في حالة من المثابرة المضطربة، كخلية النحل، والتي أصبح يعتبرها الواقع الوحيد في هذا الوجود. من المستوى الرفيع لكينونته، يبدأ بالغرق ببطء إلى الأعماق المظلمة للدنيوية المؤقّتة. يسقط إلى مستوى الوحش، وبشكل متوحّش وبهيمي يواجه المشاكل الناشئة أصلاً من سوء معرفته، أو جهله تماماً، بالخطة الكونية/الإلهية التي حددت الهدف

الحقيقي من وجوده في هذا العالم. هنا، وسط الاضطراب الفظيع للجحيم الاقتصادي والسياسي والتجاري، يتلوّع الرجال والنساء ألماً من العذاب الذاتي الذي جلبوه لأنفسهم، وعن طريق مدّ أيديهم نحو الدوامة الضبابية، يحاولون بجهد جهيد الإمساك بأشباح المجد والنجاح والنفوذ والسلطة.

مع جهله عن سبب الحياة، وجهله عن الغاية من الحياة، وجهله عن ما يقبع ما وراء غموض الموت، ورغم أنه يحوز على كافة الأجوبة في جوهره، لازال الإنسان مصراً على التضحية بالجميل والحقيقي والحسن في داخله وخارجه على مذبح الطموح الدنيوي المُلطخ بالدماء.

في صفوف ما نسميهم المتعلّمين برز نوع جديد من المفكرين، والذين أفضل ما يمكن وصفهم به هو "مدرسة من الخبراء بشؤون الدنيا". بعد أن انتهى بهم المطاف يتربعون على عرش المعرفة في الأرض، عيّنوا أنفسهم قضاة نهائيين يقررون مصير كل أنواع المعرفة، البشرية والسماوية.

في كافة أرجاء العالم اليوم، يصرخ الرجال والنساء، الواقعين تحت سيطرة الأنظمة الثقافية الخالية من الروح والوجدان، مطالبين بعودة عصر الجمال والتنوّر الذي تم نفيه بعيداً.. يطالبون بشيء عملي بكل ما تعنيه الكلمة. بدأ البعض يدركون حقيقة أن ما تُسمى الحضارة بشكلها الحاضر وصلت إلى نقطة الاندثار. أصبحوا يدركون بأن البرودة، وتحجّر القلب، والمتاجرة، والأهلية المادية تمثل عناصر غير عملية، بينما كل ما يوفّر فرصة للتعبير عن المحبة والمثالية هو الأصيل والجدير بالاهتمام ويستحّق العناء في سبيله.

هذا العصر المأخوذ بالحضارة وغارق في الخرافات والتلفيقات التي صنعها. آلهته هي من ابتكاره. لقد نسيت الإنسانية كم هي متناهية في الصغر، كم هي زائلة، وكم هي جاهلة فعلاً. لقد سخروا من بطليموس لأنه جعل كوكب الأرض مركزاً للكون، لكن الحضارة العصرية نسيت بأنها تأسست على فرضية أن الكرة

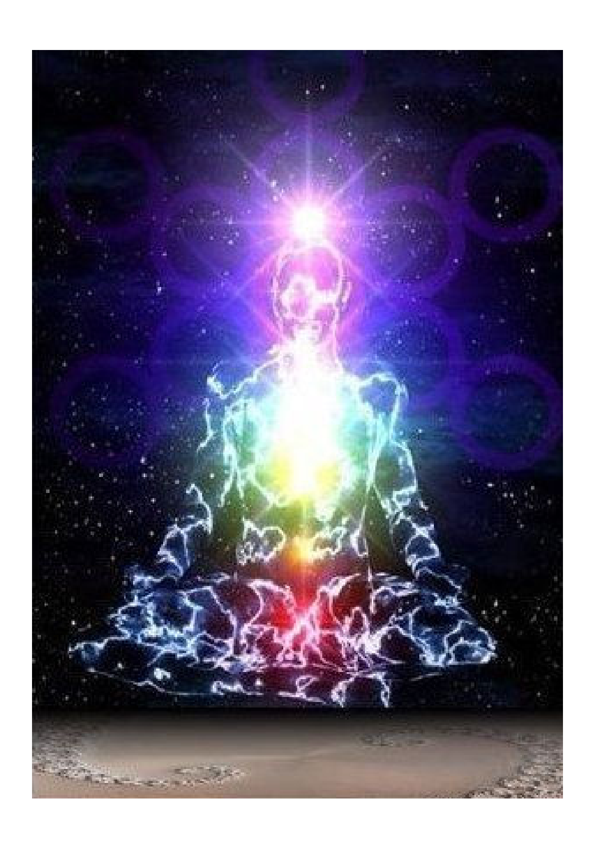
الأرضية هي الكوكب الأكثر أهمية والأكثر ثباتاً بين كافة الأجرام السماوية في الكون، وأن الآلهة القابعة على عروشها النجمية لا يشغلها شيء سوى الأحداث الحاصلة في هذا العالم الفوضوي الصغير.

الإنسان ليس مخلوق ضعيف كما يبدو عليه ظاهرياً. فجسده المادي لا يمثّل المقياس الحقيقي لنفسه الأصيلة. الجانب الخفي للإنسان هو هائل جداً بقدر ما يستطيع استيعابه، ويتعذّر قياسه بنفس الطريقة التي يتعّذر وضع حدود لأفكاره. تمتدّ أصابع عقله لتطال النجوم. روحه تمتزج مع الحياة النابضة للكون ذاته. إن من توصّل لمرحلة البيّنة والتفهّم قام بنفس الوقت بزيادة قدرته على المعرفة وبالتالي بدأ يدخل تدريجياً إلى حياته عناصر مختلفة من الكون. المجهول هو بكل بساطة ما لم يُدخل ليندمج مع وعي الباحث المريد.

عبر العصور الطويلة والحقب التاريخية المديدة، والتي تعرّض لها الكائن البشري إلى أبشع أشكال القهر والاستعباد والظلم والبؤس..، حصل تغيير جذري في تركيبته الروحية والعقلية والوجدانية. ذلك بسبب التوجيه والإرشاد المزوّر الذي فُرض على الشعوب بهدف سهولة التحكّم بهم والسيطرة عليهم. فالقاعدة الذهبية للسيطرة على المجموعات البشرية تتمثّل بالعمل على إقناع هذه الكائنات الجبّارة متعددة القوى والأبعاد، غير محدودة القدرات، بأنها مجرّد رجال ونساء عاديون يعيشون حياتهم اليومية دون جدوى.. ويقضون كامل حياتهم دون غاية أو هدف.. حينها تستطيع الإمساك بهم. لهذا السبب، أصبحنا في حالة جهل تام عن حقيقتنا ككائنات بشرية وحقيقة الكون من حولنا. لقد نسينا من نكون! ونسينا عظمة الكون من حولنا! وسلّمنا أرواحنا ومصائرنا لمجموعة من المرشدين المغرضين ليتحكموا بها كما يشاؤون ومتما شاؤوا. هل ترغب في معرفة من أنت؟ ربما تجد الجواب في هذه المجموعة من الكتب.

الإنســان

وفق مفهوم آخر ومن منظور مختلف



في الوقت الذي يقنعنا فيه العلم المنهجي بأننا كائنات محدودة القدرات، وأن العقل والوعي هما من إنتاج الدماغ، وأنهما لا يستطيعان تجاوز حدود الجسد، وغيرها من حقائق محبطة وقامعة لطبيعتنا الأصيلة، نجد أنه في أماكن أخرى حول العالم طرق حياة خاصة، أو مناهج تعليمية محددة (أصبحت على حافة الاندثار) تعلّم حقائق أخرى مختلفة تماماً حول طبيعة الإنسان. وبدلاً من الإطالة في الحديث لتوضيح الفكرة، دعونا نلقي نظرة على بعض العينات مما أتحدث عنه:

المتصوّف الهندي "ديفراها بابا"

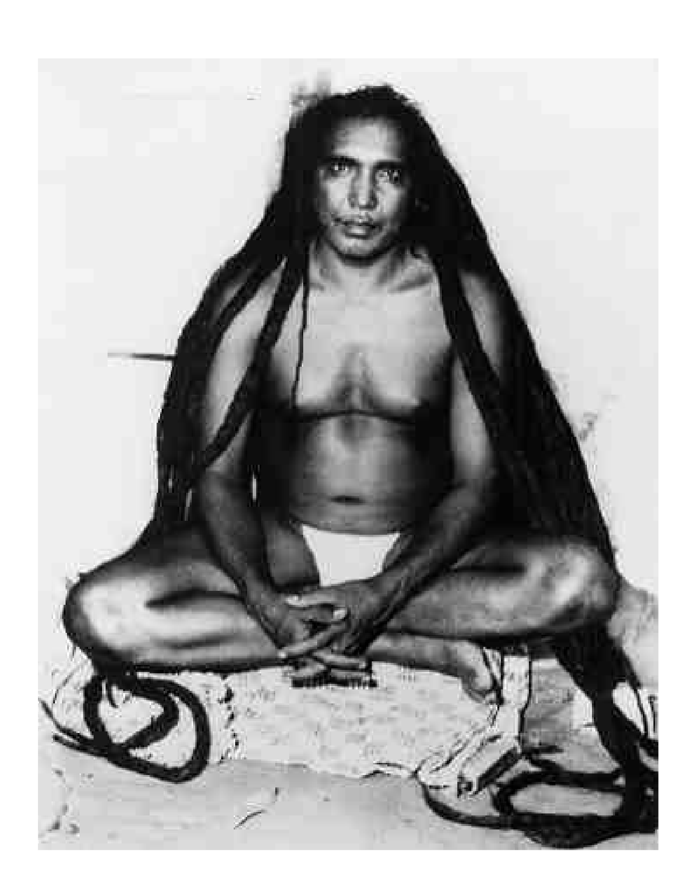
عاش أكثر من ٢٥٠ سنة دون طعام!!



لقد مرّت أجيال وأجيال على القرى المجاورة، وكلهم اعتادوا على وجود هذا المتصوّف الذي يعيش على لوح خشبي مثبّت بأغصان شجرة بالقرب من نهر "يامونا" في "ماثورا" الهند. لم يأكل الطعام أبداً، لكنه فقط يشرب الماء الذي يجلبه من النهر القريب. يستطيع أن يكون في مكانين بنفس الوقت (الخروج عن الجسد). وفي الحقيقة كان في كل مكان بنفس الوقت، لأنه يدرك كل شيء وكأنه حاضر على كل شيء! الجميع يعرف هذا المتصوّف الجليل وطاقة المحبّة التي تشعّ منه وتغمر الزائرين المتباركين به. لقد زاره معظم السياسيين والشخصيات المرموقة في الهند بهدف نيل البركة. أشهرهم كان "راجيف" و"أنديرا غاندي". استسلمت روحه المباركة في العام ١٩٨٩م.

المتصوّف الهندي "سري تات والي بابا"

رغم تجاوزه الخامسة والثمانين من عمره، إلا أن مظهره يكشف عن شاب في الثلاثينات!



لقد تم اغتيال هذا المتصوّف الزاهد في الكهف الذي كان يسكنه عام ١٩٧٤م على يد أحد أصحاب المعابد القريبة. السبب هو أن المجرم صاحب المعبد انقطع رزقه بسبب تحوّل الزوار إلى كهف "والي بابا" ناشدين البركة المجانية. لو بقي هذا المتصوّف على قيد الحياة، لتجاوز عمره المئة سنة وسيبقى شاباً. (كان عمره ٨٥ سنة عند اغتياله).

المتصوّف الهندي "براهلاد جاني"

بقي دون طعام أو شراب لمدة ٦٥ عام!!



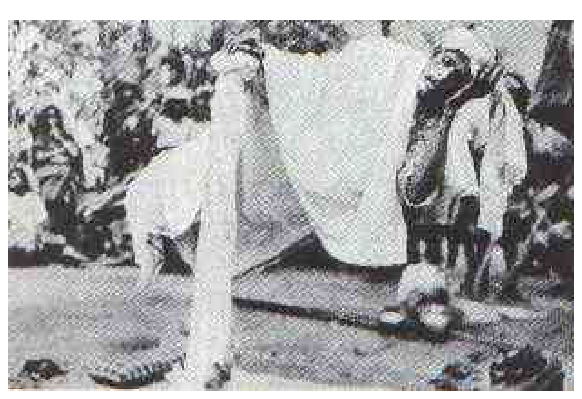
في العام ٢٠٠٣م، بعد عام كامل من التزلّف والترجّي، قبل أخيراً المتصوّف الهندي "براهلاد جاني" لأن يترك كهفه المنعزل والخضوع لاختبارات علمية يجريها فريق طبّي مؤلّف من عشرين أخصائي بارز، يرأسهم الدكتور "سودهير.ف. شاه". وبعد عشرة أيام من المراقبة المستمرّة وفي ظروف مخبرية صارمة وإجراءات مشدّدة، خرج الفريق الطبّي مشدوهاً لهذه القدرة العجيبة التي لا يمكن تفسيرها أبداً!

لقد وضعوا السيّد "جاني" في حجرة زجاجية معزولة تماماً من أي تأثير خـارجي. ليس فيها حمام ولا نافذة ولا يمكن دخولها سوى من باب زجاجي. بالإضافة إلـى خضوعه لمراقبة مستمرّة على مدار الساعة. وبعد انتهاء المدة، أكّد الفريق الطبّي بأن السيد "جاني" لم يأكل ولم يشرب طوال هذه المدّة (مع العلم بأن الإنسان العادي لا يستطيع البقاء حياً دون تناول الماء خلال ٤ أيام). ومن المعـروف أن السـيد "جاني" لم يأكل ولم يشرب منذ ٦٥ عام!!

وقد أجرى الدكتور "شاه" أبحاثاً أخرى على متصوّف آخر يُـدعى "هيـرا راتـان مانك". وهذه المرّة دامت مدّة الاختبار ٤١١ يوماً!! وخلال هذه الفتـرة الطويلـة، تناول السيّد "مانك" ماءً مغلياً فقط! هذه إحدى الظواهر الغامضة الكثيرة التي يعجز العلم التقليدي تفسيرها.

اليوغي سوبايا بولافار

والاسترفاع في الهواء



اليوغي بولافار يرتفع في الهواء أمام ١٥٠ مشاهد. صورة مأخوذة في العام ١٩٣٦م. هذه إحدى الفرص النادرة التي تتوفر فيها صور توثيقية لهذه الظاهرة العجيبة التي كان يستعرضها الكثير من المتصوفين، خاصة في الهند.



لقد حرص المصوّر البريطاني "ب.بلونكت"، الذي صادف وجوده في المكان خلال المناسبة، على أن يلتقط الصور من عدة زوايا مختلفة.

بعد عدة دقائق من التأمّل العميق، راح اليوغي بولافار يرتفع في الهواء وبقي محلقاً لمدة خمس دقائق قبل أن يعود إلى الأرض، وبقي متخشباً دون حراك لبعض الوقت قبل أن يصحا من حالة غياب الوعي.

المتصوّف الكشميري "سوامي لاكشمانجو"

سيّد قوانين الطبيعة



هذا الرجل يستطيع أن يتحكم بأي حالة أو ظاهرة طبيعية بأعلى مستوياتها وعلى أوسع نطاق، كالتأثير على الحالات الجوية مثلاً، فيجلب الأمطار الغزيرة في بلاد لا تعرف المطر أصلاً أو في فترة غير مطرية (فصل صيف)، حتى أنه يستطيع إيقاف الزلزال بشكل فوري ومباشر مجرّد أن ضرب رجله على الأرض! (الهزات الأرضية شائعة الحصول في كشمير). وخلال زياراته للولايات المتحدة، تمكن من جلب كميات هائلة من الأمطار في إحدى السنوات القاحلة في لوس أنجلوس (عام ١٩٦٩م)، ما أدى إلى حصول سيول جارفة، وهذه الحالة الجوية الشاذة موثّقة جيداً في وسائل الإعلام الأمريكية.

كان "لاكشمانجو" معلّم بدرجة عالية من التطوّر الروحي، كرّس كامل حياته لدراسة والتبحّر في نظام فلسفي قديم يُدعى "الشيفية الكشميرية" Kashmir Shaivism. في سن التاسعة عشر توصّل إلى اتحاده الأوّل مع الوعي الإلهي. هذا التواصل مع المقدّس دفعه إلى يأخذ على نفسه عهداً ليكرّس حياته المتبتّلة تحقيقاً للحقيقة الأسمى. لقد تمكّن في سن مبكرة جداً، وكنتيجة لممارساته الروحية المكثّفة، أن يحوز على قوى "السيدهي" siddhi الثمانية العظيمة المذكورة في النصوص الفلسفية الهندية القديمة.

هذه القوى المعروفة بالـــ"سيدهي"عصية عن الفهم في الحضارة العصرية حيث يسود التفسير المادي لكون. مع أنه في الحقيقة، وكما سنرى لاحقاً في أجزاء قادمة، الكون ليس مادياً كما نظنه. إنه مجرّد انبثاق للوعي. يتم اكتساب قوى "السيدهي" عبر رفع مستوى وعي الفرد إلى عالم السببية causation حيث يكون فيه العقل هو المسيطر وهناك بالذات تُسنّ قوانين الطبيعة لتُنفّذ على أرض الواقع (أي في العالم المادي). ومن خلال هذه العملية يستطيع الشخص أن يحدث تغييرات استثنائية في العالم المادي المنبعث أصلاً من عالم السببية. العقل اليوغي المرتقي لمستوى الألوهية هو الذي أقام جسر تواصل بين وعيه وبين عالم السببية. فبالنسبة لهكذا نوع من اليوغيين كل قوانين الطبيعة تقبع في عقله الواعي وتحت سيطرة إرادته. إنه يشكّل كيان واحد مع الطبيعة. ولهذا السبب تكون قوانين الطبيعة تحت سيطرته دائماً.

كان "لاكشمانجو" من بين اليوغيين النادرين الذين ارتقوا إلى هذه المرتبة. لقد استخدم قوى "السيدهي" لديه لمساعدة الإنسانية، وفعل ذلك دون البحث عن الشهرة والمجد ولا أي مقابل مادي لخدماته. وفي الحقيقة، بالنسبة إليه كان استخدام هذه القوى أمراً تافهاً لا أهمية له بالمقارنة مع الحقيقة الرائعة المتمثلة بقدرة الشخص الذي يعيش حياة زائلة أن يتحوّل إلى كائن متنوّر مكتشفاً حقيقته الأصيلة ككيان مقدّس. مع قناعة ذاتية بأن إدراك الله يمثّل ذروة الإنجازات الإنسانية، وأن هذا

الإدراك قابل لأن يتوفّر لدى جميع البشر، مهما كان لونهم، عرقهم، طبقتهم، أو جنسهم.

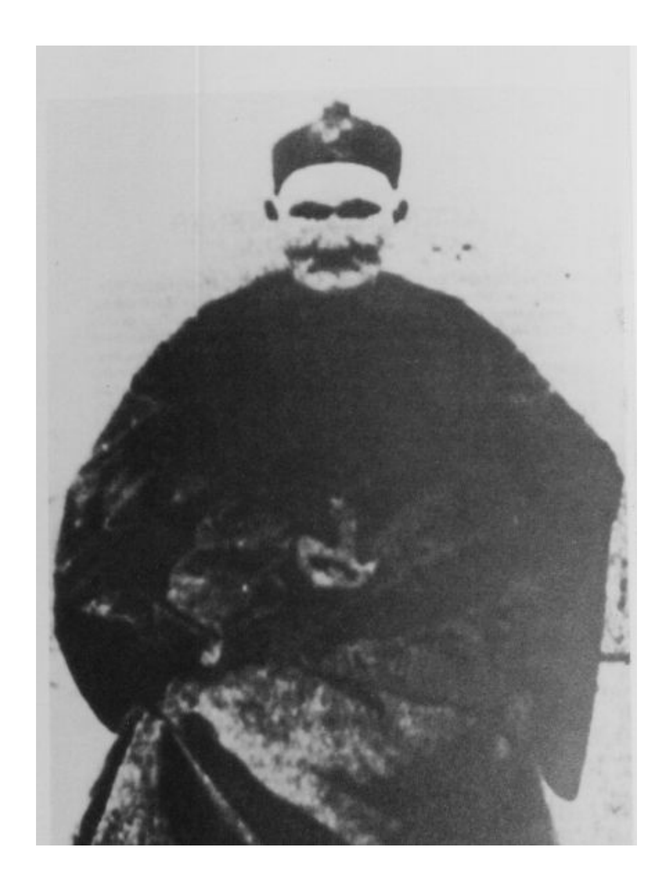
من أجل إنجاز هذه الأهداف الروحية السامية، لم ينتمي "لاكشمانجو" إلى إحدى الجامعات العالمية المرموقة مثل "أكسفورد" أو "يال" أو "هارفارد" أو غيرها من المؤسسات التعليمية العصرية التي تعلّم الإنسان بأنه كائن ضعيف لا جدوى منه، يجعل حقيقة عظمته ككائن بشري، أصله قرد، ولم يمضي وقت طويل قبل خروجه من مرحلة البدائية والتوحّش، وبدأ تواً يدخل في مرحلة التقدّم التدريجي البطيء.

إنما انخرط في نظام فلسفي قديم يُدعى "الشيفية الكشميرية"Kashmir Shaivism الذي مكنه من تحقيق هدفه. يُعتبر "لاكشمانجو" آخر الأسياد من سلالة طويلة من الفلاسفة الذين اعتنقوا هذا التقليد العريق الذي يُنقل شفوياً ويعود أصله إلى أكثر من ٥٠٠٠ سنة.

المعلّم الطاوي المخلّد

"لي تشينغ يوين"

أحد أسياد التشيكونغ الاستثنائيين



أخذت الصورة له في العام ١٩٢٧م بينما كان عمره ٢٤٩ سنة

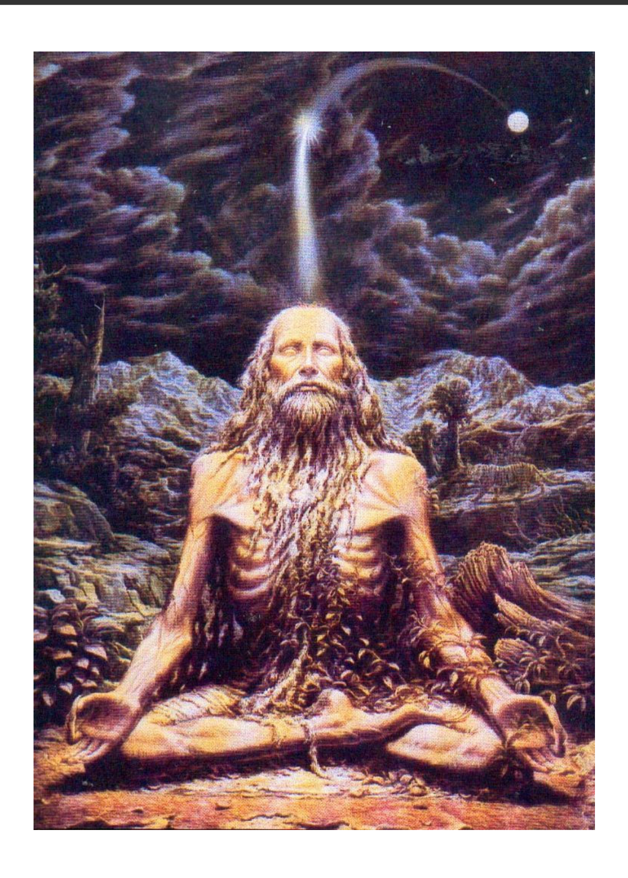
هو أحد العينات القليلة من أسياد الزمن الغابر الذين اندثروا تماماً في هذا العصر العلماني "المتنوّر" وإغواءاته الدنيوية. وُلد "لي تشينغ يوين" في العام ١٦٧٨م في شيي جيانغ هسيان بمقاطعة سيشوان، في السنة السابعة عشر من فترة حكم الإمبراطور "كانغ تشي" (سلالة مانشو). كان "لي" عالِم أعشاب وسيّد تشي كونغ

محترف، وقضى معظم وقته في الجبال. في العام ١٩٢٧م دعاه الجنرال في الجيش الصيني "يانغ سن" لزيارته في منزله في "وان هساين" بمقاطعة سيشوان، حيث التقط له صورته الشهيرة والوحيدة في حياته. توفي بعدها بسنة، أي في العام ١٩٢٨م، وكان قد بلغ ٢٥٠ سنة من العمر.

بعد وفاته، أجرى الجنرال "يانغ" بحثاً استقصائياً للتحقق من قصة هذا الرجل العجيب، وكتب بعدها تقريراً مفصلاً بعنوان: "قصة حقيقية عن رجل مسعود عمره ٢٥٠ سنة". ونشرته إحدى دور الطباعة والنشر في تايبي، تايوان.

كما أجرى بعض الأكاديميين أبحاثاً تناولت عدة رجال من نوعية المعلّم "لي تشينغ يوين" القابعين في الجبال الصينية النائية، فعادوا إلى تاريخ ولادته وتحققوا من واقعية قصته. إن حياة المعلّم "لي" تثبت مدى فعالية التقنيات الطاوية (التعامل مع الطاقة "تشي") إذا مورست بشكلها الصحيح. لقد بقي فعُالاً من الناحية الجنسية لأكثر من ٢٠٠ سنة، ولم يصاب بخرف الشيخوخة أبداً، ومات بينما أسنانه لازالت صالحة تماماً وكذلك معظم شعره.

الكثير من تلاميذه تجاوزت أعمارهم ١٠٠ سنة. كان يعلّم نوع خاص من نظام التدريب المشابه للـ"التاي تشي" وسماه "با كوا" ويشمل أصوات معيّنة، رياضة تنفّس، منظومة غذائية خاصة، ووصفات عشبية معيّنة. وادعى بأنه حاز على سرّ هذا النظام التدريبي الخاص من أحد الناسكين الزهّاد من سكان الجبال النائية، حيث التقى به المعلّم "لي" بينما كان في ١٣٠ من عمره، وذلك الناسك المعلّم كان عمره قد تجاوز ٥٠٠ سنة! والفضل في طول عمره يعود إلى هذا النظام التدريبي الخاص.



هناك الكثير من العجائب التي يستعرضها هذا النوع من البشر المميّزين. من الضروري الاطلاع عليها ربما نستنبط لمحة وجيزة عن حقيقة "من نكون" و"ما نحن عليه" و"عظمة الكون من حولنا". يبدو أن العلوم والفلسفات القديمة لم تهتم بتطوير العلوم التقنية أكثر من اهتمامها بتطوير الإنسان ذاته، خاصة الجانب الروحي منه، وهذا الجانب بالذات ليس له أي وجود بين اهتمامات المنهج العلمي السائد اليوم.

لم يعد هناك أي شكّ بأن الفلسفات الشرقية العريقة تعتمد على علوم متطورة جداً يصعب استيعابها بسهولة. لازال هناك الكثير من المراجع السنسكريتية القديمة جداً التي لم تُترجم حتى الآن، وجميعها تتحدث عن القوى الطبيعية الخفية وتأثيرها على حياة الإنسان وقدره. لكن للأسف الشديد، لم يعد هذا التوجّه ينال اهتمام أحد،

ولا حتى الهنود ذاتهم. فالدنيوية والمادية التي دنّست هذا العصر جعلت كافة شعوب العالم تلاحق أهداف مادية دنيوية أكثر منها روحية أصيلة. لكن بقيت هذه المعارف الروحية تتجلى بين الحين والأخرى على المستوى الشعبي. فهذه التعاليم المتطورة بقيت آثارها واضحة على العادات والتقاليد الهندية/الصينية ومعتقداتهم، لكنها تتجلى بأبهى حلّتها عند الزاهدين والمتنسّكين من الناس فقط. هؤلاء الزاهدون لم ينالوا نصيبهم الذي يستحقونه من التغطية الإعلامية، واعتقد بأننا أصبحنا نعلم السبب. ليس لحكام العالم أي مصلحة في تعليم الإنسان بأنه أعظم مما هو عليه بكثير ووُجد في هذه الدنيا لغايات أرقى وأكثر سمواً:

لقد حذّر الحكماء القدامى تلامذتهم بأنه وجب عدم اعتبار جسد الإنسان ممثلاً للفرد بل مجرّد منزل للفرد، وبنفس الطريقة التي يُعتبر فيها المعبد بيت الله. في حالة الدنيوية والخشونة والانحراف الفاسد، يصبح جسد الإنسان قبر أو سجن بالنسبة للمبدأ المقدّس. بينما في حالة التطوّر والتجدّد الروحي، يصبح الجسد منزل أو حرم الله والذي خُلق أصلاً بفضل قواه الخلاقة. ".. الشخصية مُعلّقة بواسطة خيط متدلى من نزعة الوجود.."، هذا ما تُعلنه الحكمة السريّة. الإنسان هو جوهرياً عبارة عن مبدأ خالد وأبدي. فقط جسده يمرّ عبر دورة من الولادة والموت. الخلود هو الواقع بعينه. بينما الفناء هو الوهم. خلال كل دورة من الحياة الأرضية، يقبع الواقع في الوهم، إلى أن يتحرر منه مؤقتاً عن طريق الموت، ويتحرر أبداً بواسطة التنوير.

وفقاً للحكمة السريّة، الإنسان، وعبر تهذيبه التدريجي من قبل وسيطه الجسدي والحساسية المتنامية نتيجة هذا التهذيب، يكون بذلك متغلباً على محدوديات المادة ويعتق نفسه تدريجياً من دوامة الفناء. بعد أن تكمل الإنسانية رحلة التطوّر الجسدي، ستخلّف وراءها القشرة المادية الفارغة لتستخدمها أفواج أخرى من الحياة كحجر عبور لتحررها. إن نزعة تطوّر الإنسان تكون دائماً نحو جوهر كينونته الشخصية. عند أقصى حالات المادية (الدنيوية)، يكون الإنسان في أبعد نقطة عن نفسه. حسب التعاليم السريّة، ليس كامل الطبيعة الروحانية للإنسان

تتقمّص في المادة. فروح الإنسان تُصوّر على شكل مثلّث متساوي الأضلاع مع أحد رؤوسه موجّهة نحو الأسفل. هذه النقطة السفلية من المثلّث، والتي تمثّل مجموع ثلث الطبيعة الروحانية، لكن بالمقارنة مع جلالة الرأسين الآخرين للمثلّث فهي تمثّل أقلّ من قيمة الثلث بكثير، تهبط إلى وهم الوجود المادي لفترة زمنية وجيزة. بينما تلك التي لا تكسو نفسها بالغمار المادي تُعتبر القسم الخارق من الإنسان. إنه "الأنثروبوس" Anthropos كما أشار إليه الهرمزيون، وهو نظير "الصقلوب" Cyclops أو العفريت الحارس لدى الإغريق، أو الملاك كما اعتبره "جاكوب بوهم" Jakob Böhme، أو "النفس الكليّة" Oversoul كما أشار إليه "أمرسون" Emerson. هذه النفس الكليّة، التي تشمل كينونة الإنسان، هي في حالة اتحاد أو اندماج مع النفوس الكلية الأخرى لباقي البشر.

عند الولادة، فقط ثلث الطبيعة الإلهية للإنسان تنفصل عن نفسها الخالدة وتنغمس في وهم الوجود المتمثّل بالولادة الجسدية (التجسّد المادي)، وبواسطة حماسها السماوي تعمل على إحياء وسيط جسدي مؤلف من عناصر مادية تشكّل جزءاً من العالم المادي الملموس مما يلزمها بالتقيّد به. عند الموت، يصحو هذا الجزء المتجلّي من حلم الوجود المادي ثم يعود للإتحاد مرة أخرى مع كينونته الخالدة. هذا النزول الدوري والمؤقّت للروح إلى العالم المادي يُسمى بـ"عجلة الحياة والموت" wheel of life and death، والمبادئ الداخلة في العملية تم تناولها بشكل موسّع من قبل الفلاسفة خلال اهتمامهم بموضوع تناسخ الأرواح metempsychosis.

مانلي. ب. هال
التعاليم السريّة لكل العصور

لقد تمكّن ممارسي هذه الأنظمة الفلسفية الشرقية العريقة، بكافة فروعها المألوفة في مناطق مختلفة في الشرق الأقصى، من استعراض العديد من القدرات الاستثنائية الموثّقة عبر التاريخ، كالقدرات التالية:

ــ تجسيد الأشياء من الهواء Manifestations.

ــ إجراء تحوّلات بنيوية في المواد Transformation. (خيمياء)

ــ التمتع بشباب متجدّد وطول العمر Rejuvenation & Longevity.

ــ التحكم بالوظائف اللاإرادية للجسم مثل خفض وتيرة الأيض، خفقان القلب.. إلى آخره.

ــ القدرة على تحمّل أقسى الظروف. كالنسّاك الأسيويين القابعين في أعلى الجبال يتحملون البرد القارص ويستطيعون توليد حرارة ذاتية غالباً ما يستثمرونها لتجفيف بطانياتهم في غياب حرارة الشمس.

ــ الموت الإرادي. بقاء الجسم متخشباً لسنوات عديدة ثم اليقظة من هذه الحالة وكأن شيئاً لم يكن.

ــ العيش دفناً تحت الأرض لسنوات دون هواء أو مأكل أو شراب.

ــ الظهور في مكانين بنفس الوقت bi-location.

ــ الانتقال اللحظي إلى مواقع بعيدة teleportation، بصيغة روحية أو جسدية.

ــ السفر عبر الزمن Time Travel، بصيغة روحية أو جسدية.

ــ الاختفاء الجسدي Dematerialization، أو الاختفاء من مجال النظر invisibility.

ــ تحوّل في الشكل والهيئة Shape shifting.

ــ الاسترفاع في الهواء Levitation.

ــ المشي على الماء

ــ التخاطر وقراءة الأفكار.

ــ الإجابة التلقائية على كافة الأسئلة مهما كان نوعها. (علم بالغيب)

ــ استشراف المستقبل.

ــ البصيرة الثاقبة في جوهر الأمور.

وغيرها من ظواهر أخرى وردت ضمن سياق مواضيع مختلفة تتناول هذا المجال بشكل مباشر أو غير مباشر.

لقد تحدثت كل من هذه الأنظمة الفلسفية عن قدرات هائلة وغير محدودة للكائن البشري، ويمكن اكتساب، أو تنمية، هذه القدرات عبر أنظمة تدريبية مختلفة حسب اختلاف المذهب الروحي أو النظام الفلسفي وغايته الروحية الخاصة. فمثلاً، هناك الاختراقات البوذية الستة Penetrations الممثلة بما يلي:

[١] ديايا.كاكسوس: العين السماوية، الاختراق الذي يرى الأشياء في السماوات.
[٢] ديايا.سروترا: الأذن السماوية أو الاختراق الذي يسمع الأشياء في السماوات.
[٣] باراتشيتا.إنانا: الاختراق الذي يعلم ما في عقول الآخرين.
[٤] بوريا.نيفاسانوسميتا.جنانا: الاختراق الذي يعلم بأجيال سابقة.
[٥] رودهيدهي.جنانا: الاختراق الذي يعبر إلى كل مكان.
[٦] أسرايكسايا.إنانا: الاختراق الذي يملأ كل مكان.

أما اليوغا الهندوسية، فتتحدث عن القوى الخارقة (الأيسوارياس) التي تحوّل الناس إلى آلهة، فيتخلصون من عبودية الظلام. هذه القوى اليوغية هي ثمانية:

[١] أنيما ANIMA، القدرة على جعل الجسم، أو أي شيء آخر، صغير الحجم بقدر ما يشاء، حتى في صغر الذرّة (آنو). [٢] ماهاما MAHAMA، القدرة على التضخيم، أي جعل الجسم، أو أي شيء آخر، كبير الحجم بقدر ما يشاء. [٣] لاغيما LAGHIMA، القدرة على جعل الجسم، أو أي شيء آخر، خفيفاً بقدر ما يشاء. [٤] غاريما GARIMA، القدرة على جعل الجسم، أو أي شيء آخر، ثقيلاً بقدر ما يشاء. [٥] بابتي PAPTI، القدرة على جلب أو اكتساب كل ما يشاء. [٦] فيسيتوا VASITWA، القدرة على التحكّم بأي شيء. [٧] بروكاميا PROKAMYA، القدرة على إشباع كل الرغبات التي لا تُقاوم بقوة الإرادة. [٨] إسيتوا ISITWA، القدرة على أن يصبح "إيسا" سيّد كل شيء.

وقد تناولت فلسفة اليوغا الهندوسية القوى الكونية "الشاكتي" Shakti التي اعتبرتها "قوة الحياة" التي يمكن التعامل معها بطرق مختلفة، وصنّفتها إلى ستة قوى:

[١] باراشاكتي Parashakti: القوة الأعلى،وتتمثّل بالطاقة والإشعاع المنبعث داخل وخارج المادة. [٢] جناناشاكتي Jnanashakti: قوى التفكير، أو العقل. [٣] إتشهاشكاكتي Ichchhashakti: قوة الإرادة، أو القوّة التي تجسّد المادة.
[٤] كرياشاكتي Kriyashakti: القوّة المسؤولة عن التجسيد المثالي. [٥] كونداليني شاكتي Kundalini shakti: القوّة التي تضبط العلاقات الداخلية مع الخارجية. [٦] مانتريكاشاكتي Mantrikashakti: القوة الكامنة في الصوت، الكلام والموسيقى.

ملاحظة: تنحدر الفلسفة اليوغية من تعاليم ضاربة في القدم وردت في النصوص السنسكريتية التي سبقت ظهور الهندوس القدامى بفترة زمنية طويلة.

سوف لن نناقش مدى صدقية هذه الطاقات وجدواها، كما أننا لن نتوسّع في هذا المجال من خلال ذكر فلسفات هندية أخرى تتحدث عن أنواع مختلفة من الطاقات الكونية، لأن هذا ليس جوهر الموضوع، بل سأتناول جانب آخر من المسألة وهو بالغ الأهمية ويتعلق بالمنطق الذي تستند عليه هذه النظرة المميزة للكون وطبيعة قواه المفعمة بالحياة بالمقارنة مع المنطق العلمي المنهجي ونظرنه الميكانيكية الميتة للكون.

طبعاً، وبالنسبة للذين لم يتبحروا في الفلسفات الشرقية، سوف لن يستوعبوا للوهلة الأولى طبيعة هذه الطاقات والمفاهيم التي تعتمد عليها، وبتالي سوف يستبعدونها تماماً ويحكمون عليها بعدم جدواها منذ البداية. والسبب هو بسيط وواضح، لقد نشأنا في بيئة معرفية/علمية لا تعترف بأي مجال أو نعتبره علماً رسمياً إلا إذا كان موضوعي، قابل للقياس، متكرر و"كمّي" Quantitative. أما الفنون والعلوم الإنسانية الأخرى، فنعتبرها غير علمية على أساس أن لها طبيعة "نوعية" ذاتية Qualitative وليست عامة. لكن في الحقيقة، وجهة النظر هذه قائمة على حقيقة أن علوم اليوم التقليدية لا تتعامل مع كل مستويات الطاقة الموجودة في الطبيعة. فنطلق كلمة "علمي" على كل ما يمكن قياسه كمياً، أو تصنيفه، أو تسميته فقط،

متجاهلين حقيقة أن عدم القدرة على قياس الشيء إنما هو في الحقيقة قصور في إمكانيات أدواتنا القياسية.

الطبيعة لا تفهم وحدات قياسنا العلمية. فالسنتيمتر والبوصة والفولت والواط والهيرتز ...الخ غير موجودة في الطبيعة وإنما هي الطريقة التي نتبعها نحن لفهم الطبيعة عن طريق جعلها "كمية" ومن ثم تصنيفها وترتيبها على شكل أقسام وأجزاء منظّمة قابلة للاستيعاب البشري.

يعتمد العلم المنهجي بشكل كامل على معطيات مستخلصة من استخدام أدوات قياس موضوعية. لقد صنع العلم الأكاديمي نظرة ميكانيكية للعالم بسبب اعتماده على أدوات القياس "الموضوعية" كما يسمونها. هذه النظرة الضيّقة للعالم تختصر كافة الديناميكيات الطبيعية في مجموعة مؤلفة من أربعة قوى أساسية فقط: [القوة النووية الشديدة، القوّة النووية الضعيفة، قوّة الجاذبية، القوّة الكهرومغناطيسية]. وبالتالي فإن العالم "الكمّي" الذي صنعه الأكاديميون اتخذ شكل "مجال من الطاقات المتداخلة" الذي لا ينتج سوى أربعة "نماذج قوى" ويدعون بأنه عندما تواجه هذه النماذج الأربعة من قبل الأعضاء الحسيّة لدينا يتم ترجمتها من قبل الأنظمة العصبية على أنها تمثّل كل العالم الذي يحيط بنا.

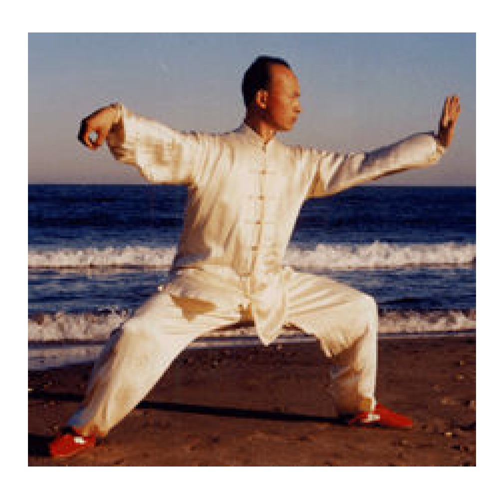
هذه النظرة "الكميّة" للعالم لا تستطيع وصف الأحاسيس، الخاصيات، أو الوعي والإدراك الباطني. فهي تعجز عن الوصف المباشر لحواسنا، مشاعرنا، أو إدراكنا. الحالات الاختبارية الفردية هي الأساس، إنها تمثّل طريقة انسجامنا وتناغمنا مع الطبيعة من حولنا عبر وسيط خفي وغير مُدرك هو "الوعي". تمثّل الحالات الاختبارية الفردية طاقات متميّزة والتي لها امتداد واستمرارية في الفضاء، إنها صلة الوصل بيننا وبين الطبيعة، لكن العلم "الكمي" لا يستطيع استشعارها أو قياسها فيتجاهلها ويعتبرها غير موجودة. فيعلّمنا في مدارسها على تجاهلها وعد اعتبارها.

إنه ليس مصادفة أن النظرة "الكمية" للعالم تعمل بشكل جيّد خلال وصفها للقوى الديناميكية الاصطناعية للفضاء الجامد، مستخدمة أدوات فحص القوة لاستخلاص المعطيات. لكن على الجانب الآخر، "التجربة الإنسانية" (كالشعور مثلاً) في جوهرها الأساسيّ لا تمثّل مجموعة قوى قابلة للقياس "الكمّي". الأسلوب التحليلي لفص القوّة لا يستطيع تفسير ظاهرة "الوعي" بشكل ميكانيكي. فهو يفشل بشكل ذريع عندما تمتدّ سطوته التحليلية لتطال ظاهرة "التجربة الإنسانية". كل ما يستطيع فعله بهذا الخصوص هو وصف التبعيات المرافقة للظاهرة وليس الظاهرة بذاتها. أي أنه يستطيع قياس ما يخلفه تأثير ظاهرة "الوعي" في مجالات مغناطيسية، كهربائية، أو كيماوية. هذا الانحراف يحصل لأن أدوات القياس لا تستطيع استشعار أو التجاوب مع تلك الطاقات المرهفة التي تُدرك حسياً فقط.

سوف أتناول هذا الموضوع بإسهاب في كتاب "أفول شمس المعارف الكبرى"

التشي كونغ

درب التنّين إلى عالم الخوارق



في نفس المنطقة، وليس بعيداً عن الهند والتبت، نجد ممارسي التشي كونغ في الصين والعجائب التي يستعرضونها. التشي كونغ Chi Kung أو Qi Gong هو نظام تأمّل خاص يُتبع فيه نوع من الرياضة الروحية/البدنية والتحكم بالتنفس. القصد من كلمة "تشي كونغ" وفق المفهوم الصيني هو السيطرة على طاقة "تشي" الحيوية المماثلة لطاقة "البرانا" الهندية. لطالما ارتبطت "التشي كونغ" بالكثير من القدرات الإنسانية الاستثنائية، وقد نالت اهتمام المجتمع العلمي الصيني طوال فترة القرن الماضي (لكن معظم مناهج الأبحاث التي أجريت في الصين على هذه الظواهر لا تتوافق مع المعايير العلمية التقليدية الصارمة وهذا ما جعل العلم الغربي يتجاهل تلك الاكتشافات الاستثنائية التي خرجت المختبرات الصينية). لكن على أي حال، هناك الكثير من المؤسسات العلمية وما تشمله من مؤسسات أبحاث مختلفة التي تتناول هذا المجال بحماسة شديدة.

أهم الجوانب التي شغلت تلك الأبحاث تمثّلت بذلك العدد الهائل من الحالات المتعلقة بالأطفال الصينيين الذين يتمتعون بطيف واسع من القدرات الاستثنائية.

هؤلاء هم "أطفال الصين الوسطاء" psychic children of China الذين كُتب عنهم الكثير في العقدين المنصرمين، أشهر تلك الكتب هو الذي يحمل عنوان "وسطاء الصين الخارقين" China's Super Psychics (إصدار ١٩٩٧م) لمؤلفه "بول دونغ" و"ثوماس رافيل". وقد تم توثيق مواهبهم الاستثنائية في الكثير من الأوراق العلمية رفيعة المستوى، خاصة تلك التي تتحدث عن الأطفال الذين يستطيعون قراءة الرسائل المختومة والموضوعة في خزنات مُقفلة، أو أولئك الذين يستطيعون الرؤية عبر الجدران.

في كتابه الذي بعنوان "لقاءات مع تشي" Encounters With Qi ذكر "ديفيد أيسنبرغ"، وهو طبيب من جامعة "هارفارد"، الكثير من الحالات المذهلة التي استعرضها بعض ممارسي التشي كونغ في الصين. إحدى تلك الحالات تتناول أختين عاشتا في منطقة بالقرب من "بكين" العاصمة، تستطيعان قراءة كل ما يكتبه فريق البحث على ورقة بعيدة عن تناولهما، وقد تكررت هذه التجربة مرات عديدة وكانتا تنجحان دائماً في استعراض هذه القدرة العجيبة.

وقد تحدث الدكتور "أيسنبرغ" عن ظاهرة أثارت ذهوله بينما كان يزور مختبرات أبحاث التشي كونغ التابعة لمؤسسة تشانغهاي للطب الشعبي الصيني. فقد استطاع أحد أسياد التشي كونغ، اسمه "لين هوشينغ"، أن يحرّك غرضاً يبعد عنه عدة أمتار دون أن يدخل في العملية أي قوة تأثير سوى السيّد وعقله المركّز على ذلك الغرض.

لقد وجد الباحثون الصينيون بأن القدرات الاستثنائية التي يتمتع بها الأفراد يمكن تعزيزها واستدامتها عبر ممارسة التشيكونغ. وقد اكتُشف بأن ممارسة التشيكونغ تدعم عملية تطوير القدرات الاستثنائية لدى الأفراد الذين لم يولدوا مع هذه الموهبة. ومن ناحية أخرى، لوحظ بأن الأطفال الذين استعرضوا قدرات استثنائية في أوقات مبكرة من أعمارهم يبدؤوا في فقدانها تدريجياً كلما تقدموا في السنّ وانخرطوا أكثر في البيئة الاجتماعية (التي يملأها الكثير من العوامل المحبطة

والمثبّطة لهذه القدرات وسوف أناقشها لاحقاً في الكتاب)، بالنسبة لهؤلاء الأطفال، يمكن إعادة إنعاش تلك القدرات والمحافظة عليها عبر ممارسة تمارين التشيكونغ. في الصين اليوم، هناك العشرات من أسياد التشيكونغ المحترفين الذين يتعاملون مع مؤسسات بحث مختلفة. أشهرهم هو الدكتور "يان كسين" Yan Xin الذي ساهم بشكل كبير في تقريب التشيكونغ إلى مختبرات البحث العلمية. لقد أجرى أكثر من ٢٠٠ تجربة علمية وفق شروط منهجية صارمة، وذلك في أشهر وأهم مؤسسات البحث العلمية في كل من الصين والولايات المتحدة، وجميعها نُشرت في معظم المجلات العلمية المحترمة. من بين أشهر ظواهر "التأثير عن بُعد" التي استعرضها في التجارب، والتي تناولتها الصحف، كانت:

ـ إحداث تغيير في تحليل رامان الطيفي Raman spectroscopy لجزيئات الماء.

ـ إحداث تغيير في البنية الجزيئية للـDNA والـRNA.

ـ إحداث تغيير في البنية السطحية لخلايا السرطان.

ـ إنقاص في العمر النصفي الإشعاعي للنظير Am (241) بشكل كبير، وهذه مهمة مستحيلة مهما كانت الوسيلة الفيزيائية.

ـ خلق حالة "بي غو" Bi-gu طويلة الأمد، قد تطول مدتها حتى ٦ سنوات. وهذه الحالة هي "الإحجام عن الطعام" بالتعبير الصيني.

أما الأمر المذهل بخصوص هذه العملية، فهو أن بعض التجارب، كالمذكورة في الأعلى، تمت بينما كان ممارس التشيكونغ بعيداً عن الهدف أكثر من ٢٠٠٠ كلم!

لقد تم التحقق علمياً من التأثير البعيد لطاقة الـ"تشي" المنبعثة من ممارس التشيكونغ، كما تم القياس الصارم لتبعات هذا التأثير على كافة المواد الجامدة والعضوية. خاصة ذلك النوع من التشيكونغ الذي أوجده الدكتور "يان كسين"، حيث يُشار إليه بـ"يان كسين تشي كونغ" Yan Xin Qigong.



الصورة التقليدية التي يمكن رؤيتها في أغلب الكتب المتناولة لهذا المجال، وحتى المخطوطات العريقة، تبيّن كيف تنبعث طاقة التشي من سيّد التشيكونغ ومبرمجة لإحداث تغيير معيّن في الشيء المستهدف وفق إرادته.

في العقدين الأخيرين، الكثير من العلماء البارعين قدموا من جامعات ومؤسسات بحث ريادية في كل من الصين والولايات المتحدة، مثل جامعة "تسينغهوا"، جامعة كاليفورنيا، وجامعة هارفارد، أجروا اختبارات متنوعة، ووفق معايير علمية صارمة، للبحث في التأثيرات البيولوجية، الكيماوية، والفيزيائية للـ"يان كسين تشي كونغ"، والتي تشمل مجالات حياتية مختلفة مثل المجال العلمي، والعلوم الفيزيائية، والتكنولوجيا. بعض من مشاريع اختبار الـ"يان كسين تشي كونغ" كانت مدعومة من قبل مؤسسة الصين الوطنية للعلوم الطبيعية.

لقد تم توثيق حجم كبير من المعطيات العلمية حول ظواهر الـ"يان كسين تشي كونغ" وتأثيراته. وقد تم مراجعتها من قبل رئيس مجلس إدارة الإتحاد الصيني

للعلوم والتكنولوجيا، الدكتور "تسين هسو تشين" الذي علّق قائلاً: *"..إنها اكتشافات علمية جديدة ومدخل إلى ثورة علمية.."*. أما البروفيسور "هانز بيتر دوير"، زميل وخليفة عالِم الفيزياء الشهير "ويرنر هايسنبيرغ" ، وهو الآن مدير معهد الفيزياء النظرية في ألمانيا، فقد صرّح معلقاً بالإيجاب على نتائج الأبحاث على الــ"يان كسين تشي كونغ" قائلاً: *".. إنها تدخل في نافذة قبولي.."*

المعطيات التي قدمتها تلك الأبحاث على طاقة الــ"تشي" التي تنبعث من ممارسة الــ"يان كسين تشي كونغ" تثبت بأنها:

ــ موجودة بشكل فعلي وملموس.

ــ يمكنها التفاعل مع، ونؤثّر على المادة بمستوييها الجزيئي والذرّي.

ــ يمكنها التأثير على المكونات الأساسية للكائنات الحيّة، مثل الماء، السكّر، الغشاء الخليوي، البروتينات، الــDNA والــRNA.

ــ يمكنها تمييز الخواص الجينية وتحسّن فعاليتها وكفاءتها دون تأثيرات سلبية.

ــ يمكن استثمارها في مجالات بيوتكنولوجية، معالجة المواد، والتفاعلات الكيماوية.

أما التأثيرات العلاجية لممارسة الــ"يان كسين تشي كونغ"، فقد تم توثيقها جيداً في الأبحاث العلمية الجارية في كل من الصين والولايات المتحدة، وبلاد أخرى. ولازال العلماء يبحثون عن تفسير علمي لحصول هذه التأثيرات، والأمر يزداد صعوبة يوماً بعد يوم في الحصول على إجابة نهائية. فيما يلي بعض آليات التأثير العلاجي للــ"يان كسين تشي كونغ":

ــ تحسين وتنظيم وظائف النظام العصبي بشكل مثالي وكامل.

ــ تحسين وتنظيم وظائف الدائرة الدموية بشكل مثالي وكامل.

ــ تحسين وتنظيم وظائف جهاز التنفّس بشكل مثالي وكامل.

ــ تحسين وتنظيم وظائف الجهاز الهضمي بشكل مثالي وكامل.

ــ تحسين وتنظيم وظائف الغدد الصماء بشكل مثالي وكامل.

ــ إحداث تغييرات إيجابية في البنية العظمية والعضلية.
ــ تعديل حرارة الجلد والتحكّم بمركز الحرارة الجسدية.
ــ تعديل الجهد الكهربي للجلد وكذلك إجراء تغيير في المقاومة الكهربائية للجسم.
ــ تحسين وتنظيم وظائف الجهاز المناعي للجسم بشكل مثالي وكامل.
ــ تمكين الكائن البشري من إطلاق طاقة "تشي" والقدرة على نقل الطاقة.

يمكن إحداث هذه التأثيرات ذاتياً عبر التأمّل، أو إرسالها أثيرياً إلى شخص آخر مهما كانت المسافة الفاصلة! هنا يكمن اللغز الكبير الذي أعجز العلماء. كيف يمكن للتشيكونغ أن يؤثّر على الصحّة بهذه الطريقة؟! ما هي تلك الآلية الخفية التي تطلقها جلسة تأمّل التشيكونغ والتي تؤدي إلى كل هذه التغييرات الفيزيولوجية في جسم الإنسان؟ لسوء الحظ، لازال الجواب يمثّل لغزاً بالنسبة لهؤلاء الباحثين الأكاديميين. وفي الحقيقة، هذا هو السبب الرئيسي وراء استبعاد الكثير من الأطباء والعلماء الأكاديميين واقعية تأثيرات التشيكونغ ويتجنبوا النظر في نتائج اختبارها كما يتجنبوا الطاعون. فرأوا أخيراً أن الأفضل بالنسبة لهم هو تكذيب الظاهرة بدلاً من الاعتراف بها والوقوف أمامها كالبلهاء.

إن الأمر في الحقيقة أسهل مما نتصوّره. كل ما عليهم فعله هو النظر للظاهرة من زاوية مختلفة تماماً عن تلك التي يتبعها العلم المنهجي. إن مجرّد إجراء تعديل طفيف في تعريف "الوعي" يكفي لحصول نقلة نوعية في نظرة العلم لكل شيء. العلم المنهجي لازال يفصل بشكل قاطع بين العقل والجسد مدعياً أن كل منهما يجري بطريقة مختلفة ووفق آليات مختلفة. وإذا ذُكر "الوعي" علمياً، فسوف يُعتبر من أحد منتجات الدماغ (كما رئينا في التعريف العلمي للإنسان) كما هي الحال مع العقل الذي يعتبره البعض غير موجود أصلاً، بل مجرّد تيارات حسيّة داخلة وخارجة، كما رأينا.

لكن تعريف الفلسفات الشرقية (بما فيها مذهب التشيكونغ) هي مختلفة تماماً. جميعها تُجمع على أن الوعي هو نوع من ***الطّاقة***.. يمكنها أن تتخذ شكل طاقة

كونيّة، أو طاقة فردية تنبعث من الفرد ذاته. إنها تتوغّل في كل شي من حولنا وداخلنا وتشكّل المحتوى الجوهري لكل جسم مادي، جامداً كان أو حياً. إنها طاقة منظّمة.. طاقة عاقلة مجهولة المصدر.. آلية عملها غامضة.. لكن إذا قمنا بتغيير نظرتنا التقليديّة تجاه موضوع ***الوعي***.. لا بدّ من أن نقترب إلى الحقيقة أكثر وأكثر. حينها فقط نستطيع فهم طبيعة القوى الكونية الستة "الشاكتي" Shakti مثلاً، وبدون أي صعوبة.

بينما نحن لازلنا في الصين، دعونا نعرّج على ذلك المعقل الشهير المتخصّص في تخريج النمور والتنانين. هناك الكثير مما وجب معرفته عن تعاليم مدرسة تشاولينغ Shoaling لفنون القتال.

فلسفة التدريب الجسدي/العقلي المتبعة في

مدرسة تشاولينغ لفنون القتال



ربما الصورة البديهية التي تتشكّل لدينا أوّل ما نسمع عن هذا المعهد الخاص لتعليم فنون القتال تتمثّل بمشهد عنف وصراخ و.. قتال. لكن يبدو أن هناك المزيد في الأمر. فالتهذيب الجسدي لا يمثّل الغاية النهائية، بل هناك قسط كبير من التهذيب النفسي والعقلي أيضاً. وهذا يحتّم وجود فلسفة خاصة تتناول جوانب مختلفة من

طبيعة الإنسان وقدراته الكامنة، وعلى أساسها يُصاغ أنظمة تدريبية خاصة تساعد على تجسيدها على أرض الواقع. وهذه الفلسفة أيضاً تتمحور حول التحكم بطاقة "تشي" بطرق مختلفة.








لطالما اهتمّت مدارس فنون القتال في الصين، مثل مدرسة شاولينغ Shoaling الشهيرة، باستنهاض قدرات استثنائية معيّنة لتساهم في صناعة الجسد الخارق. فأنواع الكونغ فو kungfu (فن قتال) المختلفة مثل كونغ فو "الرأس الحديدي"، "البطن الحديدي"، "الجسم الحديدي"، "الجلد الحديدي"، "اليد الحديدية"، اللكمة القصيرة،.. وغيرها لا تتوقّف عند تقسية الجسد لجعله حديدياً، بل تتجاوز ذلك إلى ما هو أكثر بكثير.

فمثلاً، نظام كونغ فو "تشاو غار" (السرعوفة المتعبدة) هو مشهور باستعراض "قوّة الإنش" inch force power (اللكمة القصيرة). هذه القوة لا تنبعث من القبضة فحسب، بل من كامل الجسم. ويمكن استنهاض هذه القدرة العجيبة فقط عبر أساليب تدريب عقلية شاقة واستثنائية، وغالباً ما تكون طويلة الأمد، قاسية ومملة.

لكنها في النهاية تضمن انتصر ممارس الكونغ فو مهما بلغت القوة العضلية لخصمه.

هذه القوة العجيبة، والمعروفة بين ممارسي هذا الفن القتالي باسم "جَن" Gen، هي قوة متفجّرة تنبع من داخل كيان الممارس. هناك عدة أشكال لإطلاقها، وذلك عبر حركات جسدية قصيرة وخاطفة مما تجعلها تخرج متفجّرة، لكنها في النهاية تخضع للإرادة الفكرية أكثر من الحركة الجسدية. خلال التعامل مع هذه القوة، أنت لست بحاجة إلى العودة بيدك أو رجلك مسافة بعيدة للوراء من أجل إحداث صدمة مدوّية في جسد الخصم، بل حركة قصيرة وخاطفة تفي بالغرض، فتتفجّر هذه الطاقة الغامضة من جوهرك وتنزل على الخصم كالصاعقة.

تشمل قوة "جَن" Gen عدة وجوه مختلفة، بما فيها قوة متفجّرة، قوة ثقيلة، قوة صدمة، قوة اللكمة القصيرة، قوة طريقة وقوة قاسية، قوة متجذّرة، وأخيراً قوة العقل. إحدى التمارين الهادفة لتنمية "تشي ساو" Chy sau (اليد الطاحنة) تعمل على تطوير الذراع، المعصم، الزند، الكتفين والظهر.. رغم أنها تبدو تمارين سهلة، إلا أن هدفها هو دفع الطاقة الحيوية الكامنة (تشي) نحو رؤوس الأصابع، مزوّدة إياها بقوة "جَن" Gen المتفجّرة. فتصبح العظام، المفاصل والأربطة قوية جداً فتحوز الأطراف بالكامل على قوة "جَن" الثقيلة. هذا التمرين له ١٨ صيغة مختلفة، وكل منها يضمن إنتاج مقاتل شديد وقوي.

تمرين "دوي تشونغ" Doy Chong (أو تمرين الذراع المزدوج)، يطوّر ما يمكن تسميته "ساي بون ليغ" أو القوى الأربعة. هذه القدرة تعزّز انطلاق "الطاقة المتحرّكة" التي طالما تحدث عنها الكثيرون لكن القليلون فقط حازوا عليها. يمكن استعراض مفعول هذه "الطاقة المتحرّكة" عبر حالات كثيرة، مثل: إطفاء لهب الشمعة من خلال لكمة موجّهة إليها عبر مسافة عدة أمتار، أو القدرة على إشعال الشمعة بواسطة التحديق بالعين من نفس المسافة (باستخدام تقنية تحديق التنين)، أو غيرها من استعراضات مختلفة.

هناك الكثير من التمارين وأنظمة التدريب المشابهة لكن أعتقد بأن الفكرة توضّحت بهذا الخصوص.

يمكننا الحديث عن الكثير من أنظمة التدريب الشرقية الأخرى التي تمكّن الفرد من استنهاض أو تجسيد أشكال مختلفة من الظواهر الخارقة، لكننا في صدد موضوع آخر مختلف تماماً، مع أنني سأورد الكثير منها ضمن سياق المواضيع في هذه السلسلة من الكتب. لكن في النهاية وجب ذكر نقطة مهمة جداً في هذه المناسبة وهي أن هذه الفلسفات وأنظمة التدريب المختلفة، مهما اختلفت في الشكل والمظهر وحتى في الهدف والغاية، إلا أنها تتوحّد جميعاً حول ذات المفاهيم ونفس المنطق. وفي الحقيقة، جميعها تُعتبر كيانات منفصلة تفرّعت أصلاً من مصدر واحد، ومن الواضح أن هذا المصدر كان عظيم وهائل وجبار، لكنه اندثر لسبب ما في أحد العصور الغابرة. وما انحدر منه من تعاليم وفلسفات متفرّقة هو، رغم عظمته، مجرّد فتات بسيط بالنسبة لما كان قائماً في ذلك الزمن المجيد.

وإذا قمنا بإجراء مقارنة سريعة بين المنهجين: [العلماني/المادي] العصري و[الفلسفي/الروحي] القديم، أعتقد بأن المسألة قد حُسمت بشكل واضح. فكل منهما ينظر للإنسان بطريقة مختلفة ووفق مفاهيم مختلفة.

والآن، من أجل التعمق أكثر في بحثنا عن حقيقة "من نحن".. و"عظمة الكون من حولنا"، سوف نتابع رحلة استكشافنا حول العالم بحثاً عن خيوط أولية ترشدنا إلى جوهر طبيعتنا الأصيلة. سوف نلقي نظرة على منهج علمي غامض ومستتر لكنه واسع الانتشار. صحيح أنه محظور ومُحرّم في أغلب الأحيان، إلا أنه موجود، وجذوره راسخة بعمق على المستوى الشعبي. نشير إليه غالباً باسم "السحر" لكنه يمثّل أكثر من هذه الكلمة بمستويات عديدة.

السحر بين الشعوذة والتجديف والحكمة المفقودة

اليوم، عندما نسمع الكلمة "سحر"، أوّل ما يخطر لنا صورة الرجل الطويل الهزيل الواقف على المسرح أو في شاشة التلفزيون، مرتدياً بذلته الرسمية والأنيقة ويسحب الأرنب من قبعته الطويلة، أو يقصّ فتاة جميلة داخل صندوق بمنشار، أو غيره من استعراضات مثيرة نسميها ألعاب خفّة تستند على عامل الخداع البصري. في الحقيقة، هذا النوع من السحر لا يستحقّ أكثر من كونه "سحر استعراضي" يهدف إلى تسلية المشاهدين من خلال إثارة فضولهم لأنه، كما ذكرت، يستند على خفّة اليد والخداع البصري الذي يدعو للدهشة والعجب فعلاً. لكن من المؤكّد أن هذا ليس "السحر" الحقيقي والجدّي الذي كان يُمارس منذ آلاف السنين وبالإضافة إلى المُعتقدات التي كانت تتمحور حوله. فهذا السحر "الجدّي" يستند على قوانين، وهذه القوانين إذا لم يكن الممارسون يؤمنون بها، كانوا على الأقل يلتزمون بها من أجل الحصول على نتيجة.

يُعرف السحر بشكل عام بأنه ***علم التحكّم بقوى غير مرئية لإحداث تغيير في كل من العالمين المرئي وغير المرئي***. وقد استُخدمت كلمة "سحر" عبر العصور لوصف أحداث وظواهر لا يمكن تفسيرها وفق المنطق العلمي المألوف. ولهذا السبب، فالكثير من الظواهر الطبيعية التي تعذر تفسيرها في الماضي كانت تُعتبر سحراً، مثل المغناطيسية.. وحتى الكهرباء التي كانت في القرن التاسع عشر تُعتبر طاقة ماورائية! ربما نحن في هذا العصر لا ننظر للتيار الكهربائي بنفس الطريقة التي كانت سائدة في تلك الأيام الأولى لاستكشاف الكهرباء، حيث كانت عملية تمرير تيار كهربائي عبر سلك طويل لتدوير محرّك يجعل الكثير من المشاهدين يُصابون بالإغماء لشدّة ذهولهم من المعجزة التي تتجلى أمام عيونهم!

لقد لعب السحر جزءاً مهماً في حياة الشعوب القديمة، حيث كان بقاءهم يعتمد بشكل كبير على صحّة مزروعاتهم وماشيتهم، والعيش بتناغم مع الطبيعة من حولهم، وهذه الحالة لا يمكن ضمانها سوى بواسطة السحر الذي كانوا يمارسونه

بمظاهر وأشكال مختلفة. خلال فترة عصر النهضة في أوروبا أدى ظهور الممارسات السحريّة للعلن، وبالإضافة إلى بروز علماء أكاديميين يتناولون السحر في كتاباتهم (خاصة خلال الحركة الأرواحية Spiritism التي اجتاحت العالم الغربي في القرن التاسع عشر)، أدى ذلك إلى ظهور مفاهيم جديدة حول عملية التحكّم بقوى الطبيعة من خلال تسخير طاقات الأرواح/الشياطين وكذلك طاقات الإنسان الخارقة. هذا كله سبب إعادة انبعاث لتعاليم السحر والخيميا من سباتها الطويل، أو على الأقل، من تداولها في الخفاء إلى العلن وإخضاعها للبحث والدراسة العلمية. كان هؤلاء الأكاديميون من بين العلماء العصريين الأوائل الذين حاولوا استكشاف طريقة تفاعل عالم الأرواح مع العالم المادي الملموس من أجل إحداث تغييرات جذرية في المادة الصلبة. أشهر الفروع العلمية التي انبثقت من هذا المجال هي "الباراسايكولوجيا" و"جمعية الأبحاث الروحية".

وجب عدم الخلط بين السحر والقدرات العقلية الخارقة التي ستعرضها بعض الأشخاص الموهوبين. فالسحر لا يولد بالفطرة كما مُعظم تلك القدرات الخارقة، بل هو علم قائم بذاته ويمكن أن يتقنه أي فرد من خلال التدريب وفق منهج محدّد وهذه المناهج السحرية هي التي أصبح يُشار إليها عامة بالعلوم الخفية Occult Sciences.

كان السحر يُمارس بشكل واسع في المجتمعات الوثنية القديمة، وذلك ليس كتقاليد فولكلورية متوارثة فحسب، بل اعتبروه طريقة مجدية للحصول على نتائج عملية. لكن من ناحية أخرى، يمكن أن تمثّل هذه الممارسات السحرية (الشعائر والطقوس) أعراف رمزية لطريقة نظر المجتمع إلى العالم الروحي وكذلك إلى آلهته وأساطيره. عند هذه النقطة بالذات، غالباً ما يندمج السحر مع الدين، وبالفعل، فإن الخط الفاصل بينهما يتلاشى ويختفي عند محطات كثيرة خلال المقارنة بين المنهجين. فعادة ما يُعتبر الدين "اعتراف رسمي عام بالروحانيات"، بينما السحر يميل إلى كونه قطاع روحاني خاص وموجّه إلى هدف مختلف يتمثّل بالحوزة على

قوة ماورائية معيّنة أو تحقيق غاية ماورائية معيّنة بدلاً من مجرّد التسليم وعبادة سلطة ماورائية كما في حالة الدين.

أما ***السحر الأسود***، والذي ويسمى أيضاً ***بالشعوذة***، فيمكن اعتباره الجانب الظلامي من السحر والذي يستند على استحضار ما يسمى القوى الشريرة أو قوى الظلام التي يطلب مساعدتها عادة لإنزال الدمار أو إلحاق الأذى أو تحقيق مكاسب شخصية على حساب الآخرين. هناك جدل حول تقسيم السحر من الأساس إلى سحر أسود وسحر أبيض، فكل سحر هو اسود حسب معظم الأديان وخاصة السماوية منها، حيث كان الاعتقاد السائد بأن للمشعوذ بالفعل قدرة على إنزال المرض أو سوء الحظ أو العقم وحالات أخرى ولا يزال هذا النوع من الاعتقاد سائدا في العصر الحديث. أكثر الوسائل شيوعاً في تطبيق السحر الأسود هو استخدام دُمى تُمثّل الضحية أو أشياء مأخوذة منه (كالشعر أو قطعة قماش من رداءه أو صورة له وهناك من يكتفي بالاسم فقط)، يقوم المشعوذ بمخاطبة هذه الأشياء وكأنه يخاطب صاحبها فعلاً، وما يجريه عليها من سحر وأذى سوف ينتقل إلى صاحبها ويتجسّد لديه بشكل فعلي. لكن بنفس الوقت، يمكن استخدام نفس الوسيلة لأغراض خيّرة، حيث تُستخدم الدُمى الممثلة للشخص، أو أشياء مأخوذة منه، من أجل شفاءه من مرض ما أو إنقاذه من حالة ما، هذا إذا كان المريض بعيد عن موقع وجود الساحر. أما الوسائل المستخدمة بشكل واسع في بلادنا، فهي الطلاسم السحرية المؤذية التي يصنعها المشعوذ متبعاً خطوات معيّنة ووفق طقوس وشعائر محددة (حسب المنهج السحري) بهدف إلحاق الأذى بالضحية المستهدفة.

في الحقيقة، هناك فرق كبير بين السحر والشعوذة حيث السحر هو، كما سبق وذكرنا، علم التحكّم بقوى غير مرئية لإحداث تغيير في كل من العالمين المرئي وغير المرئي. بينما الشعوذة أو السحر الأسود هو استخدام هذا العلم الذي يستند على ذات المفاهيم والقوانين لكن لغايات شريرة مؤذية.

سبق وذكرت أن السحر لعب جزءاً مهماً في حياة الشعوب القديمة، حيث كان بقاءهم يعتمد بشكل كبير على صحّة مزروعاتهم وماشيتهم، والعيش بتناغم مع الطبيعة دون أي خلل أو مشكلة، وهذه الحالة لا يمكن ضمانها سوى بواسطة السحر (حسب اعتقادهم). وبالتالي، كان طبيب القبيلة (الذي هو ساحر بالمفهوم العام) يُعتبر أهم عنصر في المجتمع، لأنه يحوز على كافة الحلول لكافة المشاكل، وكل التفسيرات لكل الغوامض. ومن هنا ارتبطت به كلمة "حكيم" التي لازالت تُستخدم اليوم عند البعض للإشارة إلى الطبيب العصري.

غالباً ما يولد هؤلاء الأشخاص مع قدرات خارقة تمكنهم من الشفاء بطريقة غامضة، فيتم الاهتمام بهم ومنحهم ذلك المنصب المقدّس المتمثّل بطبيب القبيلة. لكن في الحالة العادية، أغلب هؤلاء الأطباء السحرة (الشامانيين) هم أشخاص عاديون لكنهم يخضعون للتدريب والتعليم لاحتراف هذه المهنة، وغالباً ما تكون العملية متوارثة من الأب (أو الأم) إلى الابن (أو البنت). كان هؤلاء الأطباء مسؤولين عن صحة البشر والحيوانات والنباتات. هذه الجوانب كانت مهمة جداً لبقاء المجتمع ورخاءه.



شاماني هندي من إحدى قبائل أمريكا الجنوبية




شاماني من الفيليبين، ومن جزر الكاريبي




شامانـي في آسيا الوسطى، وفي أفريقيا

لقد قام ممارسي السحر عبر العصور بممارسته بطرق وصيغ مختلفة ومتنوعة. لكن غالباً ما تشترك جميعاً بعامل واحد وهو الشعائر والطقوس، التي رغم اختلاف مظهرها (رقصات، أو غناء أو قراءة متكررة لأقسام وآيات، أو تناول مواد مخدّرة... إلى آخره) فهي تهدف لغرض واحد وهو دخول الساحر في ***حالة بديلة من الوعي*** من أجل توفير الظروف والشروط المناسبة لتجسيد السحر المرغوب. العنصر الآخر الذي لا يقلّ أهمية هو ***الكائن الماورائي*** الذي يتم

التواصل معه خلال إقامة الطقس. وكانت تختلف هذه الكائنات الماورائية حسب اختلاف المنهج السحري الذي يتبعه الساحر أو الثقافة التي ينتمي إليها، وبالتالي اختلفت أوصاف هذه الكائنات وتسمياتها. فعرف مفهوم الجن، والشياطين، والعفاريت، والأرواح، والأشباح، والغول، والمارد، والحوريات، والملائكة... وغيرها. كل شعب كان له منهجه السحري الخاص ويتميز عن غيره بكائناته الغيبية والتقاليد التي تحكم التعامل معها.

إذاً، رغم الاختلاف الكبير الذي يبدو واضحاً بين المناهج السحرية المختلفة حول العالم، إلا أنها تستند جميعاً على ذات المجموعة من المبادئ والمفاهيم. لكن هذه المبادئ لم تنجو من التحريف والتشويه عبر توالي العصور، لغايات وأسباب كثيرة لا مكان لذكرها هنا، مما جعلها تنحدر إلينا بشكلها الحالي، أي مجموعة من الممارسات الشاذة والطقوس المنحرفة وغير المجدية. وهذا لا يستثني الممارسات السحرية في بلادنا العربية التي أصبحت تشمل مجموعة من الخرافات والفهم السطحي والخاطئ لما يجري وكيف يجري خلال العمل بالسحر.

مجرّد ما تصفّحت كتاباً سحرياً، سوف تجد فيه مواضيع غريبة وشاذة وغير عقلانية، ومن هنا جاء الاشمئزاز العام من هذا المجال والمتعاملين به. فيما يلي عيّنات لبعض المواضيع الواردة في الكتب السحرية العربية بشكل عام:

ـ باب في الرؤية المنامية أو الحلم
ـ إحضار نفر من الجن وإرسال هاتف وحل مربوط
ـ باب عقد لسان
ـ تلبيس وصرع
ـ باب لجميع الطبائع
ـ استخدم وجلب وتهييج
ـ باب للتهييج
ـ باب مندل وحضور الملوك الأربعة
ـ باب تلبيس
ـ باب قسم ميمون أبا نوخ
ـ باب تلبيس كف وإرسال
ـ باب إرسال هاتف
ـ باب تهييج وجلب
ـ استخدام السيد طارش ملك العمار
ـ باب تلبيس للملوك السبعة

ـــ باب ترحيل الجارة السوء
ـــ باب تفريق
ـــ باب عقد لسان
ـــ باب استنطاق عامر المكان
ـــ باب تحضير دهموش العفريت
ـــ باب تسليط رمد
ـــ طلسم للجلب
ـــ طلسم لجلب الرزق
ـــ باب تحضير الميامين
ـــ باب محبّة من المجرّبات

معظم المواضيع التي شغلت السحرة عبر القرون المظلمة الماضية أصبحت في هذا العصر بالية ومن غير اللائق ذكرها أو التعامل بها، ولا يستسيغها سوى الحسودين والشاذين جنسياً وذوات النوايا الشريرة وضعاف النفوس بشكل عام. هذا هو السبب الرئيسي وراء اعتباره علماً أسود مرتبط بالشرّ، وهو كذلك فعلاً.

بعد تكوين صورة جزئية عن هذا المجال من خلال الاطلاع على ما ورد في الفقرات السابقة، أعتقد بأنه حان الوقت لذكر الجوهر الذي له علاقة بموضوعنا الرئيسي، وسنفعل ذلك من خلال التعرّف على الآلية المتبعة لصناعة السحر، وهي متشابهة جوهرياً بين كافة ممارسي السحر حول العالم.

صناعة السحر

ويُشار إليها أيضاً بعملية إلقاء السحر Spell Casting وهي عبارة عن صيغة مكتوبة أو محكية، الغاية منها خلق تغيير ما أو سلسلة أحداث يرغبها الساحر في الهدف. يعود تاريخ الاعتقاد بـــ"صناعة السحر" واستخدامه إلى الزمن الأوّل. لقد شكّلت هذه العملية عنصر جوهري للعديد من الممارسات السحرية والدينية المختلفة. تختلف أساليب هذه العملية حسب الثقافة والحضارة، لكن في النهاية جميعها تشترك بعامل واحد يجمعها وهو النشاطات الشعائرية (أي تتشكّل قوة السحر خلال ممارسة طقوس معيّنة).

هناك تشابه كبير بين صناعة السحر والصلاة، حيث كلاهما يمثلان وسائل تضرّع لكائن غيبي مقدّس، قد يكون إله أو مجموعة آلهة، وذلك للحصول منه على الغاية

المنشودة. والتضرّع في حالة السحر هي عبارة عن استحضار كائن روحي بشكل شعائري في شيء ما أو مكان ما أو هدف ما أو وضع ما. وهذه العملية تتطلّب: [١] "تصوّر" الهدف المنشود، [٢] "التعبير" عن التوق إلى تحقيق الهدف المنشود، وأخيراً [٣] حركات أو وضعيات شعائرية للجسم، مثل انحناء الرأس، تكتيف اليدين أو تشبيكهما، أو إغماض العينين.. أو الرقص أو الغناء أو قرع الطبول.. إلى آخره.

وهناك أيضاً علاقة وثيقة بين صناعة السحر والوسائل العصرية المختلفة التي بدأنا نسمع عنها هذه الأيام والتي تهدف إلى تسخير الطاقات العقلية الكامنة مثل: "التخيّل الخلاق" creative visualization، التفكير الإيجابي" positive thinking، التصوّر الإيجابي" positive imaging، وما أصبح شائعاً حديثاً والمعروف بـــ"قوة الجذب" Power of Attraction. إن هذه الوسائل الحديثة تشبه الطريقة المُتبعة عادةً خلال صناعة السحر (لكن بصيغة مختلفة) وجميعها تهدف لغاية واحدة هي تقوية رسوخ الصورة الذهنية بحيث تصبح وكأن الفرد يعيشها فعلاً. يكرّر الشخص نيته في تحقيق هدف معيّن ويربطها بعملية "طرح الإرادة" projection of will، وغالباً ما يفعل ذلك خلال التضرّع لكائن غيبي أو كيان مقدّس طلباً مساعدته. (سوف أشرح كافة هذه المراحل لاحقاً).

هناك أنواع عديدة من السحر. بعضها ذو طبيعة خيّرة بينما البعض الآخر مؤذي وشرير. معروف عنه أن تأثيره فعال على الإنسان والحيوان والنبات. أما الغايات التي يُصنع من أجلها فهي غير محدودة، بما فيها غايات علاجية، شؤون الحب، النجاح في الحياة، المال، الخصوبة، طول العمر، الحماية ضد الكوارث أو الأمراض أو سوء الحظ أو النوايا الشريرة، كما يُصنع السحر من أجل طرد الأرواح بأنواعها، النصر في الحرب، أو التفوّق على الخصم، والتحكم بالمناخ، وإنجاز أعمال خارقة. عندما يُلقى السحر على الأعداء غالباً ما يجلب عليهم المرض، الدمار، فقدان الحب، الوهن، فقدان الممتلكات، الفشل، وحتى الموت.

يمكن للشخص أن يصنع السحر لنفسه أو يصنعه للآخرين. السحر الإيجابي معروف بشكل عام باسم "البركة" blessing. أما السحر السلبي فهو معروف باسم "اللعنة" curse أو "النحس" hex. في معظم الثقافات حول العالم، يقوم السحرة والمشعوذين والأطباء الشامانيين، وغيرهم من الأشخاص الموهوبين روحياً أو المنخرطين في هذا المجال بشكل عام، بصناعة السحر على أنواعه، حيث هناك المؤذي منه وهناك المفيد. يُصنع السحر لتلبية رغبات الفرد أو مجموعة من الأفراد. فيمكن صناعة السحر من قبل شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص.

كيف يُصنع السحر؟

صناعة السحر هو عملية ذهنية/إيحائية تتطلب وجود ساحر، مشعوذ، أو طبيب شاماني، أو غيره.. ليؤدي الإجراءات اللازمة بطريقة شعائرية. غالباً ما تمثّل الإجراءات اللازمة ***تلاوة التعاويذ*** أو تكرار التلفّظ بكلمات سحرية خلال ***التركيز على الهدف وتصوّر الغاية من السحر الموجّه إليه***. والشعائر التي تُمارس هي عبارة عن ***تصرفات يقوم بها الساحر خلال التعزيم*** (الذي يشمل التلاوة والتركيز على الهدف وتصوّر الغاية من السحر). وتتراوح هذه التصرفات بين الرقص أو هزّ الرأس أو غيرها من حركات، أو الجلوس بوضعية العبادة (التضرّع أمام صنم معيّن أو التوجّه للإله)، أو التمثيل بدمية تمثّل الهدف أو كتابة طلسم أو استخدام أدوات سحرية مثل "الخشخاش" أو الطبلة أو غيرها..

إن الغاية الأساسية من الطقوس التي يُصنع خلالها السحر هي الرفع من مستوى الطاقة الروحية المتشكّلة في موقع إجراء الطقوس. هذه الطاقة الروحية، المتولّدة من الساحر أصلاً، تتألف من عدة روافد: الرافد الأوّل يأتي من الطاقة المتشكّلة نتيجة ***التصوّر*** visualization. الرافد الثاني يأتي من الطاقة المتشكلة نتيجة ***التعزيم*** incantation. الرافد الثالث يأتي من الطاقة المتشكلة نتيجة ***التضرّع*** لكائن غيبي أو كيان مقدّس (وهو عبارة عن مجسّم فكري مٌبرمج لتحقيق الغاية من السحر، وهذه وسيلة مجدية لعملية "طرح الإرادة" projection of the will). هذه الروافد تجتمع لتشكّل الطاقة السحرية (سوف أتناولها بالتفصيل في الجزء

الثاني). إذاً، ***الطقس السحري*** هو القيام بتصرفات معيّنة (الرقص أو الغناء أو الجلوس بهدوء في وضعية التأمّل أو غيرها) التي تساعد الساحر على رفع الطاقة الروحية (المُبرمجة لهدف معيّن) وجعلها تتراكم وتتكاثف ثم الإطلاق نحو الهدف. وجب على العناصر الثلاثة المذكورةسابقاً أن تكون حاضرة لتشكّل المناخ المناسب لظهور طاقة السحر. ومن هنا أصبح يميل هذا العمل إلى كونه فنّ بحد ذاته لأن الأمر يعتمد على مهارة الساحر والأساليب التي يستنبطها ليتمكن في النهاية من التنسيق بين هذه العوامل الرئيسية لصناعة سحر قوي وفعّال.

بشكل عام، تكون الكلمات التي يتلوها الساحر خلال الطقس السحري عفوية أو تلقائية حيث تُستخدم للتعبير عن مبتغاه أو نيّته. لكن هناك من يفضّل الكلمات المتناغمة أو على القافية (أبيات شعرية)، حيث يُعتقد بأن هذه الطريقة تخلق إيقاع شعري معيّن يساعد في تأجيج الطاقة الروحية المتشكّلة خلال التعزيم. ومن ناحية أخرى، هناك من يفضّل تلاوة آيات معيّنة من الكتب المقدسة، حيث يُعتقد بأن يد الله ستساهم في تحقيق الهدف من السحر. يمكن إيجاد الكثير من التراتيل والتعازيم والأشعار والتعاويذ في الكتب السحرية القديمة وهي على أنواع وبصيغ مختلفة. لكن في النهاية، وكما يصرّ مُعظم السحرة العقلانيين، فمن الواضح أن السرّ لا يكمن في هذه التعاويذ والأشعار، وأكبر دليل على ذلك هو أنك لا تستطيع صناعة السحر مجرّد أن قمت بتلاوتها، وهذا يؤكّد بأن هناك عوامل كثيرة أخرى وجب توفرها من أجل صناعة السحر.

معظم الممارسين لازالوا يخلطون بين "التعاويذ السحرية" التي يُعتقد بأن قوة السحر يكمن فيها، وبين "المانترا" وهي صيغة محكية يتم من خلالها تلفّظ كلمات محددة ووفق نغمة محددة وبوتيرة محددة، وهي فعلاً تولّد طاقة متذبذبة لها تأثير كبير في إنجاح السحر. المصريين القدامى مثلاً كانوا يستخدمون كلمات سحرية محددة وبنغمة معيّنة لتحقيق السحر المطلوب مباشرة. وهذا يعيدنا إلى مفهوم "المنترات"، والتي يختلف مبدأها عن تلاوة التعاويذ.

في الحقيقة، إن مجرّد تلاوة كلمات تلقائية نابعة من القلب يكفي لإنتاج هذا الرافد من الطاقة. فالكلمات المحكية خلال صناعة السحر ليست مهمة بقدر أهمية النيّة المتشكّلة في قلب الساحر. وهذا أيضاً لا يستطيع وحده صناعة السحر إلا إذا اجتمع مع روافد أخرى خلال الطقس السحري، حيث عندما تجتمع كافة الروافد (المذكورة سابقاً) يكتمل المناخ المناسب تلقائياً، فتزداد كثافة التركيز على الهدف والإرادة المرغوبة من السحر، وتصوّر النتيجة مسبقاً وكأنها حصلت فعلاً (وهذه الأخيرة هي مهمة جداً). وعندما تصبح قوة الطاقة المتشكّلة خلال الطقس السحري في ذروتها، يتم إطلاقها وتوجيهها نحو الهدف.

من الواضح أن الجوهر الأساسي الذي تتمحور حوله الممارسة السحرية هي ليست الكائنات الخفية ولا المواد أو الأدوات المُستخدمة، ولا الطقوس المُتبعة ولا نوع السحر، بل يتمحور أولاً وأخيراً حول الممارس ذاته، رغم أنه على الأغلب لا يعلم بذلك. وإذا دققت في بعض التفاصيل العملية، سوف تكتشف بأنها مشابهة لطريقة عمل ممارس التشيكونغ خلال تكثيفه لطاقة "التشي" وتركيزها على الهدف المنشود. (سوف تتوضّح الأمور جيداً في الجزء الثاني).

جميع الممارسات السحرية التي يتبعها المشعوذون وحتى الدجالون تعتمد أساساً على فتات منقوصة لمنهج علمي قديم انحدر إلينا من عصور غابرة، وبشكل عام، هو مؤلف بصيغته الكاملة من عدة علوم مختلفة لها علاقة بالفلك والكيمياء والروحانيات وبالإضافة إلى منهج تدريبي خاص ومميّز للتحكّم بالطاقات الكامنة في الإنسان، ويُشار إليها بشكل عام بالعلوم الخفية Occult Sciences.

هناك الكثير من اللغط والإرباك السائد بخصوص السحر والعلوم الخفية Occult Sciences، ومكوناتها وما يدخل في ممارستها. وهذا يعود للأفكار الخاطئة الشائعة عن هذه العلوم حيث ارتبطت بشكل وثيق بكل ما هو "شيطاني"، "سحر أسود"، والممارسات الطقسية الفظيعة والمشينة. المعنى الحقيقي "للعلوم الخفية" وهو ما يُقصد به الإشارة إلى "معرفة سريّة"، أي أنها محجوبة. والذي يحجب

الشيء لا بدّ من أن يظلّل الحقائق المتعلقة به لجعله صعب المنال. فالكلمة occult بالإنكليزية جاءت من الكلمة اللاتينية occultus وهذه الأخيرة تعني "شيئاً مخفياً" أو "شيئاً سرياً" إذ تشير في النهاية إلى "معرفة سريّة". جميع الذين تعمّقوا في دراسة هذه العلوم، أو مارسوه، يعلمون جيداً بأنه يمثّل واقعاً روحياً عميقاً يتجاوز هذا العالم الدنيوي وعلومه المادية. كافة المحافل السريّة النافذة، مثل "الماسونية" وفروعها، مثل المحفل الهرمزي للفجر الذهبي The Hermetic Order of the Golden Dawn، تمارس ما يمكن تسميته طقوساً سحرية، لكنها تستند على علوم تجاوزية متطوّرة تناقلتها المحافل السريّة عبر العصور، وهي أيضاً انحدرت من مصدر عظيم وهائل وجبار، ومن الواضح بأنه لم يُستخدم في تلك الفترات الغابرة لغايات شريرة كما يحصل اليوم في هذه المحافل السريّة المختلفة. يمكن معرفة الكثير عن تلك الطقوس عبر كتابات وأعمال شخصيات ماسونية شهيرة، من بينهم من يعتبرون أنفسهم "سحرة" أو "صوفيين" وحتى "فقهاء" من الطراز الرفيع. (سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "أفول شمس المعارف الكبرى"). فالساحر الماسوني "ديون فوتشيون" Dion Fortune يعرّف السحر قائلاً: ".. هو فنّ التغيير في حالة الوعي حسب الإرادة.."، بينما الساحر الماسوني "أليستر كراولي"Aleister Crowley يعرف السحر على أنه: ".. علم أو فنّ إحداث تغييراً ما بالتوافق مع الإرادة..".

وجب الاعتراف هنا بأن العلوم الخفية التي تحوزها هذه المحافل السرية النافذة، رغم سوء استخدامها وبشاعة الطقوس الممارسة، إلا أنها في النهاية تستند على حكمة روحية أصيلة، تم تشويهها عبر العصور وتحريف غاياتها الأساسية وكذلك مناهجها المهذّبة والرتيبة التي سادت يوماً في مدارس سرية حسنة النيّة قبل أن يتسلّل إليها أشخاص شرّيرون يعملون لصالح المتآمرين. وهذا ما حصل قبل آلاف السنين. كتب الفقيه الماسوني مانلي.ب. هال Manly P.Hall يقول:

بالرغم من أن السحر الشعائري الكامل المتأصل من عصور غابرة لم يكن بالضرورة شريراً، إلا أن عمليات التحريف والإفساد التي تعرّض لها ساهمت في

بروز مدارس سحرية باطلة، زائفة، غادرة، كاذبة، وشريرة.. والتي أصبحت تُعلّم ما يُسمى السحر الأسود black magic.

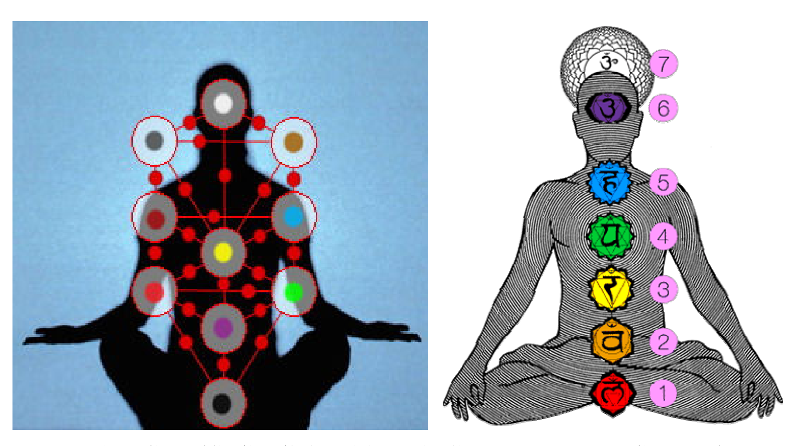
مصر، التي كانت مركزاً عظيماً للمعرفة والتعليم والمولد الأصلي للكثير من الفنون والعلوم، وفرت بيئة مثالية للعمل في مجال الماورائيات واختبار العوالم المتجاوزة لحدود الإدراك. هنا بالذات، استمرّ المشعوذون (العاملين في السحر الأسود) الناجين من أطلنطس، في ممارسة قواهم العقلية الخارقة حتى تمكنوا أخيراً من اختراق وتقويض وإفساد القيم الأصيلة للحكمة الأساسية. من خلال تأسيس طبقة كهنوتية فاسدة، اغتصبوا المناصب التي كان يحتلها المنتسبين الأساسيين للحكمة الأصيلة، وبهذا سيطروا بالكامل على المراكز الحساسة في الحكومة الروحانية القائمة.

راح السحر الأسود يمثّل تعاليم دين الدولة مما سبب الشلل الكامل لكافة النشاطات الروحية والفكرية للفرد من خلال إرغامه بتقديم الطاعة والإذعان الكامل، دون تردد أو تفكير، للتعاليم الفاسدة التي صاغتها الطبقة الكهنوتية الفاسقة. أصبح الفرعون دمية في يد المجلس الفاسق والمؤلف من مجموعة من المشعوذين الذين ارتفعوا إلى مراكز السلطة بدعم ومساندة الكهنة.

باشر هؤلاء المشعوذون بعدها بعملية تدمير منهجي لجميع المفاتيح المؤدية للحكمة القديمة، ذلك لكي لا يتمكّن أحد من الحوزة على المعرفة الضرورية للوصول إلى مرحلة الاحتراف دون أن ينظمّ أولاً لنظامهم السرّي المنحرف. قاموا بإفساد وتشويه طقوس المعارف السرّية في الوقت الذي ادعوا فيه بصيانتها والمحافظة عليها، حيث حتى لو تمكن المنتسب إلى النظام من اجتياز الدرجات الأولى مرتفعاً إلى مستوى يخوّله حق الاطلاع على الأسرار المقدّسة سوف يعجز عن ذلك. تم إدخال الوثنية إلى تلك العلوم التطبيقية الراقية، وذلك من خلال التشجيع على عبادة التماثيل والصور (أصنام) والتي شيّدها الحكماء الأوائل كرموز وشعارات للدراسة ووسائل للتأمّل وتخزين الطاقة الحيوية.

وُضعت تفسيرات كاذبة لرموز وأرقام المعارف السرّية، ثم ابتُكرت أفكار دينية منحرفة ومتشددة بهدف إرباك وتشويش عقول الأتباع. أصبحت الحشود البشرية، المحرومة من حقها الطبيعي في المعرفة والتنوّر، تحبو زاحفة.. متخبطة في ظلام الجهل إلى أن تحوّلت أخيراً إلى عبيد مذلولة تحت أقدام الروحيين المنافقين. سادت الخرافات في كل مكان وكل مجال دون استثناء، وسيطر المشعوذون بالكامل على شؤون البلاد، وكانت النتيجة أن الإنسانية لازالت حتى اليوم تدفع ثمن سفسطة الكهنة المشعوذين الأطلنطيين والمصريين، والأديان الشمولية حول العالم اليوم المُبتكرة من قبلهم كوسائل فعّالة لاستعباد الحشود.

وجب العلم بأن السحر العربي، ومعظم الأوروبي، يتمحور حول تعاليم منشقّة أو متفرّعة من "القبالة" Kabbala التي كانت فلسفة روحية منتشرة يوماً في منطقة الشرق الأوسط قبل أن تختفي فجأة من التاريخ وتحوّلت إلى مذهب صوفي سرّي سُخّر لخدمة السحرة والمشعوذين، خصوصاً اليهود منهم.



ليس هناك فرق كبير بين المفاهيم الفلسفية للـــ"القبالة" و"اليوغا"

بشكلها النهائي الكامل، يمكن اعتبار القبلانية على أنها "يوغا الشرق الأوسط" بحيث تمثّل تتمّة لنظام الشاكرات chakra المُمارس في الشرق الأقصى، كما أن لها نظائر مطابقة في أشكال عديدة من ممارسات اليوغا Yoga الشرقية. وكذلك

المفاهيم الطاوية (الين، التاو، واليانغ) تجد لنفسها نظائر مطابقة في التعاليم القبلانية، حيث نجد مقامات "القوة"، "التوازن"، و"الرحمة" في شجرة الحياة.

أما لماذا فشلت هذه الحركة التربوية فجأة في التاريخ، وكيف تحوّلت "القبالة" إلى مذهب صوفي سرّي سُخّر لخدمة السحرة والمشعوذين، فذلك إنجاز يُضاف إلى إنجازات الكهنة اللاويين وأتباعهم ممن يسمون أنفسهم "اليهود".

رغم أن القبالة أصبحت متصلة بشكل وثيق باليهودية ونصوصها المقدسة كالتوراة، إلا أنها في الحقيقة لا تمثّل نظام فكري إطلاقاً، ولم تكن منهج صوفي سريّ، بل كانت فلسفة روحية شائعة في الشرق الأوسط قبل ظهور اليهودية على المسرح التاريخي بزمن بعيد. فكما الحال مع التعاليم الفلسفية السنسكريتية التي انحدرت من حضارة "راما" ما قبل الهندوسية، فإن القبالة تنحدر من حضارة مصرية ما قبل الفرعونية (أطلنطية)، وكذلك التعاليم الصينية واليابانية التي تنحدر من بقايا حضارة "لوميريا" التي ازدهرت في منطقة المحيط الهادي قبل أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة.

أما اللذين استولوا على التعاليم القبلانية لاحقاً عبر التاريخ، فقد حرّفوا هذه الطريقة في ممارسة الحياة اليومية للفرد. فالقبالة الأصيلة، التي مبادئها أصبحت ضائعة، لا تمثّل مذهب صوفي بل منهج محرّر من هيمنة الصوفية بالذات، ويتوجّه لتنمية وعي الإنسان من خلال تدريبه على اكتشاف قدراته العقلية، وتحريضه على استثمار هذه القدرات، وذلك في تحرير نفسه وعالمه من قيود الخرافة والخوف والجهل. لكنها تحوّلت مع الوقت، وعلى يد مجموعة من المشعوذين، إلى فلسفة صوفية مستترة، والقسم الأكبر من مبادئها وتعاليمها ملفوف بوشاح قاتم من السريّة والغموض، معظمها أصبح مشفّراً على شكل رموز واستعارات ونظائر لفظية مكتوبة بشكل مبطّن في قصص وروايات خرافية. (سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "أفول شمس المعارف الكبرى").

يفتقد الإنسان العصري إلى أي إدراك أو تقدير لعظمة هذه التعاليم المنحدرة إلينا منذ العصور الذهبية الغابرة. فقد تعرّض عقله وتفكيره للاختراق والتشويه عبر العصور المتعاقبة، وها هو الآن يُخترق من قبل أخطر أشكال الجهل: العلمانية العصرية! حيث جعلته ينزع إلى اعتبار هذه التعاليم إما شرّيرة بحيث وجب تجنبها كما يتجنّب الطاعون، أو مجرّد مجموعة من الخرافات التي جاءتنا من ممارسات السحر الأسود الذي ازدهر في العصور المظلمة.

مانلي بالمر هول

إذاً، يمكننا استنتاج فكرة جوهرية من كل ما سبق، وتتلخّص بأن "العلوم السحرية" (بصيغتها الصافية) تُعتبر نوع من المنهج العلمي الخاص الذي يمكّن الشخص من استنهاض قدرة كامنة لديه، بحيث يستطيع عبرها أن *"يُحدث تغييراً ما في الأشياء أو الأشخاص أو الطبيعة، وبشكل متوافق مع إرادته.."*.

لكن في الحقيقة، ومن ناحية أخرى، نلاحظ وجود أشخاص عاديون يستطيعون *إحداث تغييراً ما في الأشياء أو الأشخاص أو الطبيعة، وبشكل متوافق مع إرادتهم* دون حاجة للخوض في متاهات التعاليم السحرية ولا حتى المناهج الفلسفية الشرقية المذكورة سابقاً. سبق وذكرنا أن السحر لا يولد بالفطرة كما مُعظم تلك القدرات الخارقة، بل هو علم قائم بذاته ويمكن أن يتقنه أي فرد من خلال التدريب وفق منهج محدّد وممارسة محددة. والأمر هنا يختلف تماماً. وهذا يوفّر لنا دليلاً مهماً يجعلنا نتخذ توجه مختلف تماماً خلال بحثنا عن جوهر طبيعتنا الحقيقية ككائنات بشرية.

الوسطاء الروحيين

هناك الكثير من الذين استعرضوا قدرات عجيبة دون حاجة منهم لأي تدريب أو ممارسة من أي نوع، وغالباً ما نسميهم "وسطاء" Mediums. وقبل الحديث عنهم وجب أولاً توضيح نقطة مهمة جداً، وتتعلّق بالكلمة "وسيط" Medium والمفاهيم المختلفة، والمتناقضة، المتعلقة بها.

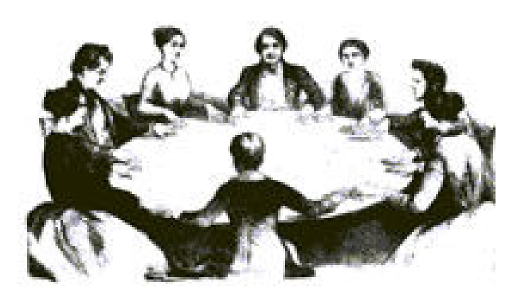
تُعتبر كلمة "وسيط" Medium من الأسماء الشائعة التي تُستخدم للإشارة إلى هؤلاء الأشخاص الاستثنائيين الذين استعرضوا قدرات خارقة. جاءت كلمة وسيط أصلاً من "الوسيط الروحي" الذي يتعامل مع أرواح الموتى، وتتمحور حوله ما عُرفت في القرن التاسع عشر بـــ"جلسات تحضير الأرواح" التي اجتاحت أوروبا في تلك الفترة. مع أنه في الحقيقة هناك فرق كبير بين هذين النوعين من البشر رغم جمعهم في خانة واحدة وتحت مسمى واحد. وهذا خطأ في المصطلحات لازال قائماً منذ القرن التاسع عشر. وفي الحقيقة لازلنا نستخدم هذا الاسم للإشارة إلى أي شخص يتمتع بقدرات استثنائية ليس بسبب جهلنا بالفارق الكبير بينهما بل لأنه أصبح اسم معترف عليه عموماً ونضطرّ إلى استخدامه لتعريف القارئ على ما نتكلم عنه.

الوسيط الطبيعي هو الشخص الذي يستعرض قدرات خارقة (عفوية أو إرادية) لكنه لا ينتمي إلى أي مذهب أو مجموعة أو تنظيم من أي نوع بل أنه لا يؤمن أصلاً بالماورائيات (سوف أتناولهم لاحقاً). بينما الوسيط الروحي هو الذي يعتنق المذهب الأرواحي، وهو مذهب يؤمن أنصاره بوجود أرواح أو أشباح الأموات قابلة لأن تتعامل مع الأحياء وفق أساليب وضمن شروط معيّنة (طقوس). كما أنه وجب عدم الخلط بين هؤلاء الأرواحيين وبين السحرة والشامانيين الذين هم أيضاً يؤمنون بكائنات غيبية لكن يتعاملون معها وفق مفاهيم ومعتقدات مختلفة.

الوسطاء الأرواحيين

هذا النوع من الوسطاء هم محضرو الأرواح الذين يعتقدون بأن الاتصال بين العالم المادي والروحي لا ينتهي بالموت، وأنهم قادرون على الاتصال بأرواح الأموات، أو أن هذه الأرواح قادرة من تلقاء نفسها على الاتصال بالأحياء من الناس. وهم الذين يؤدون دور "الوسيط" في هذا الاتصال.

يزعم محضرو الأرواح قدرتهم على الاتصال بالأرواح، سواء في جمع من الناس وفي العلن، أو في خلوة وفي الخفاء. ففي بعض الحالات يجلس محضر الأرواح ومجموعة من الناس حول طاولة، متشابكي الأيدي، أو يلامس بعضهم بعضاً، مركزين تفكيرهم في الشخص الميت الذي يريدون استدعاء روحه. وهو في معظم الأحوال صديق، أو قريب لواحد أو أكثر من المشاركين في هذه الطقوس.



يجلس محضر الأرواح ومجموعة من الناس حول طاولة، متشابكي الأيدي أو يلامس بعضهم بعضاً، مركزين تفكيرهم في الروح التي يرغبون استدعاءها.

عادة ما تعلن الروح عن حضورها بأشكال متعددة، تارة بقرع على الطاولة، أو رفعها، أو تحريك الأواني وقطع الأثاث، أو تلقى بها إلى أرضية الغرفة، أو تجعلها تسبح في الهواء، أو أن تختفي من أماكنها، أو أن تظهر أغراض لم تكن موجودة أصلاً. وفي كثير من الأحيان يروح الوسيط في غيبوبة، حين تتلبسه الروح حين حضورها، وتسيطر على عقله وبدنه. وفي مثل هذه الحالات قد تتحدث الروح أو تخاطب طالبها من خلال الوسيط، أو تكتب رسالة من خلال إمساك غير مرئي ليد الوسيط وتوجيهها. ويدّعى بعض محضري الأرواح أنهم

على صلة بروح واحدة، يسيطرون عليها أو تسيطر عليهم. ويتخذ تحضير الأرواح أشكالاً عدة، منها:

ــ الاتصال الذهني، بالمخاطبة بين الوسيط والروح.
ــ إحضار أشياء مادية من العدم، أو سماع أصوات.
ــ تجَسّد روح الميت أو جزء منها، في شكل طيف أو شبح.
ــ وصف الروح علاجاً لمرضى استعصي علاجهم.
ــ وصف الروح لما يحدث بعد الموت، بالإضافة إلى الكشف عن معلومات غيبية.

تجري شعائر تحضير الأرواح، وطقوسها، غالباً، في ظلمة دامسة، أو ضوء خافت، وقلمّا تُحضَرْ الأرواح في وضح النهار. وأثناء عملية تحضير الأرواح، يغيب الوسيط عن وعيه تماماً، ويفعل أشياء ويردد أقوالاً لا يتذكرها فيما بعد. وفي حالات قليلة قد يؤدى هذه الطقوس والشعائر وهو في كامل وعيه. والغيبوبة في هذه الحالة هي فقدان الوعي التام (حالة وعي بديلة)، وحينها تبدأ الظواهر الغريبة بالتجسّد. لكن بعد إخضاع هذه الظواهر المختلفة للدراسة والبحث من قبل أبرز رجال العلم في تلك الفترة، تبينّ أيضاً أن كافة الظواهر التي تتجسّد خلال جلسة التحضير تتمحور أولاً وآخراً حول الوسيط ذاته، بالرغم من أن كافة الدلائل تشير بوضوح إلى حضور كيان غيبي منفصل. وقد شرحت هذا بالتفصيل في إصدار سابق (طاقة الأورغون) وذكرت مجريات تجربة "فيليب" كإثبات جازم على عدم وجود هذه الأرواح. بل يعود السبب أصلاً إلى قدرة استثنائية يتمتع بها الكائن البشري حيث يستطيع تجسيد مجسمات أثيرية على شكل صور أو أصوات أو إحداث ضجّة أو التسبب بتحريك الأشياء وغيرها من أمور تُعزى للكائن الغيبي.

أشهر الوسطاء الأرواحيين الذين برزوا في فترة القرن التاسع عشر والتي تعتبر ذروة أيام الأرواحية هم: "دانيال دوغلاس هوم" Daniel Dunglas Home، وهو وسيط روحي استثنائي من اسكتلندا، استعرض طيف واسع من المواهب والقدرات بما في ذلك قدرة "الارتفاع في الهواء"، تحريك الأشياء من بعيد (أشهرها هو جعل

آلات موسيقية تعزف لوحدها). والوسيطة الروحية الإيطالية "يوسابيا بالادينو" Eusapia Palladino، التي جعلت أشياء ثقيلة تطوف في الهواء كما لو أنها بالونات، وخصوصاً الطاولات والأريكات الخشبية، كما سببت بهبوط كبير ومفاجئ في درجة الحرارة، وجذبت الأشياء البعيدة نحوها، وجسّدت في الهواء أيدي بشرية لتكتب النصوص. أما الوسيطة "فلورنس كوك" Florence Cook، فهي من بين الوسطاء القلائل الذين استطاعوا تجسيد مجسّم كامل لشخصية غيبية، بصيغتها المادية (ليس شبح) وتُدعى "كيتي كينغ".

من اليمين: "دانيال دوغلاس هوم"، "يوسابيا بالادينو"، "فلورنس كوك".

ملاحظة: لقد تحدثت عنهم في إصدارات سابقة، مُرفقة مع الصور.

شخصيات عجيبة

بعد أن توضّحت فيما بعد حقيقة أن التحريك التلقائي للأشـياء يـسببه أشـخاص موهوبين بهذه القدرة، وليس من فعل الأرواح أو أي من الكائنات الخفية، وكـذلك الظواهر الغريبة التي تتجسّد خلال جلسات تحضير لأرواح هي من فعل الوسطاء ذاتهم وليس أي عامل ماورائي من أي نوع، راح منهج البحث يتخذ منحى آخـر. أصبح التركيز يُوجّه على أشخاص موهوبين بالفطرة. وبـالرغم مـن الاخـتلاف الكبير بين المجالين، إلا أن الاسم "وسيط" Medium بقي يُستخدم للإشارة إليهم.

فيما يلي بعض العينات من هؤلاء الأشخاص الاسـتثنائيين، والـذين استعرضـوا الكثير من العجائب التي عجز عنها الأرواحيين وأشباحهم المزعومة.

"زهانغ باوتشينغ"

الرجل الصيني الخارق

إحدى الشخصيات العجيبة التي ورد ذكرها في كتاب "وسطاء الصين الخارقين" China's Super Psychics (إصدار ١٩٩٧م) للمؤلفين "بول دونغ" و"ثوماس رافيل" وفي الحقيقة ورد ذكره في معظم المراجع التي تناولت هذا المجال) كان الرجل الخارق "زهانغ باوتشينغ" Zhang Baosheng. وخلال الحديث عن الأشخاص الذين استعرضوا عدة مظاهر للموهبة الاستثنائية المتمثّلة بتحريك الأشياء عن بُعد، أو جعلها تختفي تماماً لتظهر من جديد في مكان آخر.. وغيرها من عجائب، جاء دور "زهانغ باوتشينغ" وهنا بدأ الأمر يبدو وكأننا نقرأ عن فيلم سينمائي من نوع الخيال العلمي.

هذا الرجل العجيب، والذي يُعتبر "الطفل المدلّل" لدى الحكومة الشيوعية في الصين، يستطيع الدخول في الجدران! ويتحكّم بالأشياء عن بُعد بحيث يجعلها تخترق الجدران أيضاً فتستقرّ على الجانب الآخر دون أن يحصل في بنيتها أي تغيير من أي نوع! يعمل "زهانغ" مع وزارة الدفاع الصينية ولكنه لا يتردد في استعراض بعض من عجائبه في مناسبات عدة أمام شخصيات غربية رفيعة المقام. رغم أن الحكومة خصصت له فريق مرافقة خاصة من قسم الاستخبارات مع سيارة ومسكن وغيرها من مستلزمات حياتية، لكن هذا لم يمنع رجال أعمال مثل الملياردير"لي جياتشينغ" أغنى رجل في "هونغ كونغ" أن يغدق عليه الهدايا الثمينة والفاخرة. لا أحد يرغب في إزعاج هذا الرجل لأنه لن يكون سعيداً. فعناصر شرطة المرور الصينية مثلاً قرّروا أن لا يتعاملوا معه مهما بلغت مخالفاته للسير، والسبب ببساطة هي أن بطاقة المخالفة التي يصدرونها بحقه تختفي تماماً من الأرشيف وكأنها لم تكن موجودة أصلاً سوى في ذاكرة شرطي المرور الذي وقّفه. إنه يتمتع بروح الفكاهة وطبيعته لعوبة لأبعد الحدود. فعناصر مرافقته الأمنية يعانون دائماً من مزاحه الثقيل والمزعج خاصة تلك التي يفعلها دائماً حيث يجعل المال يختفي من جيوبهم وبدلاً منه يجدون قطع من الحلوى! فيعلّق قائلاً أن هذه الأشياء تسعدكم أكثر من المال.

الأمر العجيب هو أن الواقع بكامله بالنسبة إلى "زهانغ باوتشينغ" يشبه الفيلم السينمائي متعدد الأبعاد، وهو يتمتع بقدرة على التحكّم بهذا الفيلم كما يشاء. يستطيع العودة به إلى الوراء، أو الأمام، أو يجري تغيير جذري في البنية الهيكلية للفيلم ذاته. فمثلاً، بعد أن يطلب من أحدهم تمزيق وثيقة معيّنة أو صورة، يطلب من نفس الشخص أن يضع الفتات في جيبه، ثم يأمره بعد قليل بأن يخرج الصورة أو الوثيقة من جيبه ثانية فتظهر وهي كاملة وكأنها لم تتعرّض للتمزيق أبداً. أليس الأمر مشابهاً لاسترجاع فيلم سينمائي إلى الوراء لتكرار مشهد معيّن لكن بصيغة مختلفة؟ أما بخصوص قدرته على إحداث تغيير جذري في البنية الهيكلية للواقع ذاته فقد استعرضها أكثر من مرّة خلال عدة اختبارات محكومة بشروط صارمة يصعب حصول أي خداع فيها، بالإضافة إلى حضور عدد كبير من الشهود،

كاستطاعته مثلاً في إحدى المرات أن يجعل كيس من السكّر يبلغ وزنه ٤٥ كيلوغرام أن يسير في الهواء ويخترق جدار المخزن المُحكم الإغلاق فسار قليلاً وهبط أمام الشهود الحاضرين! فيما يلي مثال آخر مأخوذ من كتاب "بول دونغ" الذي كتب واصفاً إحدى التجارب المخبرية الموثّقة:

".. التاريخ هو ٣ كانون ثاني، ١٩٨٧م. المكان: بكين، داخل مركز تدريب كوادر الأقاليم للحزب الشيوعي الصيني. تجلّى أمام أنظار ٣٠ شاهد عيان حاضر في الصالة ظاهرة عجيبة..."

".. أجلبوا القارورة!.. أمر أحدهم. وتلبية للآمر جاء أحدهم حاملاً قارورة مليئة بحبوب دواء..."

".. قام الموظّف الحكومي بتفحّص القارورة ثم أكّد بأنها لم تُفتح من قبل، والسدادة مختومة ومُشمّعة بشكل سليم.. حسناً، يمكنكم المتابعة!.."

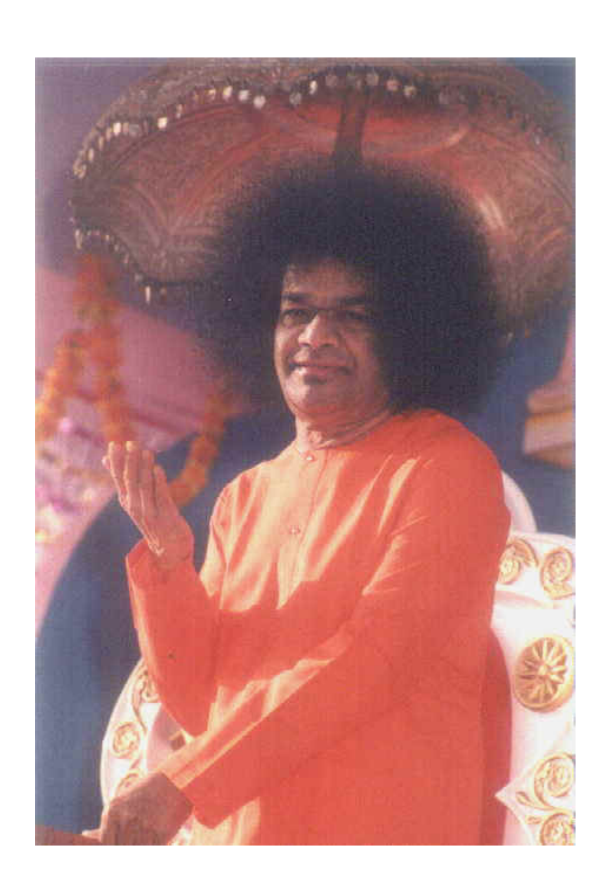
".. سُلمت القارورة لرجل في الثلاثينات من العمر، فبدأ يركّز كامل كيانه عليها.. وبعدها بقليل، تم نقل ٤٠ حبّة دواء إلى خارج القارورة!.. لقد نجحت التجربة.. هذا الرجل اسمه زهانغ باوتشينغ وهو أحد وسطاء الصين الخوارق.. ومشهور بروح الدعابة التي يتمتع بها، فبالتالي لم يقبل أن ينهي التجربة عند هذه الحدود، بل جسّد داخل القارورة المختومة والفارغة قطعة حلوى.."

يبدو أن "زهانغ باوتشينغ" ليس الوحيد الذي يتمتع بهذه القدرة العجيبة، لكنه الأكثر شهرة وروحه الاستعراضية ساعدته في الخروج للعلن والتعامل مع الناس، بينما الوسطاء الخارقين الآخرين الذين تهتم بهم الحكومة الصينية (مع حراسة مشددة) يمتنعون عن الظهور أو ربما هم ممنوعون من ذلك. والأمر الملفت هو أن الحكومة الصينية أطلقت حملة واسعة النطاق في العقد الماضي تهدف إلى لملمة هذه الضجّة التي أحدثها وسطائها الخوارق والباحثين العلميين الذين تناولوهم في

دراساتهم، ولهذا السبب نلاحظ بأن هذا الموضوع بالذات تقلّصت قيمته الإعلامية بشكل كبير في السنوات الأخيرة.

"ساي بابا" ومعجزاته العجيبة

يحي الموتى ويشفي المرضى ويستحضر الأشياء من الهواء!



لا يمكن لكتاب يتناول القدرات الإنسانية الخارقة أن يُعتبر كاملاً إذا لم يذكر الظواهر الاستثنائية التي استعرضها "سري ساثيا ساي بابا" Sri Sathya Sai Baba، رجل المعجزات. يُعتبر "ساي بابا" من قبل الكثيرين أنه إله بهيئة إنسان، إنه تجسيد فعلي لآلهة السماء. عشرات الملايين من الناس من ١٦٠ دولة اختبروا

أو لمسوا معجزاته بطريقة أو بأخرى. لقد استعرض الكثير من المعجزات الخارقة وبأشكال وأنواع مختلفة وعلى كافة المستويات.

لا يمكن وصف قدراته الاستثنائية لأنها بكل بساطة عصية عن التعريف أو التصنيف. أما عن الحدود التي تتوقّف عندها معجزاته، فهل هناك معجزة أكثر إعجازاً من إحياء الموتى؟ لقد أحيا عدة أشخاص من بينهم "والتر كوان" Walter Cowan الذي مات نتيجة سكتة قلبية وأعلن وفاته رسمياً من قبل الأطباء. وكنتيجة مباشرة لإعادة إحيائه على يد "ساي بابا" شُفي بالكامل من مرض السكّر وكذلك مرض في الكليتين. لقد أعيد للحياة كاملاً معافى! وردت تفاصيل هذه الحادثة في الكتاب الشهير للدكتور "جون.س. هيسلوب" John S. Hislop الذي بعنوان "باباتي وأنا" My Baba and I. وقد تمكن "ساي بابا" أيضاً من إحياء السيد "ف.رادهاكريشنا"V. Radhakrishna، الذي كان ميتاً لمدة سبعة أيام. كان جسده متخشّباً وتحوّل لونه للأزرق وبدأت تنبعث منه الروائح نتيجة بدء مرحلة التفسّخ. لكن هذه الحالة الميئوس منها لم تمثّل أي عائق لتجسيد المعجزة.

لقد عالج "ساي بابا" الكثير من المرضى والعميان. كما أنه يقرأ أفكار الآخرين. لكن أبرز الأمور التي اشتهر بها هي تجسيده للـــ"فيبهوتي" vibhuti (رماد أبيض)، هذا بالإضافة إلى أشياء أخرى تتجسّد من الهواء عندما يحتاجها. كان يلجأ إلى استعراض قدرته على تجسيد الأشياء من الهواء، ليس من أجل الاستعراض، بل ليستخدمها كدلائل وبراهين خلال دعوة الناس للإيمان، التقوى، والبحث عن الحقيقة وإدراكها. لقد شاهد مئات الألوف من الناس كيف كان "ساي بابا" يلوح بيده ليجسّد من الهواء مادة الـــ"فيبهوتي" فيقدمها لهم ليضعونها على ألسنتهم وجباههم. أما القدرات العلاجية العجيبة لهذه المادة فهي معروفة لدى أنصاره. سوف أتحدث المزيد عن هذا الرجل في سياق موضوع آخر، وذلك في الجزء القادم.

"تيد أوينز"

Ted Owens

رجل المعجزات على نطاق واسع



هذا الرجل الذي ذاعت شهرته في الولايات المتحدة منذ أواخر الستينات من القرن الماضي، يستطيع إحداث تأثيرات مختلفة على نطاق واسع، كإحداث الرعود والصواعق فوق المدن، التحكم بالطقس كما يشاء فوق مناطق واسعة، خصوصاً العواصف الرعدية والأمطار الغزيرة. وقد استطاع خلق صور شبحية (هولوغرافية) لمخلوقات مخيفة مختلفة، وإحداث تحركات تلقائية، عنيفة وفوضوية للأشياء (سيارات، آلات ثقيلة..) في موقع معيّن.

يزعم "أوينز" انه يستطيع إحداث هكذا تأثيرات واسعة النطاق عبر التواصل تخاطرياً مع كائنات فضائية ذكية تقبع في بعد "زمكاني" آخر، لكن على الأرجح، وبسبب ارتباكه الدائم في تحديد السبب الحقيقي لهذه القدرة الهائلة، قد يعود الأمر إلى قدرة فطرية يتمتع بها طبيعياً. لكنه يصرّ على أن ما يتمتع به هو مكتسب وليس فطري، وطالما عبر عن أمله قبل موته بأن يُسمى هذا التأثير الذي اكتشفه بعد اسمه، أي "تأثير أوين" Owens Effect. يبدو أنه مات ومات معه السرّ،

حيث لم يستطيع أحد معرفة الآلية التي استطاع وفقها إحداث هكذا تأثيرات هائلة وواسعة النطاق.

من بين أشهر الاستعراضات الموثّقة لقدرته هي تلك التي حصلت فوق خليج سان فرانسيسكو في منتصف السبعينات من القرن الماضي، وجرت أحداثها كما يلي:

في ٣٠ كانون ثاني (يناير)، عام ١٩٧٦م، إحدى الفترات المزرية التي عانت منها كاليفورنيا المنكوبة بفعل جفاف قاسي، بعث "أوينز" الرسالة التالية إلى "هارولد باتهوف" Harold Puthoff و"روسل تارغ" Russell Targ، المسؤولين في مختبرات SRI International، وهي منظمة اختبارات عملاقة موجودة في "مينلو بارك"، كاليفورنيا، جنوب سان فرانسيسكو:

".. الليلة الماضية كنت أشاهد الأخبار المسائية على التلفزيون ورأيت كاليفورنيا منكوبة. ليس هناك ماء.. أسوأ جفاف منذ ٧٢ سنة.. هذا الجفاف حصل ثلاثة مرّات فقط في تاريخ ولاية كاليفورنيا.. المحاصيل تموت.. والحيوانات في حالة يُرثى لها.."

".. والآن، أنا.. رجل الخوارق.. سوف أتحدى هذا كله. وخلال التسعين يوم التالية، بدءاً من كتابة هذه الرسالة.. سوف أُمطِر وأُمطِر وأُمطِر وأُمطِر الشتاء على ولاية كاليفورنيا.. إلى أن تسبح في الماء، وينتهي هذا الجفاف تماماً. سوف يكون هناك عاصفة وراء عاصفة، صاعقة وراء صاعقة.. ورياح عاتية.."

[.. وهكذا إلى أن انتهى من الرسالة..]

وبالفعل، وتصديقاً لهذا الكلام، فالتقرير الذي قدمته وكالة "يونايتد بريس إنترناشونال" UPI في ١ شباط (فبراير) عام ١٩٧٦م يقول ما يلي بخصوص تلك الحالة البائسة من الجفاف:

".. إن الخسارة الناتجة من الجفاف الشتوي الذي ضرب كاليفورنيا تجاوزت ٣١٠,٥ مليون دولار.. يمكن لعشرة أيام إضافية من الجفاف أن تؤدي إلى حالة طوارئ في صناعة الدواجن والمواشي.."

لكن بعد ذلك بأيام، أي في ٦ شباط ١٩٧٦م، تغيّرت عناوين الصحف بشكل غريب:

".. سقوط الثلج في سان فرانسيسكو سجّل رقماً قياسياً.."

كان أكبر معدل تساقط ثلوج يصيب المدينة ومحيطها منذ ٨٩ سنة.. كما تخلل العاصفة صواعق والبَرَد الغزير. أحد أبراج البثّ التلفزيوني في جبل "سان برونو"، جنوبي سان فرانسيسكو، تلقى ضربة صاعقة قوية حوالي الساعة ٨,٣٠ مساءاً من يوم الأربعاء، مما أدى إلى قطع البثّ الإذاعي لعدة قنوات تلفزيونية.

أُرسل الخبر الموجز التالي إلى "أوينز" من قبل "بيتهوف" و"تارغ" اللذان تلقيا رسالته التنبؤية، وهو مقصوص من جريدة Palo Alto Times، الصادرة يوم الخميس ٥ شباط ١٩٧٦م، ورد فيه ما يلي:

*".. **سقوط ثلوج نادر الحصول، ينهي حالة القحط في شبه الجزيرة**.. هذه الحالة الجوية الغريبة وغير المتوقعة كانت متناقضة تماماً لما تم توقعه في الأسبوع الماضي، حيث زعم بأن الجفاف سوف يستمرّ ويفعل فعله بمنطقة الخليج... لم تُعرف هذه الحالة منذ صباح ٢١ كانون الثاني عام ١٩٦٢م حيث استيقظ السكان في منازلهم والثلج يكسو كل مكان.."*

أما جريدة Oakland Tribune الصادرة في ٥ شباط ١٩٧٦م، فكتبت توصف كيف أن العاصفة جلبت معها:

".. كل الظواهر المعروفة في علم الأرصاد.. وغطّت كامل منطقة الخليج... الثلج، البَرَد، الشتاء الخفيف، الرعد والصواعق التي ضربت المنطقة بعد أسابيع من الطقس الجاف.. لقد سقط على المنطقة المنخفضة من الولاية كميات متفاوتة من الأمطار.. وفي كاليفورنيا الشمالية الغربية تم التحذير من إمكانية حصول أعاصير..."

في ١٠ شباط، ١٩٧٦م، صدر من وكالة "يونايتد بريس إنترناشونال" UPI تقرير يقول:

".. استمرّ فصل الشتاء في كاليفورنيا لمدة ٦ أيام متواصلة.. بعض المناطق الجبلية في الولاية تلقت ٦ إلى ٨ بوصات من الشتاء، والمناطق الساحلية تلقت معدّل ٣ إلى ٤ بوصة.."

لقد تم أيضاً في هذه الفترة التبليغ عن حالات انقطاع في الكهرباء، وظهور كرات نارية في السماء، وحتى مشاهدات أجسام طائرة مجهولة الهوية.

إن المسألة المتعلقة بحالة "أوين" معقّدة جداً، حيث يصعب استيعاب كل تلك الظواهر العملاقة التي كان يجسّدها، والتي تجاوز عددها المائة، وشملت حالات جوية، ظهور أجسام طائرة مجهولة الهوية، تحرّك أشياء ثقيلة وضخمة بشكل عشوائي في مكان معيّن، ظهور مجسمات خيالية لوحوش مختلفة.. إلى آخره.

والأمر الذي زاد من تعقيد المسألة هو طبيعة "أوينز" المتقلّبة والنابضة بالحياة حيث كان بعيد كل البعد عن الطبيعة الزاهدة أو الناسكة، وهذا جعله غير قابل للتعاون خلال إخضاعه للبحث العلمي المنظّم والرتيب. الكثير من استعراضاته المجنونة أدت إلى حصول وفيات وحوادث خطيرة. القدرة الخارقة التي تمتع بها "أوينز" كانت خطيرة بكل معنى الكلمة. هذه الحالة وحدها جعلت الباحثين في هذا

المجال يتجنبون العمل معه أو حتى الاقتراب منه، فما بالك إخضاعه للاختبارات الصارمة والدراسة الجديّة.

يبدو أن الإنسانية ليست جاهزة اليوم للتعامل مع القدرات أو الظواهر الخارقة كبيرة الحجم كتلك التي يتمتع بها "أوينز". لكن على الجانب الآخر، إذا كانت موجودة، وقد أثبتت وجودها فعلاً في أكثر من مناسبة، إنه ليس من الحكمة تجاهل دراستها والبحث فيها.

دعونا نخفف العيار قليلاً ونتناول حالات أكثر شيوعاً من تلك المذكورة في الصفحات السابقة. أي بمعنى آخر: دعونا نبحث في تلك التي هي أكثر قابلية للاستيعاب. بكل تأكيد، إن القدرة على اختراق الجدران أو الانتقال اللحظي من مكان إلى آخر، أو إحياء الموتى، أو التحكّم بأحوال جوية على نطاق واسع.. هي من بين القدرات النادرة جداً جداً التي تُولد طبيعياً في الأشخاص. هذا مع أنها، رغم ندرتها، تشير إلى المستوى الذي يمكن لإنسان واحد أن يصله خلال استعراض قواه الحقيقية.

في الحقيقة يصعب تصنيف كامل الحالات التي يجسدها الوسطاء ضمن خانات محددة وثابتة، حيث كل وسيط يجسّد مظهر مختلف للتحريك البُعادي مثلاً عن الوسطاء الآخرين، وكذلك الرؤية البعيدة (الاستبصار) كما سنرى لاحقاً. لهذا السبب سوف أذكر الحالات التالية وفق تصنيفات أولية لكي يسهل تنظيم الأفكار، وسوف تلاحظون بأنفسكم أن هناك حدود زئبقية مائعة بين أنواع الظواهر وطبيعتها رغم أنها تنتمي إلى صنف واحد.

بولترجيست

Poltergeist

يقصد بهذه الكلمة (الألمانية الأصل) ما يمكن قوله بالعربية "الأرواح الصاخبة". وجاءت من الصخب التلقائي الذي يحدث في موقع معين دون أي سبب منطقي لذلك. ويُظن بأنها من أعمال الأرواح المؤذية أو الساخطة أو الحاقدة.. إلى آخره.

يتجسد حضور هذه الحالة عن طريق إصدار ضجيج أو تحريك الأشياء أو رجم الناس والحيوانات بالحجارة أو أشياء أخرى دون معرفة الفاعل أو السبب. ويمكن أن يحدث تحريك مفاجئ لمفروشات المنزل كالكرسي أو الطاولات أو تأرجح الثريات أو حتى سقوطها، أو تصدر أصوات عالية فجأة أو صراخ أو زعيق من مصدر مجهول. تدوم هذه الحالة لمدة ثوان أو دقائق معدودة ثم تنتهي فجأة. كان يعتقد أن هذه الأعمال كانت من صنع الشياطين أو الأرواح الشريرة أو تعاويذ السحرة أو أرواح الأموات الناقمين أو غيرها من كائنات خيالية، حيث يعتمد ذلك على المعتقد أو الثقافة التي تسود بين الشعوب المختلفة.

تم دراسة هذه الظاهرة بشكل مكثف في الفترة الممتدة بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وذلك من قبل رجال أكاديميين ينتمون لمجتمع الأبحاث الروحية، ومن ثم علماء باراسيكولوجيا الذين جاؤوا فيما بعد، بالإضافة إلى باحثين مستقلّين. وقد أصبحت هذه الظاهرة تُربط الآن بأحد الأشخاص الذين يجهلون أصلاً بأنها تتمحور حولهم وتصدر بطاقة متفجرة من قدرة كامنة داخلهم، وفي غالب الأحيان يكونوا في سنّ المراهقة أو قبلها.

هذه القدرة هي شبيهة، أو تمثّل أحد مظاهر قدرة "التأثير على الأشياء بقوة الفكر" (سايكوكينيزيس) Psychokinesis، ويُشار إليها عامةً بالاختصار PK، ومعناها الحرفي هو "تفاعل العقل مع المادة الحية وغير الحية"، وخلال هذا التفاعل، تتدفّق الأوامر المعلوماتية من العقل نحو المادة فتجري تغييرات جوهرية في خواصها،

من بينها التحرّك أو الارتفاع. وأحياناً تسمى"تيليكينيزيس"Telekinesis أي "التحريك البُعادي"، أو تحريك الأشياء عن بُعْد دون استخدام وسائل مألوفة.

فيما يلي بعض الحالات الموثقة عن هذه الحالات وقد حرصت على تشكيلها بقدر ما يمكن لكي أشمل عدة مظاهر مختلفة تنتمي لهذه الظاهرة:

"أليونور زوغون"
Eleonore Zugun
الفتاة المسكونة!؟



كانت "أليونور زوغون" فتاة ريفية بسيطة من رومانيا، مولودة في ٢٤ أيار ١٩١٣م، في قرية "تالبا" في شمال البلاد. في أحد أيام شهر شباط، عام ١٩٢٣، وبينما كان عمرها ١١ سنة، ذهبت في زيارة إلى منزل جدتها في قرية "بوهاي" التي تبعد عدة كيلومترات عن قريتها. خلال سيرها على الطريق، وجدت مالاً على جانب الطريق، وعند وصولها إلى "بوهاي" صرفت كال المال على شراء الحلوى وأكلتها جميعاً. في إحدى فترات وجودها هناك، وخلال جدال "أليونور" مع

قريبتها حول الحلوى، لفت صياحهما انتباه الجدة العجوز التي كان عمرها متجاوزاً ١٠٥ سنة، ويُشاع عنها في القرية بأنها "ساحرة". بعد أن علمت الجدّة بما حصل لأنيونور على الطريق، حذّرتها بأن الشيطان (معروف في رومانيا باسم "دراكو Dracu) هو الذي ترك المال على الطريق بقصد إغواءها، وسوف لن تتحرّر منه أبداً بعدها. بعد ليلة طويلة من الحسرة والهمّ والرعب الشديد قضتها الفتاة المسكينة، جاء صباح اليوم التالي وجاء معه "الضجيج" التلقائي! ومنذ حينها، دخلت ظواهر "البولترجست" poltergeist إلى حياة "أليونور" لسنوات طويلة من حياتها.

في ذلك الصباح، جاءت الحجارة كالصواريخ من مصدر مجهول تضرب جدار المنزل وتكسر زجاج النوافذ، أشياء صغيرة بالقرب من "أليونور" تقفز في الهواء وتطير من هنا إلى هناك. راحت الجدّة تصيح مؤكّدة بأن الفتاة أصبحت مسكونة!.. فتم إرسالها فوراً إلى أهلها في "تولبا". لكن هناك أيضاً، وبعد ثلاثة أيام هادئة، تجسّدت الظاهرة من جديد. ارتفعت جرّة ماء في الهواء وسارت عدة أمتار ثم هبطت على الأرض دون أن يسقط قطرة ماء في العملية. راح صندوق كبير يهتزّ بعنف، انطلقت زبدية مليئة بالعصيدة في الهواء وضربت مسرعة بأحد الزوار في قفى رأسه مسبباً جرح أليم.

استمرّت الظاهرة بالتجسّد بين الحين والآخر لكن دون انقطاع، مما جعلهم يرسلون "أليونور" المسكينة إلى دير "غوروفي" بحثاً عن ملاذ آمن من "الشيطان"! لكن بعد ثلاثة أسابيع كادت خلالها أن تسبب الجنون لأهل الدير، أُرسلت بعيداً إلى مصحّ عقلي حيث تم حبسها هناك.

لحسن الحظ، وصلت أخبار الفتاة، التي تحدثت عنها الصحف، إلى أسماع الباحث النمساوي البارز "فريتز غرونوالد" الموجود في "شارلوتنبرغ"، ألمانيا. فجاء مسرعاً إلى مكان وجود الفتاة مصطحباً معه أحد الصحفيين المحليين في البلاد،

وتمكن من تخليصها من بؤس هذا السجن القسري وأعاد إرسالها إلى الدير حيث يمكن فحصها ودراسة حالتها بشكل أفضل.

دوّن "غرونوالد" ملاحظات أولية لتلك الظواهر العجيبة التي تجسّدت بين ٩ و١٨ أيار، عام ١٩٢٥م. (وقد تم نشرها لاحقاً بعد موته في المجلة الألمانية *Zeitschrift für psychische Forschung* وذلك من قبل البروفيسور "كريستوف شرودر"). أكثر المظاهر الشائعة لتلك الظاهرة هي تحرّك الأشياء، وتتفاوت من حركات بطيئة لطنجرة كبيرة على الفرن، إلى رجم الأشياء بعنف نحو الأشخاص أو بقربهم. كما أن بعض الأشياء المرجومة ظهرت فجأة من الهواء، بالإضافة إلى سماع أصوات طقطقة أو أحياناً كانت عود الكبريت تشتعل لوحدها بشكل غامض. وبعدها بفترة بدأت هذه الظاهرة تصفع الفتاة على وجهها، وكأنها تتلقاها فعلاً من أحد الكيانات الخفية!

في شهر أيار من العام ١٩٢٥م، توفي "غرونوالد" نتيجة سكتة قلبية، وكان عمره لم يتجاوز حينها ٤١ سنة. وبعدها مباشرة، عادة "أليونور" المسكينة متروكة وحدها في رعاية أسرتها غير المكترثة بأمرها.

لحسن الحظ، بعد فترة وجيزة وجدت راعي آخر مهتمّ بأمرها. كانت امرأة نمساوية جذابة، تُدعى الكونتيسة "زوي واسيليكو سيريكي" Zoë Wassiliko-Serecki، والتي كان لها صلتها الخاصة بجمعية الأبحاث الروحية بالإضافة إلى اهتمامها المنصبّ على علم النفس والتحليل النفسي. عندما زارت "أليونور" في دير "غوروفي" في أيلول من العام ١٩٢٥م، وجدت فتاة بائسة مُهملة، قذرة ومرعوبة. وخلال وجودها هناك، رأت الكونتيسة بنفسها بعض من الظواهر التي تتجسّد حول الفتاة. فألفت كتاب حول حالة "أليونور" وتم نشره بعنوان *Der Spuk von Talpo* (في ميونغ ألمانيا عام ١٩٢٦م). في شهر كانون الثاني من العام ١٩٢٦م، وبعد مفاوضات طويلة ومعقّدة، تمكنت من جلب "أليونور" للعيش معها في شقّتها في فيينا.

هنا، في بيئتها الجديدة، أصبحت "أليونور" سعيدة وتتمع بصحّة معافاة ولم يمضي وقت طويل قبل أن أدخلتها الكونتيسة في دورة تدريب على تجميل الشعر. لكن بالرغم من أن "أليونور" أصبحت مستقرّة عاطفياً ونفسياً في هذا الوقت وليس كتلك الحالة النفسية المزرية التي عاشتها في الماضي، وغالباً ما لها علاقة صميمية بتجسيد ظواهر "البولترجيست"، إلا أن الحالة استمرّت كما من قبل.

احتفظت الكونتيسة بسجلات يومية للأحداث وقامت بتصنيف الظواهر التي تجسّدها الفتاة إلى خانات مختلفة. لقد تحرّكت الأشياء وتجسّد بعضها من الهواء في كافة حجرات المنزل، كما أن الشيء ذاته حصل خارج المنزل وتحت شمس الظهيرة.

لاحظت الكونتيسة نفس ما لاحظه الباحثون الآخرون في ظاهرة "البولترجيست"، أي أنه من النادر رؤية الأشياء المنتقلة من مكان إلى آخر وهي طائرة في الهواء، بل هي تتجسّد فجأة في الهواء دون أن يراها أحد منطلقة من مكان وجودها الأصلي. فعادة ما تسقط من الهواء مسرعة على الأرض وتصدر ضجّة، وبعض الأحيان تسافر عبر أبواب موصدة، أو من داخل خزانات مقفلة. لقد دوّنت الكونتيسة الذكيّة ملاحظات مثيرة للاهتمام ووثيقة الصلة بالموضوع.

في عدة مناسبات سُمعت أصوات على الأثاث في حضور "أليونور"، وأصوات نادرة ومستقلّة. أشياء ثمينة كانت تختفي فجأة من المنزل وبعضها لم يعد أبداً، وإذا أعيدت فكانت تعود مكسورة أو محطمة. لكن الطوّر الأكبر في هذه الحالة والذي استمرّ حتى النهاية هو الاعتداءات الجسدية على الفتاة، والتي كانت تقول بأن الفاعل الشيطان "دراكو". كانت الأشياء تُرمى على "أليونور"، وكانت تُصفع، تُدفع على الأرض، تُرمى على السرير، تُشدّ من شعرها، وحذاءها يُملأ بالماء. وكأن هذا كله لم يكن كافياً، منذ شهر آذار ١٩٢٦ وصاعداً بدأت الأمور تزداد سوءاً. كانت يدا الفتاة وأصابعها تغزّ دائماً بالإبر، وفي بعض الأحيان يُشاهد أبر حقيقية مغروسة في جسدها.



علامات الأذى الجسدي بدا واضحاً عليها، الصورة تبيّن آثار الخدوش على وجهها

في ٣٠ نيسان، ١٩٢٦م، وصل "هاري برايس"، الباحث الروحي الإنكليزي الشهير، إلى فيينا. كان مهتماً جداً بالتعرّف على قضية الفتاة الصغيرة (١٣ عام) فزار الكونتيسة بشقتها في ثلاث مناسبات. وخلال وجوده هناك، شاهد الأشياء وهي تتحرّك، كمفتاح معدني يطير عابراً الحجرة، مرآة صغيرة تطوف فوق توزيعة الصالة، ووسادة تطير من على الأريكة. كما أنه شاهد وتفحّص الخدوش التي ظهرت على يد "أليونور" وصدرها.

لقد أثر ذلك في نفس "برايس" واقتنع بأن بعض ظواهر "التحريك عن بُعد" التي رآها لا يمكن تفسيرها بالوسائل العادية. فقرر أخذ الكونتيسة والفتاة إلى لندن لدراسة الحالة في المختبر الوطني للأبحاث الروحية، وهي مؤسسة بُنيت وأديرت من قبله.

وصلوا إلى لندن في ٣٠ أيلول ١٩٢٦م، وبقيت الكونتيسة مع الفتاة هناك لمدة أسبوعين تقريباً. وفي هذه الأثناء أثارت زيارة "أليونور" اهتماماً في الصحافة البريطانية وتناولتها بعض العناوين العريضة، كما كُتبت عنها المقالات وأُخذت لها الصور. لقد اعتُبرت، كما هي العادة مع كل مناسبة مماثلة، اكتشافاً جديداً من اكتشافات "هاري برايس".. صيّاد الوسطاء.

أمضت "أليونور" ساعات طويلة في المختبر، وأحياناً لوحدها دون وجود الكونتيسة. ظهرت جروح جسدية على شكل عضّات وخدوش في وضح النهار بينما كانت الفتاة تحت المراقبة الدائمة، وقد تم تصويرها جميعاً من قبل الدكتور "برايس". لكن مع ذلك كان "برايس" مهتماً أكثر بتحرّك الأشياء الذي كان يحصل دائماً في المكان وجود الفتاة أينما ذهبت. لقد تم التأكّد من صحّة ظاهرة "التحريك عن بُعد" دون أدنى شكّ، وقد صادق على ذلك عدد من الباحثين البارزين.

خلال رحلة العودة إلى النمسا، عرّجت الكونتيسة مصطحبة الفتاة على ألمانيا وزارت الباحث الروحي الشهير "شرينك نوتزنغ" في "ميونيغ"، الذي خرج بنفس الانطباع الذ يكونه "برايس" في بريطانيا.

استمرّت حالة "أليونور" لفترة معيّنة من الوقت إلى أن جاء أحد أيام صيف العام ١٩٢٧م، أي حوالي موعد عيد ميلادها الرابع عشر (وبدء مرحلة الطمث لدى الفتاة) انقطعت هذه الحالة تماماً وذهبت الظواهر دون رجعة. وآخر ما سُمع عنهاكان ذلك في أواسط الثلاثينات حيث تدير محلّ ناجح لتزيين الشعر في "زيرنوويتز"، رومانيا.

أما بالنسبة للتفسيرات التي نُسبت إلى حالة "أليونور زوغون"، فالكونتيسة نفسها كانت مقتنعة بأن العقل الباطن للفتاة هو السبب وراء الاعتداءات، وليس "دراكو" المزعوم، رغم أن الظواهر الخارقة التي تجسّدت تعود إلى ملكة خاصة وُهبت بها، واجتماع الاثنين معاً كوّن الانطباع بوجود كيان آخر خارج جسدها. على أي حال، كانت الكونتيسة متأثرة بأفكار "سيغموند فرويد" وبالتالي افترضت بأن "أليونور" كانت كوّنت ميول جنسية في بيئة محافظة، وغالباً ما كانت هذه الميول تجاه والدها (حسب فرويد)، وبالتالي فكانت الهجمات التي تلقتها من "دراكو" تعبير عن شعور دفين بالذنب وقناعة عميقة بأنها تستحقّ القصاص. وقد وافق "هاري برايس" على ذلك، حيث شبّه علامات الخدوش والعضّات بتلك "الندوب" stigmata التي تظهر فجأة على أجساد الأشخاص المتنسّكين والمتصوفين دينياً، دون أي عامل أو مسبب خارجي. وطبعاً، بكل تأكيد، فإن التهديدات التي أغدقتها عليها جدّتها العجوز وغيرها من أهل القرية بخصوص "دراكو" وما سيفعله بها، وجب أخذها بعين الاعتبار عندما نتناول الأفكار المغروسة في اللاواعية عند "أليونور".

لكن رغم ذلك كله، السؤال الكبير يبقى قائماً دون تفسير، من أين جاءت تلك القوة القادرة على رمي الأشياء من هنا إلى هناك وجعلها تختفي أو تظهر منا العدم؟ أو من صنع تلك الخدوش وعلامات العضّات التي من الواضح أنها ليست تابعة للفتاة؟ هل كان كياناً مستقلاً من النوع الشرير، أو يمكن اعتباره جزءاً غريباً في خفايا كينونة الانسان والذي نجهله تماماً؟ ما من تفسيرات مقنعة بخصوص قضية "أليونور زوغون" حتى الآن.

من أجل توضيح الصورة أكثر بخصوص هذه المسألة، دعونا نجري بعض التقسيمات على طريقتنا الخاصة ونحلل كل منها على حداه. أولاً، بخصوص الخدوش والعضّات فهي تنتمي لظاهرة معروفة جيداً خاصة في الأوساط الدينية التي يسود فيها الشعور بالذنب، حيث استعرض الكثير من المتنسّكين المسيحيين ندوباً ظهرت تلقائياً على أجسادهم ومعظمها متطابقة مع الندوب التي تظهرها

الصور على جسد سيدنا المسيح الذي تعرّض للتعذيب قبل صلبه (سوف أتناول المسألة في الجزء الثاني من منظور آخر). لقد استعرض الكثير من هؤلاء الأشخاص أشكال وأنواع مختلفة من تجسّد الندوب والعلامات الجسدية وأطلق عليهم اسم "صانعي الندوب" stigmatists. فمثلاً، الكاهن الأب "بيو" Padre Pio، صانع الندوب الإيطالي المشهور، توفي في العام ١٩٦٨م، جعل جروح الندوب تمرّ عبر يديه بالكامل (مكان المسامير في يدي سيدنا المسيح). وهناك "جرح ندبي" ظهر في جنبه، وكان عميقاً لدرجة أن الأطباء الذين فحصوه كانوا مترددين في قياسه خوفاً من الإضرار بأعضائه الداخلية. أما المتديّنة الجليلة "جيوفاني ماريا سوليماني" وهي صانعة ندوب إيطالية مشهورة في القرن الثامن عشر، فقد تجسّدت ندوباً عميقة في يديها لدرجة أنه يمكن وضع مفتاح داخلها. وكما باقي الجروح العائدة لصانعي ندوب آخرين، فجروحها لم تتعفّن أو تتقيّح أو تُلوّث أو تلتهب.

وهناك قضية "صانعة ندوب" شهيرة أخرى تعود للقرن الثامن عشر، وهي القديسة "فيرونيكا جيولياني"، رئيسة دير في "سيتا ديكاستيلو"، أومبريا، إيطاليا. تجسّد على جنبها جرح كبير الحجم، وتستطيع فتحه وإغلاقه حسب الطلب.

لكن يبدو أن ظاهرة تجسيد الندوب لم تقتصر على المتنسّكين فحسب، بل، بالإضافة إلى حالات مشابهة لحالة "أليونور" (فعل الشيطان "دراكو" المزعوم)، هناك أشخاص عاديين يستطيعون استعراض هذه القدرة عند الطلب! في العام ١٩١٣م، ضجّت الصحف بحالة غريبة استعرضتها فتاة في الثانية عشر من عمرها، من قرية "بوسوس سويل"، بالقرب من "أبفيل" فرنسا، حيث اكتُشف بأنها تستطيع أن تأمر بظهور صور أو علامات أو ندوب في أي مكان بجسدها. أشكال مختلفة مثل صور الكلاب والخيول وغيرها. تستطيع أيضاً تجسيد حروف أبجدية وكلمات، وإذا سألها أحدهم سؤالاً سيجد الجواب مكتوباً على جلدها.

أعتقد بأن مسألة التجسّد التلقائي للندوب قد توضّحت بعض الشيء، حيث تبيّن أنها تعود إلى قدرة دفينة في خفايا النفس البشرية. سوف أتوقف عند هذا الحد في

موضوع الندوب لأن باقي المسألة، أي ما يتعلّق بالتفسير المنطقي، ستكتمل فضولها في الجزء الثاني من الكتاب. أما بخصوص ظاهرة تحرّك الأشياء، وما يصطحبها أحياناً بالضجيج والأصوات، فسوف تتوضّح بالتدريج خلال ذكر المواضيع التالية بالتتابع.

"أنجليك كوتن"

Angèlique Cottin

الفتاة الكهربائية؟!

"أنجليك كوتن" هي فتاة ريفية من نورماندي، شمال فرنسا. كانت صغيرة القامة لكنها تحوز على تأثير غريب على الأشياء والأشخاص. صحيح أن الظواهر الخارقة التي تجسدها هي مشابهة لتلك المتعلقة بـــ"البولترجيست" poltergeists لكنها تختلف قليلاً.

لقد أصبحت "أنجليك" معروفة بـــ"الفتاة الكهربائية" The Electric Girl أو أحياناً باسم "فتاة البولترجيست"، وصحيح أن حالتها لم تكن الأولى من نوعها لكنها كانت الأولى التي خضعت للتحقيق العلمي. لهذا السبب تُعتبر "أنجليك" من بين الوسطاء الذين وردت حالتهم بشكل متكرر في دراسات جمعية الأبحاث الروحية والباراسيكولوجيا وبالإضافة إلى باحثين متشككين من خارج مجال الماورائيات.

بدأت هذه الظاهرة تنشط لدى الفتاة في بلدة "لا بيريه"، فرنسا، في ١٥ كانون ثاني ١٨٤٦م، عندما كانت في الرابعة عشر من عمرها. كانت الساعة الثامنة مساءً. كانت "أنجليك" بصحبة بعض الفتيات تحيك قفازات حريرية على إطار من خشب البلوط، وفجأة بدأ الإطار يهتزّ وكأنه مفعم بالحياة. مهما حاولن الفتيات لم يستطعن تهدئة الإطار وتثبيته. بعدما شعرن باليأس والإرباك ركضن لمناداة الجيران، الذين بدورهم لم يصدقوهن وقالوا لهن بأن يتابعن عملهن. فعادت الفتيات ببطئ وهدوء،

الواحدة تلو الأخرى إلى إطار الحياكة، التي بقيت مستقرّة إلى أن اقتربت "أنجليك"، فبدأ الإطار يرقص من جديد. أصيبت الفتيات بالرعب الشديد، لكن "أنجليك" شعرت بانجذاب غريب نحو الإطار.

بعدما سمع والدا "أنجليك" بالحادثة ظنّوا بأن ابنتهم مسكونة! فقررا أخذها إلى بيت الكاهن من أجل طرد الروح الشريرة. لكن راعي الأبرشية كان مثقفاً وذو عقلية منفتحة فامتنع عن إقامة طقوس الطرد لأنه لاحظ بأن الحالة لا تتعلّق بمسألة لبس بالشيطان. فبدلاً من ذلك، أراد أن يشاهد ما تستعرضه الفتاة من قوى، وبعد استعراضها للظاهرة اقتنع بأنها "قدرات جسدية" من النوع العلمي، فنصح الوالدين بأخذ الفتاة إلى طبيب.

بدأت حالة "أنجليك" تسوء مع الوقت. عندما تحاول الجلوس على كرسي، تندفع مبتعدة عنها، وكان القوّة شديدة لدرجة أن رجل قوي لا يستطيع تثبيت الكرسي. طاولة بوزن ٣٠ كيلو غرام انتفضت مرتفعة في الهواء مجرّد أن لمستها. إذا حاولت النوم في السرير يبدأ بالاهتزاز، والمكان الوحيد الذي وجدته مريحاً فيتلك الفترة كان على حجر مغطى بالفلّين. كلما اقتربت من الأشياء كانت تبتعد عنها، حتى لو لم تلامسها. مجرّد لمسة صغيرة من اصبعها أو حتى تنورتها تجعل الأشياء، حتى لو كانت أثاثات ثقيلة، تنتفض واثبة بعيداً، حتى لو كان أحدهم يثبتها بكل ما عنده من قوة. أما الأشخاص الذين تقترب منهم، حتى لو لم تلامسهم مباشرة، يتلقون صدمة كهربائية.

أحد الأشخاص يُدعى المسيو "هربرت"، بينما كان جالساً على صندوق ثقيل، ارتفع في الهواء مع الصندوق. وقد لوحظ هبوب نسمة باردة في مكان وجودها، وهذه إحدى مظاهر "البولترجيست" التي كانت تُلاحظ دائماً خلال تجسّدها في الحالات المنسوبة لوجود كائنات خفية.غالباً ما تتعرّض "أنجليك" لجروح ذاتية نتيجة حركات يدها العنيفة خلال ردود أفعال لاإرادية، وعندما تتجسّد قوتها كانت وتيرة

ضربات القلب ترتفع إلى ١٢٠ في الدقيقة. كما أنها عانت من اختلاجات في بعض الأحيان فتهرب من المكان مرعوبة.

كانت تأثيرات الحالة التي تجسّدها تضعف خلال وقوفها على السجادة أو قماش مشمّع، لكنها تنشط بشكل كبير عندما تقف حافية على الأرض. بدا أن المعادن لا تتأثّر إطلاقاً، مما يشير أن الطاقة المنبعثة من الفتاة تمثّل أحد أشكال الكهرباء، لكنها من نوع خاص لازال مجهولاً. كانت قوتها تنقطع بشكل كامل أحياناً، ولمدة يومين أو ثلاثة، ثم تبدأ من جديد ودون تحذير مسبق. عندما تكون مرهقة تنحسر شدة التأثيرات.

الدكتور الذي أحيلت إليه "أنجليك" جلبها مع والديها إلى باريس. خضعت لعدد من الاختبارات مع الدكتور "تانشو"، الذي لاحظ، بالإضافة إلى أمور أخرى، نسمة باردة تدور حولها، وطالة طعام تحرّكت مجرّد ما لمست ثوب الفتاة، والأريكة الكبيرة والثقيلة التي كان يجلس عليها دُفعت بقوة هائلة نحو الجدار مجرّد أن جلست "أنجليك" بقربه. لقد كان الدكتور "تانشو" مقتنعاً بشكل وافي لدرجة أنه قرّر استدعاء عالِم الفلك والفيزيائي "فرانسوا أراغو"، الذي بدوره اقتنع بما شاهده من ظواهر مما دفعه لإقامة لجنة بحث وتحقيق أوّلي. أقرّت اللجنة بأن الظاهرة حقيقية، وتم نشر تقرير في مجلة *Journal des débats* (شباط ١٨٤٦م).

لاحظ الدكتور "أراغو" أمور كثيرة في قوة "أنجليك" الغريبة، والتي ظنّ بأنها نوع خاص من الكهرومغناطيسية electro-magnetism. لاحظ بأن القسم الأيسر من جسمها، خاصة حول حوضها ويدها اليسرى، هو الذي يشمل قوة النفر الأكثر شدّة. وخلال استعراضها لإحدى قواها، كانت هذه الجهة اليسرى أكثر حرارة من الجهة اليمنى. كان جسمها متأثراً بحركات غير متوقعة، وكذلك الرجفان، وكانت هذه الحالة تنتقل إلى اليد التي تلمسها. الظواهر لم تُجسّد بشكل مستمر خلال اليوم، بل على نحو متقطّع، لكنها تبلغ ذروتها في المساء بين الساعة السابعة والتاسعة.

عند وضع قصاصة ورق أو قلم أو أي شيء خفيف على الطاولة، ومن ثم اقتربت "أنجليك" بيدها اليسرى، يطير ذلك الغرض من على الطاولة وكأنه نُفخ بعصفة ريح، حتى قبل أن تلمسه. ومجرّد أن لمست الطاولة، تطير هذه الأخيرة في الهواء. وهذا يحصل أيضاً إذا لمست خيط موصول بالطاولة!

إذا حاولت الجلوس، تندفع الكرسي بعيداً عنها بقوة شديدة لدرجة أنه إذا كان أحداً جالساً عليها سيندفع مع الكرسي. في أحد الأيام، ورغم أن الكرسي كانت ممسوكة من قبل شخصين قويين جداً، تحطّمت بين أيديهما خلال محاولة الحركة بعيداً. وفي إحدى المناسبات، تحرّك صندوق كبير بنفس الطريقة السابقة رغم جلوس ثلاثة رجال عليه. لاحظ "أراغو" بأن "أجليك"، وخلال ذروة نشاط قوتها، لا يمكنها أن تلمس شيء دون تكسيره أو رميه بعيداً. وقد صادقت ملاحظاته على صحة ملاحظات الآخرين، حيث يتطلّب الأمر لمسة بسيطة من ثيابها لتتحرّك الأشياء أو تتشقلب بعيداً.

شواذ مغناطيسية

لقد وصل "أراغو" إلى استنتاج نظريته الكهرومغناطيسية بخصوص هذه الظاهرة بعد أن راقب حساسية الفتاة الغريبة تجاه المغانط magnets. فمثلاً، تأرجحت إبرة ممتدة أفقياً بشكل سريع مجرّد أن حرّكت الفتاة يدها، رغم عدم وجود أي ملامسة، لكن الإبرة بقيت ثابتة مجرّد إبعادها عن مصدر التأثير (الفتاة). إذا اقتربت الفتاة من القطب الشمالي لقطعة مغناطيس تختبر صدمة قوية شبه كهربائية. بينما الاقتراب من القطب الجنوبي للمغناطيس لم يحدث أي تأثير. لقد تم اختبارها عدة مرات في تجربة أقطاب المغناطيس وبقيت النتائج ذاتها رغم جهلها بنوع القطب الذي تقترب منه. رغم كل هذه الظواهر المتصلة بالمغانط والمجالات المغناطيسية، إلا أن "أراغو" أصيب بالحيرة من انعدام أي قدرة للفتاة في التأثير على إبرة البوصلة!

بالرغم من الطبيعة المتقلّبة لهذه الظاهرة، إلا أن الصحّة العامة للفتاة كان جيّدة جداً طوال فترة تجسّد قوتها، وقد اقتُرح بأن نوع من الخلل العصبي هو المسبب لنهوض هذه القدرة. لخّص الدكتور "أراغو" كل ملاحظاته من خلال القول بأن حالة "انجليك كوتن" استعرضت الحقيقة التالية:

".. بأنه وفق شروط معيّنة، يطلق الكائن البشري قوة فيزيائية تستطيع، دون وسائل مرئية، رفع الأجسام الثقيلة، جذبها أو نفرها، ووفق قانون القطبية، تقلبها،وتصدر ظاهرة الصوت.."

لقد توقفت هذه القوة عن التجسّد في الفتاة بعد فترة قصيرة ربما نتيجة حصول تغييرات بيولوجية في جسدها (كما الحالة السابقة) أو أسباب أخرى لازالت مجهولة.

فتيات كهربائية أخرى

بالرغم من أن "أجليك" كانت الأشهر بين الأشخاص "الكهربائيين"، لأنها خضعت لدراسة مكثفة على يد الخبراء وكتبت عنها المجلات والصحف، لكن هذا لم يمنع وجود المزيد من الأشخاص الذين استعرضوا ذات الحالة في نفس الفترة. ذكرت الباحثة "كاثرين كروي" في كتابها "الجانب الليلي من الطبيعة" *Night Side of Nature*، بأن امرأة باسم مادموزيل "أمريتش"، أخت البروفيسور في علم اللاهوت في جامعة "ستراسبورغ" في حينها، حازت على هذه القدرة الكهربائية. بدأت المشكلة معها بعد إصابتها بحالة رعب شديد خلال حادثة، فوقعت في غيبوبة عميقة، مرفقة مع درجة كبيرة من صفاء النفس. فشُحن جسمها كهربائياً بشكل كبير لدرجة أنها أصبحت تمثّل فعلياً بطارية كهربائية حقيقية، كما وصفها "كولن ولسون" في كتابه "بولترجيست"، فراحت ترسل صدمات كهربائية لكل من اقترب منها، وكما حالة "أنجليك كوتن"، دون حاجة لأن تلمس أحد. وقد استطاعت في إحدى المناسبات إرسال صدمة كهربائية قوية إلى أخيها البروفيسور "أمريتش" بينما كان يبعد عنها عدة حجرات عبر الممرّ. ركض بعدها إلى غرفتها ليراها

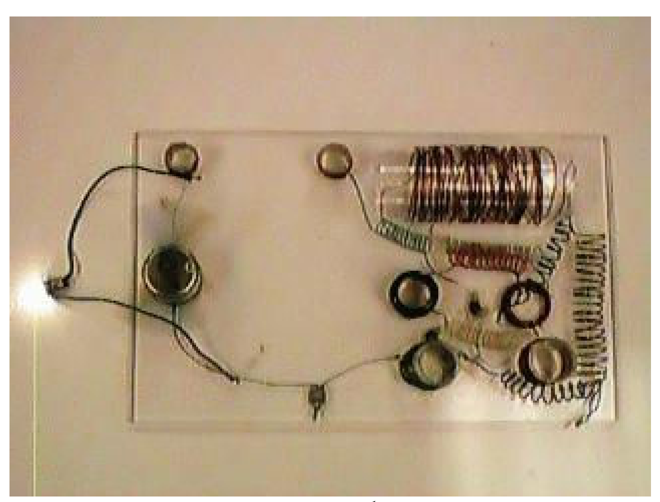
تضحك ساخرة، وقالت: ".. أها،.. لقد شعرت بها أليس كذلك؟.." لكن للأسف الشديد، فقد انتهى مرض الآنسة "أمريتش" بوفاتها المبكر.

ملاحظة: لقد وثّق الباحثين الروحيين عبر القرنين الماضيين الكثير من الظواهر العجيبة التي استعرضها وسطاء متنوعين جاؤوا من أوساط اجتماعية مختلفة، كالقدرة على تجسيد النار مثلاً، حيث عُزيت أيضاً للأرواح الشريرة كما حالة الفتاتين المذكورتين في الأعلى. وأعتقد بأنه ما من داعي لذكرها حيث الفكرة الرئيسية توضّحت.

من قال أن القدرات الخارقة لا تواكب التكنولوجيا العصرية؟!

قدرة على تجسيد الكهرباء في الأسلاك!

بما أننا في سياق الحديث عن الكهرباء (أو ما شابهها)، سوف أستغلّ المناسبة لإلقاء نظرة على قدرة مشابهة للسابقة، لكن مع إجراء بعض التعديلات: تيار كهربائي يتجسّد تلقائياً في الأسلاك! فيشغّل الآلات والأدوات الكهربائية المختلفة!!



تيار كهربائي يتجسّد تلقائياً في مجموعة من اللفات السلكية

اسمه "دانيال بومرلو" Daniel Pomerlou، وهو شاب من كندا، قام في التسعينات من القرن الماضي باستعراض قدرة عجيبة، بل استثنائية، تتمثّل بتجسيد قوة كهربائية غامضة المصدر في دارة بسيطة مؤلفة من مجموعة وشائع فقط! مما يؤدي إلى إنارة المصابيح وتشغيل المحركات الكهربائية! معظم الذين كانوا يحضرون استعراضاته كانوا مهندسين كهربائيين متشككين، وخرجوا بعد الاستعراض يشدون شعرهم من الحيرة والذهول. ".. إنه سحر بكل ما تعنيه الكلمة من معنى!.." هذا ما كانوا يصرحون به.

ما هي هذه القوة الغامضة التي جسّدها "بومرلو" في الدارة؟! إذا كانت قوة سحرية فعلاً، أعتقد بأن العلوم السحرية كسبت نقطة مهمة لصالحها.



إحدى الدارات العجيبة التي استخدمه "بومرلو" في استعراضاته. كان يضع الدارات على لوحات بلاستيكية شفافة لإثبات عدم وجود أي فرصة للخداع.

قال "بومرلو" تعليقاً على هذه الظاهرة العجيبة: إذا أردت التعامل بهذه الدارات وجب عليك أن تتحلى بقدر كبير من ***الإيمان***. وإذا استخدمت دماغك للتفكير كثيراً فسوف لن تحصل على نتيجة. وجب عليك تصوّر الطاقة في أعماق أعماقك، وطالما تعلمت كيف تبقي تلك الطاقة متجسّدة وجدانياً في أعماقك فهذا يعني أنك

تستطيع إنجاز العمل بنجاح. عندما قام أحد المهندسين الكهربائيين بلمس الدارة التي كان يستخدمها "بومرلو"، محاولاً تشغيلها وفشل بذلك، قال له "بومرلو" إذا لم تستطيع التفكير من خلال قلبك (وجدانياً) فسوف لن تدور الدارة أبداً.

الرجل الكهربائي الصينـي

"زهانـغ ديكـي"

يطبخ طعامه من كهرباءه الخاصة؟!



لا بد أنك سمعت عن الإشعاعات الكهربائية، أو سمك الأنقليس الكهربائي، أو سمك السلّور الكهربائي... لكن هل سمعت عن رجل كهربائي؟ يبدو أن هكذا هي الحال مع "زهانغ ديكي"، وهو رجل في الواحد والسبعين من عمره، من مدينة "ألتاي"، غربي الصين، ومتقاعد من عمله في صيانة الطرق السريعة.

هذا الرجل يستطيع أن يمرّر عبره تيار كهربائي بقوة ٢٢٠ فولت (كهرباء المنزل) دون أن يصيبه شيء! بل بالعكس، فهو يفعل ذلك على الدوام كتمرين روتيني يحافظ على لياقته الجسدية!

إذا مرّ التيار الكهربائي عبر جسده خلال تزويد أحد الأدوات الكهربائية بالطاقة، يستطيع هذا الرجل أن يضعف التيار أو يقويه حسب الرغبة بحيث ترى الأداة تبطئ في عملها أو تسرع، أو المصباح يخفت ضوءه أو يلمع بشدّة.

بالإضافة إلى كونه يستطيع شحن جسمه بالكهرباء بحيث يستطيع بعدها تزويد أي آلة أو أداة بالطاقة الصادرة منه.. شخصياً، حسب الرغبة والطلب. بالإضافة إلى ذلك، فهو يستخدم هذه الطاقة العجيبة لعلاج عدة أمراض مثل الروماتزم، التهاب المفاصل، والخزرة، ويبدو أن علاجه مؤثّر وفعال.



رغم أن التيار الكهربائي يشعل المصابيح، إلا أنه لا يؤثّر على الأفراد!

هناك الكثير من الظواهر الأخرى حول العالم والمرتبطة بطريقة أو بأخرى بمجال الكهرباء، لكن أعتقد بأن المثالين السابقين كافيان لإثبات نقطة مهمة جداً ويمكن التعبير عنها بالشكل التالي:

قد يظن الفرد بأن القدرات العجيبة الماضية التي وثّقها العلماء قبل قرن أو اثنين قد انتهت دون رجعة، لكن هذا ليس صحيحاً. إن ما يحصل هو أنها تعود لتتجسّد بشكل جديد يواكب العصر، وهذا أكبر دليل على أنها قدرة مندمجة مع المنظومة العقلية للفرد، لأنها تتجسّد توافقاً مع نظرة صاحبها للواقع من زاوية البيئة التي نشأ وسطها. من أجل توضيح الفكرة، يمكن القول بأن الوسطاء القدامى لم يجسدوا الكهرباء بالشكل الذي يفعله الوسطاء الحاليين لسبب بسيط، وهو أن الكهرباء لم تكن مألوفة في تلك الفترة بالطريقة التي نألفها اليوم. إذاً، القدرات الخارقة تتجسّد بطريقة تحاكي القوى المألوفة في عصر تجسّدها، وليس من الضروري أن تحافظ على ذات الشكل الذي تجسّدت به في العصور السابقة. القدرات الخارقة تتجسّد في صيغة تتوافق مع طريقة تفكير صاحبها ونظرته للأمور، وهذه نقطة مهمة سوف أوضحها بشكل جيّد لاحقاً.

إذاً، هذا هو السبب الرئيسي وراء زوال عادة أو مهنة أو لعبة "تحضير الأرواح" بشكل شبه كامل من الساحة في العصر الحالي (مع استثناءات قليلة جداً). السبب لا يعود إلى أن هذه الجلسات فشلت في تجسيد الظواهر المزعومة بشكل فعلي، بل لأن طريقة حياة الناس تغيّرت بشكل جذري بالمقارنة مع ما كان سائداً في الماضي من أفكار ومفاهيم. صحيح أن الأسباب متعددة، لكن يكفي أن نذكر سبب واحد استطاع أن يلهي الناس عن تلك الممارسات التي كانت تُعتبر عند الأغلبية مجرّد وسائل تسلية لتمضية الوقت، هذا السبب الواحد الأوحد الذي أحدث انقلاباً ثورياً في الحياة الاجتماعية بالكامل هو: جهاز التلفزيون.

هناك أمر آخر وجب ذكره بخصوص طريقة التفكير. لا بد من أننا لاحظنا خلال قراءة الحالتين السابقتين ("أنجليك" و"أليونور") بأن والديهما، فور اكتشاف حالتهما، أسرعا بهما مباشرة إلى الكهنة وليس إلى أي جهة أخرى. وهذا يعود إلى قرون طويلة ومديدة من الاعتقاد بفكرة واحدة محدّدة تم تكريسها عبر القرون: "اللبس بالشيطان". فهذا كان التفسير الوحيد لمجموعة واسعة ومتنوعة من الظواهر والحالات التي تُشاهد في الأشخاص، كالحالات المذكورة سابقاً، وكذلك حالات أخرى كالتقمّص وتعدد شخصيات، وغيرها من حالات سأوردها لاحقاً، لكن من الضروري ذكر الموضوع التالي قبل متابعة سيرنا، لكي نزيل من هذه الشائبة من عقولنا:

لبس الشيطان
Demonic possession

الشخص الذي يُعتبر ملبوساً بالشيطان هو ما يُقال عنه بأنه يعاني من استحواذ كامل على شخصيته من قبل كيان شيطاني. يمكن لهذا الكيان الشيطاني أن يسيطر على الشخص بحيث يتحوّل هذا الأخير إلى كيان شيطاني بذاته.

لقد اعتبرت المؤسسة الدينية القائمة في العصور الوسطى بأن الذي يستحوذ عليه الشيطان هو ملعون، وبالتالي، أي فرد يستعرض سلوك غير طبيعي أو يبدي شخصية غريبة الأطوار كان يُشتبه به أنه ملبوس بالشيطان. في هذه الفترة المظلمة من التاريخ البشري، كانت المؤسسة الدينية مستحوذة بشكل مطلق على أرواح وعقول الرعايا، حيث كانوا مخمورين حتى الثمالة بالأفكار الدينية التي تصوّر [على طريقتها الخاصة] الحرب الأزلية بين الله والشيطان والسباق المحموم بينهما على النيل من أرواح الرعايا، فكانوا هؤلاء المساكين مرعوبين حتى العظم من هذا الشيطان المتربّص بهم في كل مكان وزمان، والجميع طبعاً يفضّل أن تكون روحه من نصيب الله المُمثّل بالمؤسسة الدينية القابضة عليهم بيد من حديد!

كان يُعتقد بأن هناك طريقتين للبس الشيطان: إما أن يستحوذ الشيطان مباشرة على الشخص، أو يقوم أحد السحرة المشعوذين المتعاونين مع الشيطان بإرسال أحد العفاريت للارتباط بالضحية. هذه الحالة المزرية، الناتجة من معتقد ديني متعسّف، سببت الكثير من المآسي الاجتماعية حيث وجد عدد كبير من سيئي الحظ نفسهم يتعرّضون لخطر الاتهام بلبس الشيطان بسبب سمات وجوههم القبيحة والمشوّهة، والتي غالباً ما تكون نتيجة كبر السن أو الفقر أو المرض المزمن. يمكن للعملية أن تكون معكوسة أيضاً، حيث الكثير من النساء الأرامل فقدن منازلهن وممتلكاتهن بسبب اتهامهن بالهرطقة والشعوذة والتسبب بحالات استحواذ شيطاني في مجتمعهن.

في تلك العصور الوسطى، كان الناس يعتقدون بشكل عام أن الله سمح للشيطان بأن يفحص مدى إيمان الناس عن طريق إيقاعهم في شدة معيّنة. أحد الأسس التي انطلق منها هذا الاعتقاد هو قصة النبي أيوب الواردة في الكتاب المقدّس. قيل بأن الشيطان أو أحد مساعديه، وبتواطؤ من إحدى الساحرات المحليات، كان سبب الشدة التي تصيب أحدهم، وكانت على شكل مرض منذ الطفولة، أو موت كافة الدواجن أو المواشي، أو فشل الموسم الزراعي، أو غيرها من مصاعب. في كل مرّة تحصل هكذا أشياء مع أحد السكان كان الأهالي يبحثون عن ساحرة في المنطقة باعتقادهم أنها كانت السبب. وعندما يفشلون في إيجادها، وهذا يحصل دائماً، تقع التهمة عشوائياً على إحدى سيئات الحظ من النساء البائسات فتنال عقابها الأليم. غالباً ما يتواجد في تلك الفترات أشخاص ذوي تشوهات خلقية في أجسادهم أو وجوههم، خاصة أولئك الذين تكون عيونهم جاحظة، فيُتهمون بعين الحسد (يصيب بالعين)، وهذا دليل كافي لأن يكون له صلة بالشيطان، وبالتالي هو أيضاً ينال نصيبه من العقاب، والمتمثل غالباً بالمعاملة السيئة من قبل الأهالي ذاتهم!

وجب الإشارة هنا إلى أن هذه المُعتقدات المنحرفة التي تنحدر إلينا منذ عصور الجهل والانحطاط لازالت مستشرية بين بعض المجتمعات الدينية، خاصة الأصولية منها. ورغم أن هؤلاء المتديّنون يصرّون على أن الإنسان لازال يحمل الخطيئة الأولى منذ أيام آدم، إلا أنهم يزيدون على بؤسه من خلال القبول بفكرة أن الله لازال يسمح للشيطان بأن يتلاعب بالبشر لفحص مدى إيمانهم وتمسّكهم به.

لازالت بعض المجموعات الدينية تعتبر القدرات الخارقة التي يستعرضها بعض الأشخاص على أنها إحدى الدلائل الجازمة على الاستحواذ من قبل الشيطان. وكذلك الحال مع الذين يُعانون من تعدد الشخصيات، أو القدرة على التنبؤ بالمستقبل أو العلم بالغيب بشكل عام، أو "البولترجيست"، أو الذين يُصابون بـــ"اللثلثة" glossolalia، وهي القدرة التلقائية على التحدث بلغات غريبة دون أي تدريب أو تعلّم مُسبق. كان القساوسة المتزمتين الأوائل وكذلك رجال الدين المسيحيين يتفقون على ذات الأعراض المذكورة سابقاً خلال الحكم على الشخص

بأنه ملبوس بالشيطان. وهناك حالات كثيرة لم يُنظر خلالها في الحالة الصحية أو النفسية لضحيتهم.

ومن ضمن الأعراض أو الدلائل التي يستندون عليها في إصدار تهمة اللبس بالشيطان نجد: نوبات التشنّج العنيف، تصرفات فاسقة وداعرة، مراودة الشخص أفكار جنسية، رائحة كريهة تنبعث من الجسم (وغالباً ما يربطونها برائحة الجحيم)، البطن المنفوخ، فقدان سريع للوزن بحيث يصبح الموت محتّم، حصول تغيير في وتيرة الصوت بحيث يتحوّل إلى نُعاق بلعومي مزعج. وأحياناً تظهر قدرات خارقة عند بعض الأشخاص مثل الارتفاع العفوي في الهواء، أو الكتابة الأوتوماتيكية.. أو غيرها.

الكثير من هذه الأعراض أو الدلائل يمكن تفسيرها وفق مفاهيم طبيّة عصرية. فنوبات التشنّج العنيف أصبحت وفق الطب الحديث تمثّل أعراض الصرع (وهو داء عصبي مزمن). والتغيرات التلقائية في الشخصية أصبحت تمثّل دليل على حالة نفسية مضطربة قد تكون هستيرية أو انفصام بالشخصية. أما التصرفات الفاسقة والداعرة، فهي إشارات على اضطرابات عقلية. أما مراودة الشخص أفكار جنسية، وإذا اعتبروها فعلاً بأنها دليل على استحواذ شيطاني، فهذا يعني أن كل البشر في هذا العصر الحديث الفاسق مُصابون بمس الشيطان.. خاصة الرجال. أما البطن المنفوخ، فيمكن أن يمثّل دلالة على سوء تغذية أو غيرها من حالات مرضية. أما القدرة على التنبؤ بالمستقبل أو العلم بالغيب، فهي ملكة ذهنية طبيعية، وتُعتبر عند الحكماء المطلعين بأنها موهبة ربانية. على ضوء ما سبق، أصبح واضحاً أن مفهوم اللبس بالشيطان هو مجرّد خرافة تنتمي لقائمة طويلة من الخرافات التي حكمت الإنسان لفترة طويلة من الزمن.

بعد التقدم العلمي الهائل الذي شهده القرن الماضي، أصبحت الكنيسة تنبّه كهنتها إلى ضرورة التحقق من الجوانب الصحّية والنفسية للشخص الملبوس قبل الحكم عليه وإخضاعه لطقوس طرد الشيطان. وبشكل عام، في الوقت الحالي، انحسرت

الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى تهمة اللبس بالشيطان، ويمكن أن تتلخّص بحالة اشمئزاز تصيب الشخص خلال سماعه تراتيل دينية، أو وجود أشياء مقدسة في المكان.

في الحقيقة، إن الاعتقاد بوجود الشيطان لا يشمل كافة المذاهب الروحية، بل يقتصر وجوده في أدبيات الأديان المنظّمة، مثل البوذية، الهندوسية، اليهودية، المسيحية، والإسلامية، والشينتو... وغيرها، وجميع مجتمعاتها تمارس بطريقة أو بأخرى عملية طرد الشيطان Exorcism، وخصوصاً الكنيسة الكاثوليكية التي تبنّت هذه العملية بشكل رسمي رغم أنها أصبحت مؤخراً حذرة بهذا الخصوص بعد تطوّر الطب وتفسير الكثير من أعراض اللبس بالشيطان على أنها أعراض صحية (كما ذكرت سابقاً). لكن من ناحية أخرى، بدلاً من مفهوم "الشيطان" نجد أن معظم الثقافات حول العالم تؤمن بالأرواح الشريرة، وهنا تختلف الأمور بعض الشيء. إحدى الطقوس اليهودية المشهورة لطرد الأرواح الشريرة، والمذكورة في الأدبيات اليهودية منذ القرن الأوّل الميلادي، تتعلّق بطرد الـ"ديبوق" dybbuk، وهو روح شريرة تستحوذ على الضحية وتسبب مرض عقلي أو تغيير في الشخصية. يتم إخراج الـ"ديبوق" من أصبع الرِجل الصُغرى للمريض، ثم يُرسل إلى الجحيم.

في الكثير من الأديان الشرقية، تقع مسؤولية الكثير من الأمراض والعلل على الأرواح والأشباح، فتُطرد من أجساد المرضى عبر طقوس معيّنة. لكن مهما كانت الأحوال في تلك المجتمعات، فهذه العملية لم تُؤخذ بدرجة الجدية التي تأخذها الأديان المنظّمة التي تعتبر هذا المجال بكامله بأنه جزء من حرب دائرة بين الله والشيطان حيث التنافس المحموم للنيل من أكبر قدر من أرواح الرعايا. لهذا السبب نرى أن طقوس طرد الأرواح في هذه الأديان هي أكثر شراسة وضراوة على المريض المسكين. فالطقوس النموذجية لطرد الشيطان عند الهندوس مثلاً تشمل: نفخ دخان زبل البقر المحروق في وجه المريض، الضغط على الملح الصخري بين أصابعه، حرق فضلات الخنازير، ضرب المريض بضراوة أو شدّه

من شعره، تلاوة الصلوات والمانترات، تقديم الحلوى أو الهدايا كرشوة للشيطان أو الروح الشريرة مقابل مغادرتها جسم المريض.

الطقوس المُمارسة في التقاليد الشامانية تشمل دخول الشاماني في غيبوبة (حالة وعي بديلة) فيسافر في العالم الآخر بحثاً عن سبب المشكلة التي يعاني منها المريض. غالباً ما تُعزى عملية الاستحواذ إلى روح شخص ميّت. فبالتالي، يسافر الشاماني إلى العالم السفلي لمفاوضة تلك الروح، فيعود بالعلاج المناسب للمريض الملبوس، والتي تكون عبارة عن اتفاقية مع الروح بأن تغادر جسده.

ليس كل المتعاملين بمجال طرد الأرواح يعتبرون العملية بأنها مجرّد كشح الروح وإرسالها إلى الجحيم كما تفعل الأديان المنظمّة. فالبعض لا يعتبر هذه الأرواح بأنها شيطانية بطبيعتها بل مجرّد أرواح تائهة مما يجعلها أحياناً تغزو جسد أحد الأشخاص. فالهدف من عملية طرد الأرواح بالنسبة لهؤلاء البعض هو تحرير الروح من جسد الشخص وجعلها تتابع رحلتها إلى المثوى الأخير. غالباً ما يتم الاستنجاد بالسحرة للقيام بعملية طرد الأرواح أو الأشباح أو طاقات روحية أخرى غير مرغوبة في جسد الأشخاص.

لازالت عملية طرد الأرواح، بهدف العلاج من أمراض جسدية أو نفسية معيّنة، منتشرة بشكل واسع في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، الشرق الأوسط، الشرق الأقصى، وفي الثقافات القبلية بشكل عام واللذين لا زالوا يعتمدون على الشاماني كالطبيب الرسمي للقبيلة.

في الصفحات التالية سأذكر نموذجين من تلك الحالات التي توحي فعلياً بأن الشخص أصبح مسكوناً بكيان آخر. لكن بعد النظر إلى تفاصيل الروايتين، ووفق عقلية جديدة متحررة، سوف نكتشف أنها تمثّل إحدى المظاهر الرائعة لطبيعتنا ككائنات بشرية. المسألة تشبه مثال "الكوب" الذي يكون نصفه ملآن والنصف

الآخر فارغ، حيث الأمر يعتمد على نظرة الشخص. الرواية التالية سوف تبدو مرعبة للبعض، ومشوّقة للبعض الآخر، لكن الجميع سوف ينظر إليها من زاوية "الشخصية المسكونة بروح غريبة" أو "لبس شيطاني" أو غيرها من أفكار تتمحور حول المفهوم ذاته. لكن بعد قراءة هذه السلسلة من الكتب، سوف يتطوّر تفكيرنا (هذا أملي) بحيث نبدأ النظر إلى أنفسنا كـ"أنظمة بيولوجية مفتوحة". نحن لسنا "أنظمة مغلقة" كما يحاول العلم إقناعنا من خلال الادعاء بأن العقل لا يفارق الدماغ. نحن عبارة عن أجهزة استقبال بيولوجية متطوّرة جداً. كل فرد منا هو جهاز "راديو" مفتوح على الأثير من حوله وبالتالي هو مفتوح على كل المحطات الإذاعية وموجاتها التي تجول تائهة في الفضاء. طبعاً هذا ليس من أجل القول بأن كل فرد منّا معرّض للحالات المذكورة لاحقاً، لكن من أجل إثبات حقيقة أننا نمثّل أجزاء صغيرة من كيان كبير يشمل كل شيء. نحن مفتوحين عليه كما أجهزة الراديو المفتوحة على الأثير الكوني منتظراً استقبال ما تيسّر من نصيبه. وكل فرد يستقبل على طريقته الخاصة، ذلك يعتمد على تركيبه البيولوجي والعقلي ونزعته النفسية. ففي موضوع النوابغ (أطفال المعجزة) ستلاحظ أن الذي لديه نزعة نحو الرياضيات يبدع في الرياضيات (يستقبل إلهامات رياضية)، والذي لديه نزعة في الموسيقى سوف يبدع في الموسيقى (يستقبل إلهامات موسيقية)،.. وهكذا. لكن يبدو أن بطلتا الروايتين التاليتين تتمتعا بتركيبة بيولوجية ونفسية خاصة جعلتهما تستقبلان ما هو أكثر من الطبيعي. على أي حال، هذه الفكرة ستتوضّح جيداً مع توالي الصفحات والفصول.

"لورانسي فينوم"

Lurancy Vennum

المسكونة بالأرواح



الفتاة "لورانسي" مع والدتها

في القسم الأخير من القرن التاسع عشر، خلال ذروة الحركة "الأرواحية" Spiritualism (الإيمان بالتواصل مع الأرواح) التي اجتاحت العالم الغربي، جذبت قضية "لورانسي فينوم" المسكونة بالأرواح قدراً كبيراً من الشهرة بسبب الطبيعة المميزة والفريدة لهذه الحالة. كانت "لورانسي" فتاة صغيرة من "إلينوي" وزعمت بأنها تقمّصت روح فتاة أخرى تُدعى "ماري روف" Mary Roff، والتي ماتت قبلها بخمسة عشرة سنة. وبالفعل، فقد استطاعت تذكّر، وبكل تفصيل، حياة سابقة تم قضاءها مع أفراد عائلة "روف" وأصدقاؤهم، مما أدى إلى اعتقاد الكثيرون بأنها مثّلت شخصية "ماري روف" فعلاً لكن من الناحية الروحية فقط، فالمظهر الجسدي كان مختلفاً تماماً. وهذا أدى إلى السؤال الكبير: هل هذه الحالة تنتمي لظاهرة "التقمّص" reincarnation أو "الاستحواذ" possession أو "تعدد

الشخصيات" multiple personality؟.. أو الثلاثة معاً؟ قبل التوصّل إلى استنتاج مناسب، دعونا أولاً نتعرّف على مجريات القصة.

سوف نبدأ بالتعرّف على "ماري روف"، صاحبة الروح التي سكنت "لورانسي" بعد وفاتها بخمسة عشرة سنة، ثم نتناول قضية "لورانسي فينوم" وما استعرضته من ظواهر وحالات.

قصة "ماري روف"

ولدت "ماري" في مقاطعة "وارِن"، إنديانا، في ٨ تشرين أوّل ١٨٤٦م. عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها نقلت العائلة إلى "واتسيكا"، حوالي ٧٠ ميل جنوبي "شيكاغو"، إلينوي. في تلك الفترة كانت صحة "ماري" واهنة نتيجة نوبات الصرع التي كانت تعاني منها مرتين يومياً على الأقلّ. في ربيع العام ١٨٦٥م، وخلال محاولتها الهروب من حياتها البائسة التي سببها المرض، حاولت الفتاة الانتحار بواسطة شطب معصميها بمشرط. وجدها والداها بعد قليل غائبة عن الوعي نتيجة فقدان الدم واستدعوا طبيب على الفور. بعد استعادة "ماري" وعيها أصبحت عنيفة لدرجة التوحّش لدرجة أنه تطلّب الأمر عدة أشخاص بالغين لتثبيتها في سريرها. استمرّ هذا الانفعال العنيف لمدة خمسة أيام، ثم أصبحت فجأة هادئة ونامت لمدة ١٥ ساعة متواصلة.

استيقظت لتجد رأسها ملفوفاً بالضمادات لحماية عينيها من الخدوش اللاإرادية. لكن بدلاً من إزالتها، اكتشفت بأنها تستطيع الرؤية بسهولة كما في الحالة العادية بالرغم من أنها معصوبة العينين. لقد شهد على هذه القدرة العجيبة التي استعرضتها الفتاة الكثير من أصدقاء العائلة بما في ذلك شخصيات مهمة مثل "أ.ج. سميث"، محرّر صحيفة *Danville Times*، والكاهن الموقّر "ج.هـ. ريا". فبينما كانت معصوبة العينين تماماً، استطاعت قراءة محتويات رسالة داخل غلاف مختوم في جيب محرّر الصحيفة. كما استطاعت ترتيب مجموعة من قطع على شكل أحرف أبجدية دون أن تراها بعينيها. وقد كتب المحرر المذهول مقالة طويلة ومفصّلة عن هذه

الحادثة في صحيفته. (سأتناول هذه القدرة الاستبصارية لاحقاً في القسم المخصص لهذا الموضوع).

لكن بعدها، عادت صحة الفتاة تتدهور تدريجياً، وقد نصح الأطباء والديها بأن يدخلوها إلى مصحّ عقلي. لكنهما رفضا وقررا الاعتناء بها بنفسهما. اصطحباها معهما لزيارة بعض الأصدقاء في "بيوريا"، إلينوي، لقضاء عطلة عيد الاستقلال، ٤ أيار عام ١٨٦٥م. بينما كانوا هناك، اشتكت "ماري" من صداع شديد وذهبت إلى غرفتها. بعد بضعة دقائق وجدوها فاقدة الوعي على الأرض غارقة في دماءها، فأسرعوا بها إلى مصحّ عقلي، لكنها ماتت هناك في ظهيرة ٥ أيار.

حالة "لورانسي فينوم"

في يوم وفاة "ماري روف"، كانت "لورانسي" لا تزال طفلة عمرها ١٥ شهر تعيش في مزرعة والديها في "أيوا" Iowa. وُلدت في ١٦ نيسان، ١٨٦٤م، في "ملفورد"، إلينوي. في ١٨٧١م، انتقلت العائلة إلى مزرعةتبعد ٧ أميال جنوبي "واتسيكا". كان هذا بعد سنة سنوات من موت "ماري روف"، وبالتالي ليس هناك أي إمكانية لـــ"لورانسي" أن تلتقي بـــ"ماري". كانت "لورانسي" فتاة طبيعية، معافاة صحياً، في الثالثة عشرة من عمرها، في الوقت الذي مضى ١٢ سنة على رحيل "ماري روف" في ٥ أيار، ١٨٧٧م. في الصباح التالي من هذا التاريخ، قالت لوالديها بأنه ".. كان هناك أشخاص آخرين في غرفتي ليلة البارحة، واستمروا في مناداتي رانسي! رانسي!.. وأستطيع الشعور بنفسهم على وجهي.."

بعد هذه الحادثة بأسبوع كانت "لورانسي" تساعد أمها على خياطة درزة مقطوعة في السجادة عندما وقفت فجأة وقالت ".. أمي.. أنا أشعر بالسوء.. أشعر بشيء غريب!.."

بعد ثوانٍ أصبحت متخشّبة وغابت عن الوعي لمدة خمسساعات. بدأ هذا يحصل كل يوم وعادة ما يشمل حالة التخشّب، مع نبض خفيف ونفس بطيء وضعيف،

وحرارتها أقلّ من الطبيعي. عانت من آلام مبرحة في البطن ودائماً تتذمّر من رؤيا غريبة تشمل عادةً ما تسميها "ملائكة". في بعض الأحيان كانت هذه النوبات تدوم لمدة ٨ ساعات، وكانت "لورانسي" خلالها تتحدث بأصوات مختلفة، لكن بعد صحوتها تكون قد نسيت كل شيء.

بعد فحصها، اعتبرها الأطباء أنها مريضة عقلياً ولا يستطيعون فعل شيء حيال الأمر، وكل ما أوصوا به هو إرسالها إلى المصحّ العقلي بمدينة "بيروريا". في هذه الأثناء، كانت الحركة الأرواحية في ذروة شهرتها وجلبت أخبار هذه الفتاة الكثير من الزوار الفضوليين لرؤيتها. وقد سمع بالقصة السيّد والسيّدة "روف"، والدا "ماري روف"، وهما من أتباع الحركة الأرواحية، وذكرتهما هذه الحالة بابنتهما ومشاكلها المشابهة. قاما بزيارة عائلة "فينوم" وأقنعاهما بالسماح للدكتور "إي. ونشستر ستيفنز"، وهو طبيب ومناصر للحركة الأرواحية، من "جانسفيل"، "ويسكونسن"، لأن يحقق في المسألة.

زار الدكتور "ستيفنز" منزل عائلة "فينوم" ووجد "لورانسي" جالسة على الكرسي بالقرب من المدفأة، واضعة مرفقيها على ركبتيها، ويديها تحت خديها، وقدماها تلتفان حول الكرسي، وعيناها تحدقان بوحشية. لفترة من الوقت كان هناك صمت، لكنه كُسر بعد أن حرّك الدكتور "ستيفنز" كرسيه محاولاً الاقتراب منها. فما كان على الفتاة سوى النظر إلى الطبيب بعدوانية وحذّرته بهمجية أن لا يقترب أكثر من ذلك. لقد رفضت بالمطلق أن يلمسها أحد، وكانت تنادي والدها بـــ"دك الأسود الكبير"، وأمها بـــ"العجوز الشمطاء".

خلال هذه النوبات الأولى من فقدان الوعي، من الواضح أن "لورانسي" كانت تُستحوذ من قبل مجموعة من الأرواح (كيانات) السيئة، بما في ذلك روح امرأة عجوز تُدعى "كاترينا هوغان" ورجل شاب يُدعى "ويلي كاننغ". بعد إشكالية كلامية أصيبت بنوبة أخرى، لكن أسرع الدكتور "ستيفنز" في إنقاذها منها عبر تنويمها مغناطيسياً. فهدأت بعدها وقالت بأنها كانت مُستحوذة من قبل أرواح شريرة.

بينما لازالت في حالة النوم المغناطيسي، شجعها الدكتور "ستيفنز" لأن تبحث عن "روح مستحوِذة" أفضل، وبعد أن ذكرت أسماء عدة أشخاص متوفين سابقاً، توقفت للحظة وقالت بأن هناك واحدة تريد المجيء، واسمها "ماري روف". كان والد "ماري" حاضراً، ووافق على مجيئها، وقد حصل ذلك فعلاً، وأذهلت الحاضرين بالمعلومات المفصّلة التي قدمتها عن منزل عائلة "روف".

الاستحواذ الروحي على "لورانسي فينوم"

بعد هذا اليوم من شهر شباط من عام ١٨٧٨م، بدأ "الاستحواذ الروحي" طويل الأمد على "لورانسي"، أو "الطاقة المهيمنة" كما يفضّل البعض وصفها. لكن بدلاً من الفتاة النكدة والهجومية، أصبحت "لورانسي" لطيفة وهادئة ومهذّبة، لكنها لم تعد تتعرّف على أحد من أفراد عائلتها، وبدلاً من ذلك راحت تطلب العودة إلى "المنزل". بعد السماع عن التغيير الاستثنائي الذي حصل مع الفتاة، أسرعت السيدة "روف" مع ابنتها (أخت ماري) إلى زيارة "لورانسي". كانت "لورانسي" تنظر من نافذة المنزل في ذلك الوقت، وعندما رأتهما تقدمان عبر الشارع صاحت ".. لقد جاءت أمّي وأختي نيرفي!.."، كانت تنادي أختها بالاسم "نيرفي" عندما كانتا طفلتان تلعبان معاً. عندما دخلتا المنزل ركضت نحوهما وضمتهما وبكت من الفرح. بعد هذه المناسبة زاد شوق "لورنسي" إلى منزلها القديم واستمرّت في التوسّل لأخذها إلى منزل عائلة "روف".

آملين بأن هذا سيساعد في علاج ابنتهما، سمح والدا "لورانسي" بذهابها إلى منزل عائلة "روف". وعند سؤالها كم من الوقت ستمضيه هناك، أجابت "لورانسي" بأن الملائكة سيسمحون لها بالبقاء حتى وقت ما في شهر "أيار". لم تعرف "لورانسي" منزل آل "روف" من قبل، لكن الأمر العجيب هو أنها عرفت كل شيء عنه. كما أنها تحدثت يومياً عن حوادث معيّنة حصلت مع "ماري روف" خلال فترة حياتها، وتعرّفت بالتفصيل على كل أفراد العائلة وكذلك أصدقاء العائلة، وحددت أي من الملابس كانت المفضّلة لدى "ماري" وكذلك أشياء أخرى كانت لها. وقد ذكرت أحداث لم يعرف بها سوى أفراد الأسرة مع ماري طبعاً.

لمدة ١٥ أسبوع، عاشت "لورانسي فينوم" وكأنها "ماري روف" بين أسرتها وأصدقائها، وكل شيء فعلته أو تكلمته زاد من اقتناع الناس بأنها فعلاً "ماري روف".

كان بقاءها في منزل آل "روف" مفيداً لحالتها الصحية، حيث بدا واضحاً أنها تتقدم، وكذلك صحتها العقلية، لكنها مع ذلك لم تستطيع التعرّف على عائلتها الحقيقية أو حتى الجيران. عندما زارها والداها، السيد والسيدة "فينوم" مع أولادهما، عاملتهم كالغرباء، لكن بعد عدة زيارات تعلمت أن تحبهم كأصدقاء. كانت سعيدة جداً في منزلها الجديد، وغالباً ما كانت ترافق السيدة "روف" خلال زيارة العائلات البارز في المدينة، وجميعهم اقتنعوا تماماً بأن الفتاة ليست مجنونة بل طفلة طبيعية ومهذّبة.

في بعض الأحيان، كانت "ماري" تختفي من جسد "لورانسي" الذي يبقى في حالة غيبوبة عميقة لتعود ماري من جديد يستعيد الجسد روحيته ونشاطه مرة أخرى. في إحدى المرات، بعد ٨ أو ٩ أسابيع من بدء حالة الاستحواذ هذه، عادت روح "لورانسي" إلى جسدها لبضعة دقائق، فتعود شخصيتها وتسيطر على جسدها لفترة من الوقت قبل أن تختفي مرة أخرى. حصلت هذه الحالة أكثر من مرّة بعد العودة الأولى.

في مناسبات عدة ، كان الدكتور "ستيفنز" يسأل "ماري" عن حياتها السابقة، وفي إحدى المرات حدثته عندما شطبت رسغها، وبعد أن طلب منها رؤية مكان الجرح، فراحت ترفع كمها لتريه المكان، لكنها توقفت فجأة، وكأنها أدركت شيئاً مباغتاً، وقالت بسرعة، *".. آه، هذه ليست اليد، تلك اليد هي تحت الأرض.."*، وراحت توصف مكان دفنها، وكيف شاهدت طريقة الدفن، ومن كان حاضراً وقت الزناجة.

تحدث "ماري" عن رؤية ابنة الدكتور "ستيفنز" في السماء، واسمها "أما أنجيليا ستيفنز" Emma Angelia Stevens (التي ماتت في آذار ١٨٤٩م)، قالت له أنها

سعيدة هناك. وقد وصفت شكل ابنته وملامحها الجسدية بالتفصيل، لدرجة أنها ذكرت ندبة في وجهها ناتجة من عملية جراحية. كما أنها وصفت بالتفصيل منزل الدكتور في "جانسفيل"، ويسكونسن، مع أنها لم تذهب إلى هناك في حياتها، كما ذكرت أسماء وأعمار أولاده.

بالعودة إلى حديث الدكتور مع الفتاة. سألها أين تقبع "لورانسي" الحقيقية الآن؟ فقالت له أن "لورانسي" ذهبت بعيداً، تخضع لعلاج، وسوف تعود من جديد بعد استعادة صحتها العقلية والجسدية. وأضافت قائلة: *".. عندما تصبح لورانسي جاهزة للعودة، يصبح واجب على ماري المغادرة.."*

عودة "لورانسي"

في ٧أيار ١٨٧٨م، قالت "ماري" لعائلة "روف" بأن وقت رحيلها أصبح قريباً، حيث صحة "لورانسي" تتعافي وسوف تعود. وبالفعل، في ٢١ أيار، بعد إتمام ١٤ أسبوع كما تنبأت "ماري" منذ بداية استحواذها "للورنسي"، ودعت عائلتها باكية ورحلت. وهذه المرّة عادت "لورانسي" بشكل نهائي، وطلبت من السيدة "روف" أن تأخذها إلى منزلها. وعندا وصولها التقت بعائلتها وراحت تضمّ وتقبل الجميع باكية من الفرح، وأصبحت مدركة بالكامل أين هي ومن هي. قالت لذويها بأن الأسابيع الخمسة عشر الماضية كانت كالحلم بالنسبة لها. لقد عادت "لورانسي" إلى حالتها الطبيعية كما في السابق وكأن شيئاً لم يكن، لكن الفرق هو أن الفتاة أصبحت أكثر ذكاء وأكثر بلوغاً وتهذيباً من قبل.

أقرّ والداها بأن الفضل يعود إلى الدكتور "ستيفنز" السيد والسيدة "روف" لشفاء ابنتهما، حيث لو بقيت "لورانسي" في المنزل فمن المؤكد أنها ماتت، أو أُرسلت إلى مصحّ عقلي. أضافت أمها تقول: العديد من أقرباء "لورانسي"، بما فيه نحن، أصبحوا يؤمنون الآن بأنها عولجت بالقوة الروحية، وتم بالفعل استحواذها من قبل "ماري روف". في شهر تموز ١٨٧٨م، صرّح الدكتور "ستيفنز" بأن "لورانسي" أصبحت فيصحة عقلية وجسدية ممتازة. وقد تلقى منها رسالة شكر مكتوبة بخط

يدها، ولاحظ الدكتور بأن خط الكتابة هذه لا تشبه الخط الذي لاحظه في كتابتها أيام استحواذها من قبل "ماري روف".

لقد عاشت "لورانسي فينوم" باقي حياتها بشكل طبيعي دون أي أثر للتجربة التي مرت بها طوال فترة استحواذها. في كانون ثاني ١٨٨٢م، تزوجت من "جورج بيننغ" من نيويورك، وانتقلا للعيش في كانساس في العام ١٨٨٤م، حيث أصبحت فيما بعد أماً لاحدى عشر ولداً وبنت. ماتت في لوس أنجلوس، كاليفورنيا في ٣٠ آب ١٩٥٢م.

في الحقيقة، إن الدلائل على صحة هذه القصة أكثر بكثير من كونها قابلة للاستبعاد أو التكذيب بسهولة. فقد ضجّت بها كافة الصحف في "شيكاغو" بتلك الفترة وهذا يُعتبر توثيق تاريخي للظاهرة. والدكتور "ستيفنز" ألف كتاباً بعنوان "أعجوبة واتسيكا" The Watseka Wonder يذكر فيه الأحداث بالتفصيل مع ملاحظاته واقتراحاته الخاصة. لكن ما الذي حصل بالضبط؟ هل التفسيرات الوحيدة لهذه المسألة تنتمي لظواهر مثل تقمّص أو استحواذ؟

صحيح أن الأمور تدفعك للوهلة الأولى إلى التصديق الكامل بوجود أشخاص في السماء وغيرها من أفكار مستوحاة من كلام الفتاة. فالحقيقة هي أن "ماري" تمتلك قدرة استبصارية (وهذا ما أظهرته قبل وفاتها)، وبالتالي فالمعلومات التي أعطتها للدكتور بخصوص ابنته وشكلها وكذلك مواصفات منزله وأولاده هي معلومات استبصارية وليست ناتجة من لقاء ماري مع ابنة الدكتور في السماء. إن كل من التقى بأحد المستبصرين (الحقيقيين طبعاً) يعلم جيداً أنهم يستطيعون توفير معلومات أغنى من ذلك بكثير وبالتالي سوف يدعم تعليقي هذا.

أما حديث "ماري" وفق مفهوم "الملائكة" و"السماوات" وغيرها من عناصر تجعلك تكوّن صورة محددة لهذه الظاهرة، فهي تعود لنشأة الفتاة على قناعات واعتقادات معيّنة بحيث لا يمكنها النظر للعالم سوى من خلال هذا المنظور (تذكّر أن والديها

أرواحيين وهذا يرسّخ تلك الأفكار). وهذه نقطة مهمة سوف نتكلم عنها طويلاً لاحقاً. سوف نكتشف بأن المعتقدات تمثّل العدسات البصرية التي ننظر من خلالها إلى الواقع، وإذا تغيّرت العدسات البصرية (المعتقدات) سوف تتغيّر نظرتنا للواقع تماماً.

لكن الأمر المذهل، والذي يوفر لنا معلومة مهمة وحاسمة، هو أن القدرة الاستبصارية لــ"ماري" انتقلت مع روحها خلال استحواذها لجسد "لورانسي" مع العلم أن لورانسي لم تتمتع بهذه القدرة من قبل. وهذا يجعلنا نجزم بأن القدرة الاستبصارية متأصلة في المنظومة العقلية للفرد وليس في تركيبته البيولوجية (الجسدية)، وهذا ما سوف نتأكد منه لاحقاً.

إن كل من انخرط في هذه المسألة، عائلات وأشخاص، يصرّ على حقيقة أن "لورانسي" كانت مستحوذة بالفعل من قبل روح "ماري"، فكيف نفسّر هذه الحالة إذاً؟ اقترح "ريتشارد هدغسون"، الذي عمل مع "مورتن برايس" على قضية تعدد الشخصيات التي عانت منها "كريستين بيتشامب"، بأن "ماري روف" هي مجرّد شخصية ثانوية للفتاة "لورانسي فينوم". وإذا كانت الحال كذلك، فأصبح بإمكاننا استبعاد ظاهرة التقمص أو الاستحواذ أو أي تفسير ماورائي آخر للقضية. وفي الحقيقة هذا ما أصرّ عليه علماء بارزين مثل "وليام جيمز" الذي تناول دراسة المسألة بعمق. فعلماء (الروحانيات) في تلك الفترة كانوا يحاولوا بقدر الإمكان عقلنة الظواهر الماورائية لتصبح مقبولة علمياً على الأقل. وليس هذا فحسب، بل هناك الكثير من الظواهر التي واجهها المنومون المغناطيسيين خلال عملهم على بعض المرضى، جميعهم لاحظوا ظهور شخصيات ثانوية لدى مرضاهم ومن بينها ما يعود لأفراد متوفين. هذه الحالات مألوفة كثيراً لدى ممارسي التنويم المغناطيسي، حيث استطاعوا نبش الكثير من الشخصيات الخفية من أعماق أشخاص عاديين يعتبرون عاقلين ورزينين.

عرفت حالات كثيرة مشابهة في الوسط الطبي الرسمي، الطبِّ النفسي طبعاً، وسمىَّ الأطباء هذه الظّاهرة بانفصام حاد في الشّخصيّة لكن يبدو أنّها أكثر من ذلك بكثير. ظهرت دراسات كثيرة تبحث في هذا الموضوع، مثل دراسة البروفيسور "ب. جانيت" الذي بحث في قضيّة فتاة تدعى "ليوني"، والدّكتور "مورتون برينس" (المذكور سابقاً) الذي بحث في حالة رجل يدعى "لويس فايف" وسيّدة تدعى "كريستين بيشامب" التي تبين أنَّ لديها ثلاثة شخصيات أخرى غير شخصيتها، وحالة الفتاة "دوريس فتشر" التي درسها الدكتور المعروف "والتر برينس" الذي كتب مجلدين كاملين حول هذه الحالة بالذات.

لوحظ بأن بعض الأشخاص أحياناً، وخلال النّوم المغناطيسي أو غيرها من حالات وعي بديلة، بالتكلّم بلغات قديمة جداً لم تعد مستخدمة في هذا العصر حيث أصبحت مقتصرة على خبراء الآثار وعلماء الانثروبولوجيا. ذكر الدكتور "جويل ويتون" Joel Whitton حالة السيّد "هارولد جورسكي" الذي خلال نومه المغناطيسي كتب ٢٢ كلمة ومقطع تعود إلى زمن الفايكنغ. وتعرّف الخبراء على عشرة من هذه الكلمات واستنتجوا بأنّها لغة قديمة كانت تستخدم في الدّول الاسكندينافية. أما الكلمات الباقية فكانت من روسيا وصربيا واللّغة السّلافية. وجميع هذه اللغات تحدّثت عن البحر والسّفن والرَّحلات البحريّة.

ورد في إحدى دراسات "مجتمع البحوث الروحية" عن حالة حصلت في العام ١٩٣١م مع فتاة بريطانيّة (من بلاكبول) تدعى "روزماري" Rosemary. راحت تتكلّم باللّغة المصرية القديمة! واتخذت شخصيّة فتاة مصريّة تدعى "تيليكا فينتيو"، عاشت في مصر بتاريخ ١٤٠٠ قبل الميلاد! وتمكنت من كتابة ٦٦ فقرة باللّغة الهيلوغريفية! ذلك أمام المتخصّص في الآثار المصريّة البروفيسور "هاورد هيوم". استطاعت هذه الفتاة التكلّم بطلاقة بلغة لم تُستخَدم منذ آلاف السنين! ولم تكن مألوفة سوى بين مجموعة قليلة من الأكاديميين المختصين في الحضارات القديمة.

يبدو أن عامل الزمان والمكان ليس له أهمية في ذلك المستوى العميق من النفس البشرية. سوف أورد عينة من الحالات التي تثبت هذه الحقيقة، حيث حصل تواصل بين عصرنا الحالي وزمن الفراعنة، وهذا الاتصال تجسّد في فتاة تبعد عن أرض مصر آلاف الكيلومترات. لكن قبل ذلك، وجب توضيح بعض الأفكار التي لازالت عالقة من الموضوع السابق.

رغم أن الأمر يبدو للوهلة الأولى بأن الروح بكاملها تستحوذ على الفرد إلا أن الأمر يختلف عن ذلك تماماً. إن ما يستحوذ الفرد هو نوع من "برنامج معلوماتي" software الذي يمثّل منظومة معلوماتية كاملة تابعة لشخصية أخرى. وليس هذا فحسب، بل كلمة "الاستحواذ" غير مناسبة أبداً لوصف ما يحدث بالضبط. إن ما يحصل هو حالة "رنين" بين كيان الفرد و"برامج معلوماتية" معيّنة (أرواح) فيتجسّد التواصل. إن الأمر مشابه تماماً لجهاز الراديو الذي يتم توليفه لالتقاط محطات معيّنة، ومجرّد أن حرّكت المؤشّر قليلاً تحصل على محطة مختلفة عن السابقة. وبالتالي، وفقاً لهذا المفهوم الجديد، يمكننا القول بأن المنوم المغناطيسي، وخلال علاجه لأحد المصابين بحالة تعدد الشخصيات، إنما يعمل على توليف الراديو لديه لإعادة ضبطه على التقاط المحطّة الممثلة لشخصيته الأصلية. (سوف تتوضّح هذه الأمور جيداً خلال تناول النظرية الهولوغرافية في الجزء الثاني من الكتاب). كما سبق وذكرت، نحن نمثّل "أنظمة بيولوجية مفتوحة"، وليس هذا فحسب، بل في مكان ما، أو بمستوى ما في أعماق وعينا، والتي يستطيع بعضنا وصولها خلال حالات وعي بديلة، تختفي تماماً الحدود المكانية والزمانية، بحيث لم يعد هناك فرق بين موقع وآخر في هذا الكون ولا بين تاريخ وآخر. سوف يصبح الفرد في كل مكان وكل زمان في نفس الوقت. وبالتالي يمكن أن يتجسّد "الرنين" بيننا وبين أي شخصية أخرى، تاريخية أو عصرية على هذا الكوكب أو أي كوكب آخر.

بالعودة إلى ظاهرة "الاستحواذ"، يبدو أن الأمور ليست دائماً بهذه الصيغة، فليس من الضرورة أن تكون الشخصية الثانوية للمصاب بحالة "تعدد الشخصيات" عائدة

لشخص متوفي، حيث أثبت من خلال التجربة العملية قدرة المنومين المغناطيسيين على تحويل شخصية النائم ليتخذ شخصية أخرى مختلفة تماماً، وليس بالضرورة أن تكون الشخصية الجديدة تابعة لأشخاص متوفين بل تكون وهمية لا أساس لها، وسوف أورد القصة المشهورة التالية لإثبات هذه الحقيقة:

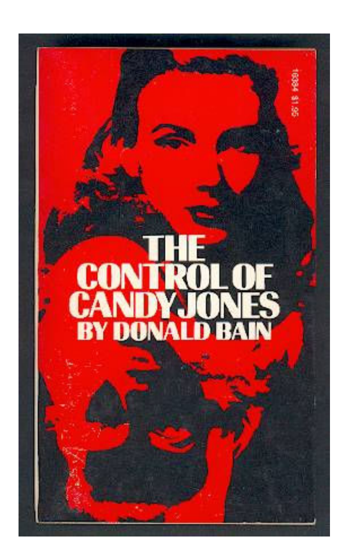
قضية كاندي جونز

زرع شخصية مستقلة من خلال التنويم المغناطيسي

غالباً ما يصطدم الباحثون بظاهرة غريبة تتجلى بأن النائم مغناطيسياً عندما يغرق في حالة وعي بديلة، تختفي شخصيته تماماً وتظهر مكانها شخصية أخرى لها صفاتها وسماتها المستقلّة عن الشخصيَّة الأصليَّة. ويمكن لهذه الشخصية الجديدة أن تكون شخصيَّة حقيقيَّة تعود لإنسان آخر متوفى أو ينتمي لزمن آخر وبلاد أخرى (كما رأينا في الصفحات السابقة)، أو مجرّد شخصية خياليَّة ليس لها وجود في الواقع، لكن الأمر الأكثر إثارة هو قدرة المنوّم المغناطيسي على زرع شخصية مستقلة تماماً عن الشخصية الأصلية ويزوّدها بأوامر والتوقيت المناسب لتنفيذها وكل ذلك دون علم أو إدراك من قبل الشخصية الحقيقية! أشهر الحالات التي تكشف بوضوح عن هذه الظاهرة هي ما أصبحت تُعرف بقضية "كاندي جونز" Candy Jones، التي كانت عن حقّ ضحية عملية تحكّم بالعقول طوال سنوات دون أن تدري بذلك!

كانت "كاندي جونز" عارضة أزياء الأشهر في الولايات المتحدة في عقد الأربعينات من القرن الماضي. وقد سافرت خلال فترة حياتها برحلات عديدة حول العالم. بين العامين ١٩٤٤ و١٩٤٥م، خلال جولة رحلات استعراضية حول جزر جنوبي المحيط الهادي، أصيبت بمرض الملاريا وأدخلت إلى مستشفى خاص في الفيليبين، وهناك نشأت صداقة بينها وبين مجموعة من الشخصيات الطبية والعسكرية وبما فيهم ضابط رفض الكاتب "دونالد باين" Donald Bain أن يذكر اسمه في الكتاب لأسباب تخص الأمن القومي، لكن منحه اسم مستعار هو "غلبرت

جنسون" Gilbert Jenson. بعد ستة أسابيع تحسّنت صحتها وغادرت تلك البلاد عائدة إلى أمريكا.



كاندي جونز، على واجهة غلاف الكتاب الشهير الذي روى تفاصيل حياتها السريّة البائسة

القصة طويلة والتفاصيل كثيرة ومثيرة، لكن خلاصة الأمر هو أن هذه المرأة الجميلة، بعد زواجها الثاني من "لونغ جون نيبل" في العام ١٩٧٢م، وهو أشهر وأنجح مذيع راديو في نيويورك، بدأ زوجها يلاحظ أمور غريبة في تصرفات زوجته. كانت أحياناً كثيرة تتحدث بنبرة جافة وأبدت مزاج حاد يكاد يتحوّل إلى نوبات جنونية أحياناً، هذا بالإضافة إلى أن "كاندي" كانت تعاني من الأرق والعجز الكامل عن النوم. في العام ١٩٧٣م، عرض عليها "نيبل" أن يخضعها لجلسات علاج بالتنويم المغناطيسي ربما يتمكن من تخليصها من هذه الحالة المزرية. وبعد إخضاعها للتنويم المغناطيسي تحسّنت حالتها واستطاعت بعدها النوم بعمق، لكن ظهرت مسألة أخرى على السطح لم تكن أبداً في الحسبان. خلال نومها المغناطيسي، كانت شخصية كاندي تختفي تماماً وتأخذ مكانها شخصية أخرى تُسمى "آرلين غرانت" Arlene Grant! وراح الزوج المسكين يتعرف من خلال

هذه الشخصية القاسية والصارمة حكايا مروّعة عن الماضي الاستخباراتي الحافل لزوجته! أما الذي جنّدها ودرّبها وأدار عملياتها السرية، فكان ضابط الـــCIA الذي أشار إليه الكاتب بالاسم المستعار "غلبرت جنسون" Gilbert Jenson.

هناك الكثير من الحالات المشابهة والتي تم خلالها تجنيد واستخدام أشخاص في عمليات سرية لكن دون علم أو إدراك منهم إطلاقاً.

إذاً، إن ما يستحوذ الفرد هو نوع من "البرماج المعلوماتي" الذي يمثّل منظومة معلوماتية كاملة تابعة لشخصية أخرى (ميتة أو حيّة أو وهمية). بعد افتراض (وسوف نتأكد لاحقاً) أننا على تواصل دائم مع المحيط الأثيري من حولنا، وذلك عن طريق ظاهرة الرنين Resonance، سوف يسهل علينا استيعاب فكرة إمكانية حصول أي نوع من الخلل في البثّ المعلوماتي (أسميه البثّ الهولوغرافي وسوف نتعرف على السبب في الجزء الثاني). صحيح أن هذا نادر الحصول لكنه يحصل على أي حال. من أجل توضيح القصد من "البث الهولوغرافي" سوف أذكر ظاهرة واحدة من بين كمية هائلة منها والتي تحصل يومياً حول العالم.

العصفور اللصّ

خطأ في البثّ الهولوغرافي

السيد "بيل" هو صاحب شركة تصنيع آلات صرف العملة، يبيع هذه الأجهزة لمحطات وقود وغسيل السيارات وغيرها من أماكن عامة. لكن لاحظ مدير إحدى هذه المحطات أن الجهاز الذي اشتراه من شركة السيد "بيل" تسبب له خسارة مبالغ كبيرة أسبوعياً، مما جعله يشكّ بموظفي شركة السيد "بيل" حيث اتهمهم بأنهم يحتفظون بمفتاح إضافي يمكنهم من فتح جهاز صرف العملة وسرقة النقود المعدنية. ولكي يتأكد السيد "بيل" من ما يدعيه مدير المحطة، وضع آلة كاميرا خفية تعمل على مراقبة هذا الجهاز ليلاً نهاراً وتصوير كل من اقترب منه. وكانت المفاجئة بانتظارهم.



العصفور يهبط على مخرج العِمل المعدنية ويحاول الدخول



يحاول الدخول مراراً من مخرج العِمل المعدنية لكنه واجه صعوبة



قام بتبديل وضعيته وحاول الدخول مرّة أخرى مبتدءاً من رجليه



نجح أخيراً في الدخول إلى الجهاز وخرج بعد دقيقة حاملاً العِمل المعدنية في فمه



صورة أخرى التقطت له بينما يقوم بجولة ثانية من السرقة

مع العلم أنه بعد دخول العصفور إلى الجهاز وجب عليه أن ينزل إلى أسفل ومن ثم الصعود إلى الأعلى داخل المتاهات المعدنية حتى يصل أخيراً إلى حصالة النقود. وهذا دليل على أن العصفور يعلم ماذا يريد بالضبط وإلا لما اضطر إلى الخوض في معاناة دخول الجهاز والخروج منه بصعوبة.

وقد أكّد السيد بيل أن هذا العصفور ليس وحده، بل له شركاء كثر، مجموعة كاملة من العصافير تعمل سوياً لإنجاز هذه المهمة. وقد وجدوا أكثر من أربعة آلاف دولار على شكل عملة معدنية مخبئة في مكان على سطح المحطة، وكمية أكبر تحت شجرة مجاورة.

قبل التساؤل بخصوص هذه المسألة، وجب العلم بأن العصافير تغار من بعضها، وبالتالي فهذه العادة المنتشرة بينها ربما انطلقت من عصفور واحد (أزعر) فلحقت به باقي العصافير. لكن مهما كان الأمر، لو كنت أنا عصفوراً لحكمت على هذه العصابة من العصافير بالجنون. ماذا يستفيد العصفور من النقود المعدنية ليكلف نفسه بكل هذا العناء والتعب من أجل الحصول عليها؟

في هذه الحالة، لا نستطيع الحكم على العصفور بالجنون حتى. والسبب هو أنه يدرك ماذا يفعل ويبدو ماهراً في عمله، واستعرض ذكاء عجيب أيضاً، وهذا يستبعد حالة الجنون. بالتالي لا يمكننا سوى تفسيرها وفق الصيغة التالية: "خطأ في البث الهولوغرافي" (أو الرنين المورفوجيني كما يفضل البعض تسميته)، وبما أن هذا العصفور استعرض نوازع ذات طبيعة إنسانية بحتة (حب المال) فمن المؤكّد أن هذا الخلل في البث الهولوغرافي جسّد إحدى ثلاث حالات: التقمّص أو انفصام الشخصية أو الاستحواذ بنوازع وميول إنسانية بحتة. والله وحده يعلم.

هناك الكثير من الحالات التي تستعرضها الحيوانات المختلفة، بما فيها أفاعي، قطط، كلاب،.. إلى آخره، وجميعها أظهرت في تصرفاتها بأنها مُستحوذة من قبل عقول بشرية، لكن أعتقد بأن الفكرة أصبحت واضحة نوعاً ما.

خطأ في البثّ الهولوغرافي

دعونا الآن نتصوّر جهاز راديو مولّف على تردد معيّن ليستقبل إحدى الإذاعات. لسبب معيّنة، سقط الراديو على الأرض. هذا السقوط ينتج أربعة احتمالات لا غير: الاحتمال ***الأوّل*** يفترض بأن الجهاز تحطّم ولم يعد يعمل بسبب تلقي ضربة في إحدى المناطق الحساسة. أما الاحتمال ***الثاني***، فيفترض أن الراديو أصيب بخلل في استقبال المحطات، أي لازال يستقبل لكن مجرّد صوت تشويش وبعض الأصوات شبه المفهومة. الاحتمال ***الثالث*** يفترض بأنه لم يَصاب بأذى بل يستمر في الاستقبال كالعادة. لكن هناك احتمال ***رابع*** نادر جداً، لكنه يحدث على أي حال، ويفترض بأن مؤشّر الراديو تحرّك قليلاً خلال الارتطام بالأرض مما أدى إلى تغيير التوليف وبالتالي راح يستقبل إذاعة أخرى.

رغم أن جهاز الراديو يختلف تماماً عن البنية الجسدية/الروحية المعقدة للإنسان، لكن أعتقد بأن التشبيه أصاب الهدف من ناحية توضيح الفكرة. فالإنسان مثلاً، إذا تلقى صدمة قوية نتيجة حادث سقوط أو اصطدام، فينتج من هذا أيضاً أربعة احتمالات لا غير: ***الأوّل*** يفترض بأن الشخص تلقى ضربة قوية أدت إلى وفاته. الاحتمال ***الثاني*** يفترض بأن الضربة أبقت على حياة الشخص لكنها أحدثت عطباً في بنيته العقلية/الجسدية فإما يُصاب بالجنون أو خللاً في جهازه العصبي (شلل) أو ما شابه. الاحتمال ***الثالث*** يفترض بأنه لم يُصاب بأذى وينهض كما الحصان. أما الاحتمال ***الرابع***، فرغم ندرة حدوثه لكنه يحدث على أي حال، ويتمثّل بحصول تغيير جذري في شخصية الفرد. أي بمعنى آخر، وكما تقول الفكرة الشائعة: تستحوذ عليه شخصية أخرى مختلفة تماماً. وهناك تفاوت في شدة تأثير هذه الشخصية الجديدة من فرد إلى آخر، حيث هناك من تنقلب شخصيته تماماً لتأخذ مكانها شخصية أخرى وتبقى حاضرة حتى النهاية (أشهر حالة هي تلك التي حدثت مع السمكري المحلّي البريطاني الذي تحوّل بين ليلة وضحاها، ونتيجة حادث سقوط، إلى متصوف من التبت يُدعى "لوبسانغ رامبا" حيث أصبح من أشهر الكتاب في الخمسينات من القرن الماضي). بينما هناك حالات يبقى فيها الأمر

زئبقياً بين وبين، فتستمر الشخصية الأصلية في الحضور لكن متأثرة بشكل كبير بشخصية أخرى تدخل حياته. والقصة التالية هي من النوع الثاني، والشخصية التي استحوذت جزئياً على الفتاة الأيرلندية "دوروثي" هي كاهنة مصرية عاشت في هذا العالم قبل أكثر من ٣٠٠٠ سنة.

أم ساتي

Omm Sety

زيارة كاهنة فرعونية من وراء حجاب الزمن!



الاسم "أم سَاتي" هو الذي تبنته "دوروثي لويز أيدي" Dorothy Louise Eady خلال عيشها في مصر، بعد أن اقتنعت بأنها متقمصة روح كاهنة فرعونية عملت في معبد "سَاتي" الأوّل Sety I في أبوديس بمصر العليا. كانت تُعتبر بالنسبة للكثيرين بأنها مثّلت إحدى الدلائل الحيّة على إمكانية انتقال الأرواح عبر هذا الحاجز الزمني الطويل الذي يفصل بين الماضي البعيد والتاريخ المعاصر. وجب العلم بأن "أم سَاتي" ليست الوحيدة، بل مجرّد عيّنة من عدد كبير من الذين تقمصوا أرواح فراعنة، كهنة من حضارات مختلفة، ملوك أطلنطيين، ملكات من حضارات

الأمازون المندثرة، وغيرهم الكثير من الذين وجدوا منفذاً زمنياً ليستحوذوا على حياة أشخاص في القرن العشرين والواحد والعشرين.

ولدت "دوروثي لويز أيدي" في عائلة أيرلندية في إحدى ضواحي لندن في شهر كانون ثاني من العام ١٩٠٤م. حسب روايتها الخاصة، كانت "دوروثي" في سن الثالثة من عمرها عندما وقعت متدحرجة على طول درجات سلّم طويل وأُعلن وفاتها رسمياً من قبل الطبيب. لكن بعد ساعة تقريباً، كانت الفتاة جالسة على السرير بصحّة جيدة وكأن شيئاً لم يكن. ومن هنا بدأت المشكلة، حيث راح يراودها باستمرار أحلاماً توحي لها بأنها تعيش داخل مبنى قديم يحتوي على عواميد عملاقة، وقد ترجمت الصورة منذ تلك السن المبكرة في حياتها بأن ما رأته هو معبد. وبعدها بسنة تقريباً، أي كانت تبلغ حوالي أربع سنوات عندما اصطحبها والداها في زيارة إلى المتحف البريطاني، وهنا بالذات، في قسم الآثار المصرية، انتفضت الفتاة وكأنها انتعشت من جديد وشعرت بأنها في موطنها الأصلي! كان التأثير قوياً على هذه الطفلة الصغيرة لدرجة أنها ركضت كالمجنونة عبر الصالات، تقبّل أقدام التماثيل القديمة إلى أن جلست أخيراً تحت أقدام مومياء واقفة داخل واقي زجاجي، ورفضت التزحزح من هناك.

بعد ثلاث سنوات، شاهدت "دوروثي" صورة في أحد الصحف تبيّن معبد "سَاتي" الأوّل في أبوديس، وتعرّفت عليه فوراً مؤكّدة بأنه هو الذي يحتوي بداخله على العواميد العملاقة التي تراها دائماً في أحلامها. قالت لوالدها أن هذا المعبد هو منزلها، المكان الذي عاشت فيه يوماً، لكنها أصيبت بالحيرة والإرباك متسائلة لماذا هذا المعبد يبدو في الصورة مدمّراً؟ وأين الحديقة الجميلة التي تحيط به؟

خلال فترة مراهقتها أمضت "دوروثي" معظم أوقاتها تدرس علم الآثار المصرية. وقد شملت هذه المرحلة الدراسية تعلّم ترجمة الكتابة الهيروغليفية على يد السير "أرنست واليس بودج" Ernest Wallis Budge، القيّم على التحف المصرية في المتحف البريطاني. لكن لم تناسب الظروف إلا بعد بلوغها ٢٩ من عمرها،

وتزوجها من طالب مصري يدرس في بريطانيا، حتى سافرت أخيراً إلى مصر، وأصبحت أوّل امرأة تعمل في قسم التحف المصرية هناك. أنجبت "دوروثي" ولداً وأصرّت على تسميته "سَاتي"، وهذا أزعج زوجها كثيراً لأنه منافي للتقاليد الشعبية التي تقرّ بحق الأب في تسمية المولود البكر. ومن هنا جاء اسمها الشهير "أم سَاتي". بعدها بسنوات عديدة، في العام ١٩٥٦م، بعد انفصالها عن زوجها، عادت أخيراً إلى وطنها الأم، إلى أبوديس، واستمرّت في العيش هناك في منزل شعبي متواضع حتى وفاتها في العام ١٩٨١م.

لقد شُيّد معبد أبوديس من قبل الفرعون "ستي" الأوّل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. كان يُعتبر دائماً مكان عبادة وتضرّع لـــ"دوروثي". رغم هيئته المدمّرة وأحجاره المتناثرة هنا وهناك، مع الغبار والتربة والركام في كل مكان، كانت "دوروثي" تخلع حذاءها قبل دخول المكان وخلال وجودها في الداخل كانت تعبد الآلهة المصرية على الطريقة القديمة. وحسب ما ورد في مذكراتها (التي كُتبت معظمها بواسطة نوع من الكتابة الأوتوماتيكية حيث كانت دوروثي شبه واعية) لقد علمت من خلال أحلامها الكثيفة بأنها متقمصة روح كاهنة عذراء في الرابعة عشر من عمرها تُدعى "بنترشيت"، وعاشت في معبد أبوديس خلال فترة حكم الفرعون "سَاتي الأوّل".



معبد سَاتي الأوّل في أبوديس

حسبما وصفت في مذكراتها، اعتقدت "دوروثي" بأن دورها الرئيسي بصفتها الكاهنة "بنترشيت" هو تمثيل دور معيّن في الطقوس المسرحية التي تستعرض موت وقيامة الإله المصري أوزيريس داخل المعبد. والأمر الأكثر إثارة هو أدعاء "دوروثي" بأن الفرعون "سَاتي" الأوّل وقع في حبها بعد أن رآها بالصدفة في حدائق المعبد عندما كانت كاهنة صغيرة هناك. وكان للقصة نهاية محزنة حيث اكتشفت الفتاة بأنها حامل من علاقتها السرية مع الفرعون فقررت الانتحار منعاً للفضيحة والتسبب بإحراجه.

بسبب معرفتها العميقة بكل شيء يتعلّق بمصر القديمة، أصبحت "دوروثي" شخصية مشهورة ومحترمة في أبوديس، وكانت متعددة النشاطات إن كان في تفاعلها مع المجتمع المحلّي، أو لعب دور دليل سياحي للآثار هناك، أو كتابة الدراسات والأبحاث على طريقتها الخاصة.. إلى آخره. لكن الأمر الذي اشتهرت به هو ممارستها لطريقة علاج مصرية قديمة وكان يزورها الكثير من السكان المحليين طلباً للعلاج، فقد كان الاعتقاد راسخاً بينهم أنها تعلم بأسرار السحر المصري القديم واستخداماته الموجّهة للعلاج. وفي الحقيقة كانت مؤمنة كبيرة بفعالية السحر المصري القديم وقوة الآلهة المصرية.

ربما القسم الأهم والأكثر غرابة في قصة "أم سَاتي" هو دورها الرئيسي في أهم الاكتشافات الأثرية التي حصلت في أبوديس حيث معروف جيداً أنها اعتمدت على نصائحها التي قدمتها للباحثين الأثريين وهي بدورها اعتمدت على ذاكرتها التي تعود إلى تلك الفترة الغابرة حيث كانت تعيش هناك قبل ٣٠٠٠ سنة ككاهنة صغيرة في سن الرابعة عشر من عمرها.

من بين أشهر الأمثلة على هذه الحالة هو أن "أم ستي" كانت تزعم دائماً وباستمرار بأنه كان هناك حديقة موصولة بمعبد "ستي الأوّل". لكن هذا ليس كل شيء حيث أنه من البديهي استنتاج هذه الحقيقة لأن كافة المعابد القديمة كانت محاطة بحدائق. الأمر المذهل هو أن "أم تي" استطاعت تحديد الموقع بالضبط الذي وجب حفره من

أجل الوصول إلى آثار الحديقة، كما تنبأت بوجود نفق سرّي يجري تحت القسم الشمالي من المعبد، وهذا ما تم اكتشافه لاحقاً من قبل الباحثين الأثريين الذين عملوا على نصيحتها. وهناك على الجانب الآخر بعض الحقائق التي تنبأت بها "أم ستي" لكن مُنع العمل بها، أو على الأقل لم يُعلن رسمياً عن اكتشافها. ومثال على ذلك هو زعمها بأنه تحت المعبد تماماً، لكن في أعماق الأرض، يوجد حجرة تحتوي على مكتبة مؤلفة من سجلات دينية ومعلومات تاريخية مخفية. لكن لم يتحقق حلمها بنبش هذه الحجرة خلال فترة حياتها.

من بين المزاعم الأخرى لأم سَاتي والتي تنافي منطق علم الآثار العصري، هو أنها تذكرت إحدى المحادثات التي جرت بينها وبين الفرعون "ستي" الأول، وقد كشف لها هذا الأخير بأن "الأوسيرون" Osirion، وهو مبنى ذو حجارة ضخمة في أبوديس، لم يتم بناءه من قبله بل يعود تاريخه إلى حقب زمنية أقدم بكثير. مع العلم بأن علماء الآثار المصرية يعتقدون اليوم بأنه من بقايا آثار ضريح الفرعون "ستي" الأول. وقد تذكرت الفرعون يحدثها عن أبو الهول أيضاً والموجود في الجيزة، فأصل هذا الصرح العملاق يعود إلى عصور غابرة أيضاً. وهذا ينافي التاريخ الذي ألزم به رسمياً، أي ٢٥٠٠ ق.م. وبدلاً من كونه يمثّل ملامح الملك "خفرع" كما يُعتقد رسمياً، فتم بناءه (حسب "أم ستي") للإله المصري القديم "حورس".

كانت "أم سَاتي" امرأة غير عادية وصحبتها تبعث في نفسك الاستطراف والمتعة معاً. كانت معرفتها المفصّلة للآثار المصرية والممارسات السحرية المصرية القديمة محط إعجاب لكل من قابلها، بما فيه عدد كبير من علماء الآثار الذين عرفها وعملوا معها في أبدويس. معظم الباحثين يتفقون على حقيقة أنه يستحيل عليها الإلمام بهذه المعرفة الواسعة، مع الفهم العميق للتقاليد المصرية القديمة، عبر قنوات عادية من التعليم.

بالرغم من مزاعمها التي يصعب تصديقها "منطقياً" بخصوص كونها تتقمّص شخصية كاهنة فرعونية تُدعى "بنترشيت"، عذراء المعبد التي عاشت في أبوديس في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، لكن الذي يجبرك على تصديقه هو تلك المعلومات التي أثبتت جدواها على أرض الواقع في أكثر من مناسبة. وهذا سيدفعك إلى الإقرار على الأقل بحصول تواصل بين "دوروثي" ومخزون معلوماتي، يقبع في مكان ما، يحتوي على ذكريات وانطباعات وصور مختلفة عن الماضي البعيد، لكن العلم الحالي يعجز عن تفسيره.

ربما ستسنح لنا الفرصة للاطلاع على المزيد عن "أم ستي" ومساهماتها المهمة في علم الآثار المصرية، وذلك من خلال قراءة القسم غير المنشور من مذكراتها ولأسباب لا زلنا نجهلها.

هناك الكثير من الحمقى الذين يرفضون وجود هكذا ظواهر (رغم تجسّدها أمام عيونهم)، ويعزون المعرفة الواسعة لـــ"أم ستي" إلى خيالها الواسع المخلوط مع ما تعلمته عن الآثار المصرية في بداية حياتها، ويدعمون أقوالهم هذه بالمنطق العلمي السائد اليوم والذي يقرّ بأن "المعرفة" بشكل عام لا يمكن أن تتجسّد سوى بعد مرحلة من التعلّم والخبرة يمرّ بها الطفل بعد الولادة، وفقط عبر التفكير والاستنتاج المنطقي الذي يبدأ بالنمو تدريجياً لدى الطفل بعد سنوات من ولادته.

لكن الأمر لا يبدو كذلك حسب ما تشير الحقائق على أرض الواقع. الكثير من الظواهر تشير إلى نوع من المعرفة المكتسبة "فطرياً" أو دعونا نقول "تخاطرياً" أو "لا سلكياً" أو غيرها من تفسيرات وضعها البعض في محاولتهم حل هذا اللغز الكبير. وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل لاحقاً، لكن دعونا أولاً نزيل بعض الشوائب العالقة في بعض الجوانب المتعلقة بالمواضيع السابقة.

طريقة التفكير وعلاقتها بتجسيد الظواهر الخارقة

لا بد من أننا لاحظنا خلال قراءة الحالات السابقة بأنها ارتبطت، بطريقة أو بأخرى، بمفاهيم ماورائية لا يمكن استنباط منها سوى صورة محددة تشمل مثلاً:

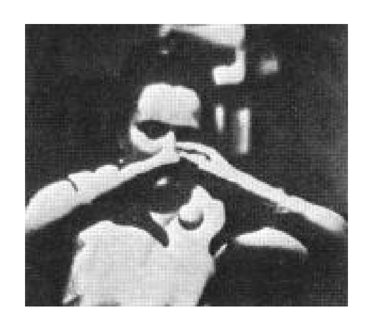
"..عالم ماورائي.. يسكنه كيانات روحية.. تقرّر هذه الأرواح لسبب ما أن تستحوذ على أفراد محددين.. وهذه الكيانات مقسومة إلى قسمين: خيّر وشرّير، تعتمد على نوع المظاهر التي يبديها الشخص المُستحوذ أو الملبوس... لكن هناك حالات استثنائية تبدأ فيها الأشياء بالتحرّك والطيران في الهواء.. وتحترق.. إلى آخره، حينها يكون دليلاً قاطعاً على حضور الشيطان بنفسه داخل الفرد المستحوذ.."

هذا كان التفسير الوحيد لتلك المجموعة الواسعة والمتنوعة من الظواهر والحالات التي تُشاهد في الأشخاص الذين استعرضوا ظواهر خارقة بطريقة أو بأخرى. بناء على هذه الصورة المحدد التي تحكم نظرتنا لهذه الأمور، يكون رد فعلنا تجاه هذه الحالات كما رد فعل أهالي الوسطاء المذكورين سابقاً، كوالدي كل من "أنجليك" و"أليونور" الذين أسرعوا بهما مباشرة إلى الكهنة وليس إلى أي جهة أخرى ظناً بأنهما ملبوستان بالشيطان، أو والدي "لورانسي" و"ماري" الذين نظروا إلى القضية وفق مفاهيم "التقمّص" و"الاستحواذ" التي كانت شائعة في بيئتهم الاجتماعية المعتنقة للمذهب الأرواحي (الإيمان بوجود أرواح). لهذا السبب اتخذت تلك الظواهر التي برزت لدى أطفالهم مظهراً مطابقاً لما كانوا يؤمنون به. قد يبدو هذا الأمر ثانوياً لكنني سوف أوضّح مدى التأثير الذي يمكن للاعتقاد تجسديه في حياتنا اليومية وكينونتنا بشكل خاص (في الجزء الثاني). سوف تتعرفون على حقيقة أننا نعيش ما نؤمن به فعلياً على أرض الواقع. ***نحن ممثلون في مسرحية من تأليف وإخراج معتقداتنا وقناعاتنا المسبقة***. ودليل على هذا هو أن الظواهر الخارقة موجودة وتتجسّد في كل مكان حول العالم وبين كافة المجتمعات، لكنها تتخذ أشكال مختلفة حسب اختلاف المجتمع وطريقة تفكيره. لماذا يا تُرى؟

دعونا نلقي نظرة على ما يمكن للوسيط فعله إذا كان يعيش في بيئة اجتماعية متحررة من الاعتقادات الروحية (أي لا يؤمن بالأرواح أو الماورائيات أصلاً). وذلك من خلال إلقاء نظرة على وسطاء علمانين/ماديين نشئوا في عرين المفاهيم الدنيوية/المادية.. الاتحاد السوفييتي السابق.

نينا كولاغينا

Nina Kulagina



لقد تعرّفنا على الوسيطة الروسية "نينا كولاغينا" في إصدارات سابقة خلال تناول هذا الموضوع من جانب مختلف. والصورة المبيّنة في الأعلى تعبّر عن القدرة التي اشتهرت بها. لكن هناك المزيد من ما وجب معرفته بخصوص هذه المرأة. وإذا أردنا البدء من سياق الموضوع الذي نحن بصدده الآن، من المهم معرفة أن "كولاغينا" لم تنشأ في بيئة اجتماعية تؤمن بالأرواح أو الماورائيات، بل لم تنشأ في بيئة اجتماعية طبيعية أصلاً. كان عمرها لم يتجاوز الرابعة عشر عندما حاصر الألمان "لنينغراد" Leningrad، وكما باقي فتيان هذه المدينة، كان عليها أن تصبح جندية مقاتلة في سبيل الوطن. لقد التحقت بصفوف الجيش الأحمر مع والدها وأخوها وأختها، وتم إرسالها إلى مناطق الموت الأمامية. كانت الظروف خلال السنوات الثلاثة للحصار مريعة ومرعبة. وصلت درجة الحرارة الشتوية أحياناً إلى ٤٠ تحت الصفر، الحصة الفردية من الخبز لم تتجاوز ٤ أونصة يومياً، الماء نادر والكهرباء معدومة، كانت المدينة مدمّرة بفعل القصف المستمرّ جواً وبراً.

خدمت "نينا" في الخطوط الأمامية كعاملة راديو داخل دبابة T-34، وميّزت نفسها خلال أداءها البطولي بحيث مُنحت رتبة رقيب متقدّم. لكن انتهت الحرب بالنسبة لها بعدما أصيبت في إحدى نوبات القصف المدفعي. لكنها تمكنت من الشفاء واستقرّت بعدها لتبني أسرة وتتابع حياتها العادية.

رغم أنها لم تنشأ وسط بيئة اجتماعية تؤمن بالأرواح أو غيرها من أمور ماورائية، لكنها كانت تدرك بأنها تتمتع بقدرات غير عادية. كانت تستطيع رؤية الأشياء داخل جيوب الناس، وعندما تلتقي بأشخاص مصابين بمرض كانت تستطيع تحديد نوع المرض الذي يعانوا منه، وذلك من خلال تشكّل صورة ذهنية في عقلها توحي لها بنوع وطبيعة المرض. في أحد الأيام، كان مزاج "نينا" سيئاً حيث الشعور بالغضب الشديد، وبينما كانت متوجهة نحو خزانة المطبخ تحرّك أحد الأكواب لوحده نحو حافة الخزانة وسقط على الأرض متحطماً إلى أجزاء متناثرة. بعد هذه الحادثة، بدأ يحصل أمور كثيرة غريبة في منزلها. كانت الأنوار تطفئ وتضيء لوحدها. أصبحت الأشياء الجامدة تتحرّك وتهتزّ وكأنها مفعمة بالحياة، وبدا واضحاً أنها تنجذب إليها أو تبدي حيويتها بحضورها. كان الأمر مشابه تماماً لظاهرة "البولترجيست" لكن "نينا" لم تؤمن بالأرواح أو غيرها من أمور غيبية فبالتالي لم تخف أو ترتبك بل أدركت فوراً أن الطاقة المسببة لهذه الأمور تنبعث منها، واكتشفت لاحقاً بأنها إذا حاولت جاهدة فسوف تستطيع التحكم بهذه القوة حسب الطلب والرغبة.

في العام ١٩٦٤م، بينما كانت في المشفى تتعافى من أحد الانهيارات العصبية، قامت "نينا" بالكثير من الحياكة لتمضية وقتها. لكن الأطباء أصيبوا بالدهشة عندما شاهدوا كيف تستطيع أن تمدّ يدها إلى سلّة الحياكة وتختار لون الخيط الذي تريده دون أن تكلف نفسها بالنظر إلى السلّة. وقد تم استدعاء علماء باراسيكولوجيين للنظر في المسألة، وفي السنة التالية، بعد شفاءها الكامل، وافقت على الخضوع لبعض الاختبارات لدراسة قدراتها المميّزة. لقد تم اختبار قدرتها العجيبة على تحديد الألوان من خلال رؤوس أصابعها دون استخدام العينين. لكن هذه قدرة

ليست جديدة على العلماء الروس الذين تناولوها سابقاً مع وسطاء آخرين مثل الفتاة الروسية "روزا كوليشوفا" التي تستطيع القراءة من خلال رؤوس أصابعها. وفي الحقيقة، إن لهذه القدرة تاريخ طويل مع البحث العلمي حول العالم وسوف أتناولها لاحقاً.

كانت "كولاغينا" تحوز على قدرات علاجية أيضاً، فمثلاً، تستطيع تسريع التئام الجروح من خلال وضع يدها فوقها. كما تم اختبار قدرتها على تحريك الأشياء عن بُعد وكانت النتائج مذهلة، ووصلت درجة الجديّة في انخراطها بعالم الاختبارات السريّة السوفييتية إلى أنهم أبقوا على سريّة هويتها الحقيقية وكان لها شرف حمل الاسم المزوّر "نيليا ميخالوفا" لسنوات طويلة.

كانت "نينا" تجلس مقابل الطاولة ثم تحدّق إلى غرضصغير الحجم، مثل كرة بينغ بونغ أو علبة كبريت أو كوب أنبيذ، فتجعله يتحرّك دون أن تلمسه. لكن هذا لن يحصل فوراً، حيث يتطلّب الأمر من "نينا" فترة طويلة من التحضير النفسي (الهدوء العقلي) لتستجمع قواها.فمن أجل أن تصبح قادرة على تحريك الأشياء، وجب عليها إزالة كافة الأفكار من رأسها بحيث لم يبقى سوى شاشة بيضاء. وقالت للباحثين بأنها عندما تنجح في تثبيت تركيزها على الشيء المستهدف، تشعر بألم حاد في عمودها الفقري وبصرها يصبح شاحباً. لقد خاضت "نينا"تمرينات قاسية وصارمة إلى أن نجحت أخيراً في تحريك علب كبريت أو أقلام وإبرة البوصلة أو حتى رفع كرة بينغ بونغ في الهواء.

لقد خضعت "نينا" لاختبارات عديدة على يد أبرز العلماء السوفييت، وذلك وفقشروط مخبرية صارمة. وقد أقرّوا أكثر من مرّة بأنها قدرة إنسانية حقيقية وليس للأمر أي علاقة بالخداع الاستعراضي كإخفاء مغانط أو خيوط أو غيرها من أساليب يلجأ إليها المخادعون. وهذه اعترافات مهمة جداً في بلد تسوده أيديولوجيا مادية لا تؤمن سوى بكل ما هو مادي وملموس.

من بين الشخصيات العلمية البارزة نجد رئيس قسم الفيزياء النظرية بجامعة موسكو، الدكتور "يا. ترلتسكي" صرّح في ١٧ آذار ١٩٦٨م، في صحيفة "موسكو برافدا" يقول: ".. السيدة كولاغينا تستعرض نوع جديد ومجهول من الطاقة.."، وقد أجرى معهد "منديلييف" لعلم القياس والموازين بعض الاختبارات على "نينا" وصرّحوا أيضاً في صحيفة "موسكو برافدا" بأنها استطاعت تحريك أنابيب من الألمنيوم وعلب كبريت تحت ظروف مخبرية صارمة،بما فيها تصوير تلفزيوني قريب ودقيق. لكن في النهاية، الجميع لم يستطع تفسير كيف تحرّك هذه الأشياء.

لكن يبدو أن هناك جانب سلبي لهذا كله. لقد استنزفت قوة "كولاغينا" الكثير من صحتها خلال هذه الاختبارات. ففي إحدى المناسبات، وبعد خوض مجموعة من الاختبارات مع الدكتور "رجداك"، كانت مرهقة تماماً لدرجة أنه لم يعد قلبها ينبض وتوقف للحظات. كان وجهها شاحباً ومستنزفاً وبالكاد تحرّك جسدها. لقد خسرت حوالي ٤ أرطال من وزنها خلال جلسة واحدة للتحريك عن بُعد ومدتها نصف ساعة. (وهذه ظاهرة استثنائية مألوفة أيضاً حيث كافة الوسطاء الذين خضعوا للاختبارات العلمية عانوا من خسارة في أوزانهم خلال استعراض قدراتهم المختلفة، وقد ذكرت في إصدار سابق بأنه خلال جلسة تحضير الأرواح مثلاً، أي خلال تجسّد مجسّم شبح أو أشياء أخرى في المكان، لوحظ بأن جميع الحاضرين في الجلسة يفقدون أوزانهم وليس فقط الوسيط). يبدو وكأنها كانت تحوّل المادة التي يتألف منها جسدها إلى طاقة. وحسب تقرير الدكتور "زفيريف"، كانت ضربات قلبها غير عادية، كما تجسّدت حالة ارتفاع بسكّر الدم، ونظام الغدد الصماء لديها أصيب بالخلل. كل هذا وفق المفهوم الطبّي يتعلّق بشكل عام بالأرق والإرهاق. كما أنها فقدت حسّ الذوق، وعانت من آلام في يديها ورجليها، ولم تعد قادرة على تنسيق جسدها بشكل متوازن، وشعرت بالدوار الشديد.

لقد أدى الاستخدام المفرط لقواها إلى تدهور صحّتها بشكل خطير لدرجة أنها أصيبت بنوبة قلبية كادت تقتلها في منتصف السبعينات. لقد أوصاها الأطباء بأن تخفّف من نشاطاتها الوسيطية في المختبرات، واستمرّت ببعض الاختبارات لكن

بوتيرة عمل أقلّ من السابق، واستمرّت على هذه الحال إلى أن ماتت في العام ١٩٩٠م، بالتزامن مع موت الاتحاد السوفييتي.

في جنازتها، أشاد بها رفاقها السوفييت كـ"بطلة لينغراد" بعد أعمالها الباسلة في ساحات القتال أثناء الحرب العالمية الثانية. لكن هناك الكثير ممن مجّدها بطريقة مختلفة، فاعتُبرت المرأة التي ضحّت بصحتها وحياتها من أجل وطنها في مجالات أخرى غير مُدركة من قبل معظم الناس. سامحة للأطباء والعلماء أن يختبروها بشكل مكثّف خلال استكشافهم لنوع من الطاقة الخفية المجهولة. وهذا ما أنهكها أخيراً ودمّر حياتها وربما عجّل في اقتراب موعد وفاتها.

والآن إليكم مثال آخر من بين الوسطاء المشهورين. هذا الرجل (رغم أصوله اليهودية) لم يؤمن بأي معتقد خاص، وقد نشأ في أجواء علمانية بحتة، وحتى تكاد تكون دنيوية لحد التوحّش أحياناً، لكنه رغم ذلك، هو ليس وسيطاً روحياً مميزاً فحسب، بل يتحكم بالعقول أيضاً.

القدرات الاستثنائية للوسيط الروسي

ولف ميسنغ

WOLF MESSING



هو "ولف غريغريفيتش ميسنغ" Wolf Grigorievich Messing المولود في العام ١٨٩٩م ببلدة صغيرة اسمها "غورا كافاليريا" بالقرب من "وارسو" البولندية التي كانت لا تزال تتبع للإمبراطورية الروسية.

بدأت قدراته الاستثنائية تتجلى، الواحدة تلو الأخرى، منذ وقت مبكر من عمره. ففي السادسة من عمره أدخل إلى مدرسة دينية بسبب قدرته العجيبة على حفظ وتذكّر التراتيل. لكنه ما برح أن فرّ منها هارباً بعد سنتين.

القدرة التالية استعرضها خلال وقوعه في ورطة خطيرة، حيث بعد فراره من بلدته صعد أوّل قطار راحلاً من هناك، وبينما كان يختبئ نائماً تحت إحدى المقاعد، أيقضه جامع التذاكر طالباً منه التذكرة، لكن ما كان على "ميسنغ" سوى قيامه بحركة عفوية أنقذت حياته، حيث التقط قطعة ورقة من الأرض وسلّمها للرجل وهو ينظر إلى عيونه راجياً بكل وجدانه أن يصدّق بأنها تذكرة أصلية، وهذا ما حصل بالضبط! فوصل إلى برلين دون مواجهة أي مشكلة من جهة العاملين في القطار.

تنقل لفترة من الوقت بين سلسلة من الأعمال المهينة مقابل أجر وضيع إلى أن أغمي عليه يوماً من الجوع في أحد الشوارع. تم نقله إلى مشرحة للجثث، وهناك أنقذ من حالة السبات العميق على يد الطبيب النفسي والعصبي الشهير باسم البروفيسور "آبل" Abel. هذا الرجل كان أوّل من اكتشف قوى "ميسنغ" الذهنية وكذلك قدرته العجيبة على التحكم بوظائفه الجسدية.

بدأ الدكتور "آبل" يجري على الفتى اختبارات تتعلّق بقراءة الأفكار. وخلال هذه التجارب أستطاع "ميسنغ" أن ينمي قدرة على الإغماء التخشّبي cataleptic (معروفة جيداً في مجال التنويم المغناطيسي).. لكن بشكل إرادي، أي كان يدخل في غيبوبة أو حالة بديلة من الوعي بحيث تغيب استجابته مع العالم الخارجي، وكل ذلك وفق رغبته. واكتشف لاحقاً بأنه يستطيع التنبؤ بالمستقبل خلال دخوله في هذه الحالة من الوعي البديل.

كان البروفيسور مدهوشاً بنتائج هذه الاختبارات. لقد فهم "ميسنغ" سريعاً كافة الأوامر الذهنية المطلوبة لاستنهاض هذه الحالة العقلية الخاصة وراح ينفذها بدقة. ثم بدأ يدرّب نفسه من خلال النزول إلى السوق وقراءة أفكار التجار وأصحاب المحلات التجارية.

كما أن البروفيسور علّم هذا الشاب المراهق كيف يطفئ شعوره المتعلّق بالألم (كما لو أنه تيار كهربائي). أصبح "ميسنغ" كالدراويش الاستعراضيين الهنود، حيث من أجل زيادة مدخوله المالي راح يسمح للناس أن يغرسوا المسامير في صدره ورقبته أمام غفر من المشاهدين.

بعدما بلغ السنة ١٦ من عمره، انطلق في أوّل رحلة من سلسلة طويلة من رحلاته الاستعراضية في أوروبا، مسافراً أولاً إلى "فيينا". ذاع صيته في كافة البلاد ولم يعد مجرّد استعراضي صغير يلتحق بالسرك بل تحوّل إلى نجم.

طوّر "ميسنغ" منهجاً كاملاً من الاختبارات النفسية، كما كان يسميها. وخلال هذه الاختبارات كان المراهق "ميسنغ" ينفّذ أوامر تُرسل إليه تخاطرياً، يروي قصّص حياة الأشخاص الذين لم يقابلهم من قبل في حياته، ويجد أشياء مُخبأة من قبل الجمهور.

جذبت شهرة "ميسنغ" انتباه "ألبرت آينشتاين". فقام الفيزيائي الشهير بدعوة هذا الشاب الموهوب إلى منزله، حيث قابل هناك عالم النفس الشهير "سيغموند فرويد". بدأ هذا الأخير اختباراته النفسية منذ بداية الزيارة حيث أرسل أمراً تخاطرياً للشاب "ميسنغ" يطلب منه أن يأتي بملقاط صغير ويقتلع به ثلاثة شعرات من شارب "آينشتاين". ففعل الشاب ما أمر به، لكن بخجل. لكن آينشتاين لم يأبه حيث كان مبهوراً بمواهب هذا الفتى وأوصاه بأن يلجأ إليه متما احتاج مساعدة. لم يلتقي "ميسنغ" بآينشتاين ثانيةً، لكنه تعلّم من "فرويد" فنّ التركيز والتنويم الذاتي. لاحقاً في حياته التقى بالكثير من المشاهير بما فيهم "غاندي" في العام ١٩٢٧م.

أصبح "ولف ميسنغ" فيما بعد محط اهتمام الدكتاتور السوفييتي "ستالين"، وكان هذا الأخير مصراً على اختبار مدى صحّة قدراته المزعومة. في إحدى تلك الاختبارات التي صاغها "ستالين" ومساعديه، دخل "ميسنغ" إلى أحد المصارف وقدّم للموظّف ورقة وطلب مبلغ ١٠,٠٠٠ روبل. كانت الورقة في الحقيقة فارغة تماماً، لكن ما كان على الموظّف سوى تسليمه المال المطلوب دون أي تردد أو شعور بخطأ في مكان ما. لملم "ميسنغ" المال في حقيبته وغادر المصرف. ثم عاد ودخل المصرف مع شاهدين راقبا العملية بالكامل، وأعاد المال.

بعد أن كشفوا الموضوع للموظّف انهار على الأرض مصاباً بنوبة قلبية خوفاً من العقاب الشديد. وقد اعترف "ميسنغ" لاحقاً في حياته كم كان سعيداً من تعافي الموظّف واستعادته لصحته.

الاختبار الثاني الذي صممه "ستالين" يتمثّل في إذا كان "ميسنغ" يستطيع دخول منزله، المحاط بالحراس الأشداء والمتنبهين على الدوام، دون إذن دخول. بعدها بوقت قصير، بينما كان "ستالين" يعمل في مكتبه، دخل عليه "ميسنغ" فجأة دون إذن ولا إنذار. شرح له "ميسنغ" كيف فعل ذلك، حيث أرسل إيحاء تخاطري لعقول الحراس جعلهم يعتقدون بأن "ميسنغ" هو قائد الشرطة السريّة "لافرينتا بيريا"، وبالفعل، أقسم الحرّاس بأنهم لم يلمحوا "ميسنغ" إطلاقاً بل شاهدوا "بيريا".

"ولف ميسنغ"، المطلوب الأوّل للرايخ الثالث

في العام ١٩٣٧م، جذب "ميسنغ" لنفسه الغضب الشديد للزعيم المخبول "أدولف هتلر". خلال أحد استعراضاته في "وارسو"، تنبأ هذا الوسيط المسكين، الذي كان شبه غائب عن الوعي في حينها، بزوال "هتلر" إذا قرّرت ألمانيا غزو الاتحاد السوفييتي. فما كان على "هتلر"، الذي كان منغمساً هو الآخر بالعلوم الماورائية، سوى الردّ مباشرة وبشكل هستيري. وضع النازيون جائزة على رأس "ميسنغ" تبلغ قيمتها ٢٠٠,٠٠٠ مارك.

لم يكن معروفاً سبب هذا الاهتمام بميسنغ، إن كان الزعيم النازي يرغب في قتله أو استثمار قدراته العقلية. لكن على أي حال، بعد غزو بولندا عام ١٩٣٩م، امتلأت شوارع وارسو بملصقات جدارية ومناشير تعرض مكافأة للقبض على "ميسنغ". وفي إحدى المناسبات، بينما كان يتجوّل دون مبالاة في إحدى المدن المزدحمة، تم اعتقاله وتعرّض للضرب المبرح. وفي محطة الشرطة، توجّب عليه جمع كل ما لديه من قوى عقلية حتى تمكن أخيراً من السيطرة على عقول حراسه فأمرهم بالمجيء إلى زنزانته. بينما كانوا يترنحوا داخل الزنزانة، خرج "ميسنغ" وأقفل باب الزنزانة عليهم وهرب. عبر السفر ليلاً مع مرشدين موثوقين، تمكّن اجتياز الحدود إلى الاتحاد السوفييتي أخيراً عبر النهر، وذلك في شهر تشرين ثاني من العام ١٩٣٩م.

ميسنغ يلتقي "ستالين"

واجه "ميسنغ" صعوبة كبيرة في إيجاد عمل في روسيا رغم مواهبه الغريبة التي كان يعرضها للبيع. لكنه مع ذلك كان محظوظاً في عدم إرساله إلى معسكرات غولاغ للاعتقال. فيما بعد حاز "ميسنغ" على حماية "بانتليمون بونومارينكو"، القائد الشيوعي لجمهورية "روسيا البيضاء"، الذي سمح له بإقامة استعراضاته. بعدها بفترة، وخلال إحدى استعراضاته، دخلت مجموعة من الشرطة السريّة لتقاطع الحفلة فأسرته أرسلته فوراً إلى موسكو لمقابلة الزعيم السوفييتي المرعب.

اقتنع "ستالين" بصحة قدراته. فاشتهر "ميسنغ" بين ليلة وضحاها ليتحوّل بعدها إلى نجم، وجلب نجاحه مدخولاً كبيراً للحكومة. لقد تم استشارة "ميسنغ" في أحيان كثيرة من قبل "ستالين" وقائد الشرطة السرية طلباً لمعلومات غيبية. وقد حصلت اجتماعات كثيرة بينه وبين ضباط رفيعي المستوى من الشرطة السرية، وقد تعرّض "ميسنغ" للكثير من الضغط في هذه الاجتماعات حتى أصيب بالإجهاد.

توقف "ميسنغ" عن الاستعراض طوال مدة الحرب، حيث أرسلته الحكومة السوفييتية بمهمة سريّة إلى سبيريا حيث تسلّم مسؤولية كلية تجسّس من نوع خاص. لكن هذه الفترة من حياته لازالت غامضة لأنها لم تُكر أبداً في مذكراته.

بعد غزو الألمان لروسيا بفترة قليلة، تم استدعاء "ميسنغ" للكلام أمام القيادة العليا للجيش الأحمر. تنبأ بأنه سيكون هناك حرب شاملة وضروسة ضدّ الجيش الألماني، لكنها ستنتهي بانتصار روسيا بين ٣ و ٥ أيار، ١٩٤٥م. لقد تم إلام "ستالين" بهذا التنبؤ، وعند انتهاءالحرب فعلاً بهذا التاريخ ونفس النتائج، أرسل له الدكتاتور برقية تهنئة، وقد احتفظ بالبرقية لسنوات طويلة.

هناك نقطة مهمة وجب ذكرها هنا. كانت الظاهر العقلية الاستثنائية التي استعرضها "ميسنغ" تسبب الإزعاج للمتعصبين للأيديولوجية الشيوعية التي لا تؤمن أساساً بهكذا أمور. فكانت تضايق الكثير من المسوقين لهذه الأيديولوجية

المادية عبر البروبوغاندا الإعلامية والعلمية. فلهذا السبب، قبل كل حفلة يقيمها "ميسنغ" طوال عقود طويلة من وجوده في روسيا، وجب قراءة بيان صادر من معهد الفلسفة في الأكاديمية السوفييتية للعلوم أمام الجمهور، يزعم بأن قدرات "ميسنغ" على التواصل مع عقول أخرى تعتمد على "انعكاس الأفكار على الحركات الإنسانية"، أي أنه كان يخمّن أفكار الآخرين بالاعتماد على حركاتهم الجسدية اللاإرادية. التخاطر غير موجود! هذا ما أصرّ عليه العلماء، لأن الماركسية/البينينية لم توفّر أي خطوط عريضة تشير إلى وجودها. لا يمكن للأفكار أن توجد خارج الدماغ أو العالم المادي! واستعراضات "ميسنغ" ليس لها علاقة إطلاقاً بما يُدعى تخاطر. هكذا كان الخط الأيديولوجي الرسمي.

في إحدى المرات، وخلال قيامه بإحدى استعراضاته في "كييف" في أواخر الأربعينات، تم أسره وجلبه فوراً إلى موسكو، لأن المسؤول السوفييتي الرفيع "نيكولاي بولغانين" أُمر من قبل "ستالين" للبحث عن حقيبة مفقودة تحتوي على وثائق سرية للغاية. جُلب "ميسنغ" إلى مكتب الموظّف الذي فقد الحقيبة، فقام بالتركيز على قدرته الاستبصارية خلال النظر إلى الأشياء الموجودة في المكتب وتلمّس بعضها. ظهر في ذهنه مشهد ضفّة نهرية شديدة الانحدار، كنيسة صغيرة، وجسر يقطع النهر. ورأى غرض أسود تحت الجسر. كانت الحقيبة المفقودة.

تحدث "ميسنغ" مع خبراء جغرافيا محليين تم إحضارهم إليه، فأعطاهم مواصفات المشهد الذي رآه في عقله، وقد ميّزوا موقعين يشبهان ما وصفه، ويقعان في جوار موسكو. على الفور، تم إرسال شاحنتين عسكريتين إلى الموقعين، وخلال ساعات قليلة كانت الحقيبة موضوعة أمام المسؤولين الحكوميين في موسكو.

لقد استطاع "ميسنغ" في مناسبات كثيرة مشهودة أن يتنبأ بقدر الشخص مجرّد أن نظر إليه، وليس هذا فحسب، بل حتى لو كان الشخص غائباً، كانت صورة فوتوغرافية تكفي لإتمام العملية. بالإضافة إلى ذلك، كان يستطيع التنبؤ بالمستقبل بشكل مفصّل ودرجة عالية من الدقة (هذا إذا أُرغم على ذلك، لأنه يكره هذا

الجانب من موهبته لأنها تسبب مشاكل كثيرة). لقد كتب في مناسبات كثيرة يؤكّد بأن البصيرة والاستبصار موجودتان فعلاً. نحن لا نستطيع تفسير هذه الظاهرة لأننا لا نفهم الطبيعة الحقيقية للزمن وعلاقته بالفضاء وكذلك التواصل المتبادل بين الماضي، الحاضر، والمستقبل.

استمر هذا الوسيط الشهير في العمل حتى العام ١٩٧٤م. وقد صادرت الكي.جي.بي كافة مذكراته وملاحظاته الشخصية مباشرة بعد موته. وبقيت تلك الوثائق سريّة حتى الآن. توفي "ميسنغ" في العام ١٩٧٥م، ودُفن بالقرب من زوجته في مقبرة "فوستريا كوفسكي" في موسكو.

خلال حديثنا عن الظواهر التي استعرضها الوسيط "ولف ميسنغ" بدأنا ندخل في مجال آخر مختلف. هو أحد الأقسام الرئيسية من موضوع القدرات الخارقة. إنه ما نشير إليه عامةً بـــ"علم الغيب"، أو الإدراك الخارج عن الحواس التقليدية. وهذا الأخير له صلة بطريقة أو بأخرى بقدرة السيطرة على العقول بالرغم من أنها تختلف ظاهرياً. وفق المنطق الذي تبيّنه هذه الظواهر، مجرّد ما حصل تواصل بين عقلين فهما يتفاعلان بطريقة جوهرية مما تجعله من الممكن تجسيد، ليس "قراءة الأفكار" أو "التخاطر" فحسب، بل سيطرة أحد العقلين على الآخر أيضاً.

سوف استخدم هذه الملاحظة الختامية للعبور إلى مجال ذلك الصنف الثاني من القدرات الخارقة، والذي أوردته بشكل عابر في المواضيع السابقة من أجل تسهيل استيعاب الأفكار. فكما شاهدنا، جميع الوسطاء المذكورين سابقاً استعرضوا شكل من أشكال الاستبصار أو إدراك الغيب. والصفحات التالية مخصصة لهذا الموضوع.

إدراك الغيب

وفق المفهوم الشعبي، عندما نشير إلى قدرة بأنها تنتمي إلى تصنيف "علم الغيب"، فهذا يعني أنها تمثّل إحدى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشكال التي يتجلى فيها "الإدراك الغيبي"، كقراءة الأفكار مثلاً (التخاطر، أو "تثيليباثي" Telepathy، وهو تبادل المعلومات بين عقلّين أو أكثر دون استخدام الحواس العادية)، أو الكشف البصري (أو الاستبصار Clairvoyance، وهو رؤية صور ومشاهد موجودة على مسافة بعيدة خارج نطاق الحواس الخمس العادية. وكلمة clairvoyance لفظة فرنسية تعني حرفياً الرؤية الواضحة، لهذا السبب يترجمها البعض بـــ"الجلاء البصري")، أو الاطلاع عن بُعد (وتسمى هذه الظاهرة أيضاً الرؤية عن بُعْد لكنها ليست رؤية بمعناها الحرفي بل مجرّد إدراك معلومات، ولهذا تُسمى بالإنكليزية remote viewing). وهذا الإدراك الغيبي يستطيع تجاوز حاجز الزمن أيضاً، وهذا ما أثبته بعض الوسطاء من خلال قدرتهم على الادراك المُسْبَق (وهو استشراف حوادث مستقبلية Precognition، أو اكتساب معلومات حول حوادث مستقبلية مما لم يكن بالإمكان استنتاجها عبر الوسائل العادية. وهناك تنوعات لهذه الظاهرة من جملتها "التحذير السابق" أو "الهواجس التحذيرية المسبقة" أي الإحساس المسبق بوقوع مكروه Premonition والإحساس القلبي المسبق بوقوع شيء ما Pre-sentiment)، أو الإدراك الاسترجاعي Retrogression، وهو العودة بالزمن إلى الماضي لاستخلاص المعلومات بنفس طريقة الإدراك المسبق. وهناك ظواهر أخرى مرتبطة بالإدراك الغيبي، مثل تجربة الخروج من الجسد OBE Out-of-body experience وهي تجربة شعورية بالانفصال عن الجسم، وعادة ما تكون مصحوبة بتصورات بصرية تشبه الكشف البصري.

على الرغم من أنَّ الاصطلاحات التي ذكرَت أعلاه شائعة الاستعمال، إلا أن العلماء الذين يدرسون هذه الظواهر الخارقة يتناولونها بشكل تصنيفي مما يساهم في الفصل بينها بالرغم من أنها تمثّل وجوه مختلفة لظاهرة واحدة، وهذا ما سوف

أثبته لاحقاً. والذي يزيد الأمر سوءاً هو طريقة تفسير هذه الظواهر وفق مفاهيم علمية سائدة مما يجعلهم يدخلون الجدار خلال العملية.

فمثلاً، لازال الكثير من العلماء يتصوّرون "التخاطر" مثلاً، بأنه يعني حرفياً، نقل الإشارات الفكرية من عقل إلى آخر. وهذا يستدعي إلى الذهن، عموماً، صورة "راديو عقلي"، وهذا يوحي مباشرة إلى أن "التخاطر" يستند على شيء يُشبه الإشارات الكهرومغناطيسية، وهنا تبدأ المشكلة. بالرغم من أن الباحثين وضعوا بشكل متكرر نظريات الكهرومغناطيسية موضع الاختبار. وقد أظهرت النتائج أنه عندما يكون المستقبلون التخاطريون معزولين ضمن جدار واقٍ مقاوم بشكل قوي جداً للتيارات الكهرومغناطيسية والمغناطيسية العالية (بُنِيَت غرف مخصوصة ذات جدران فولاذية ونحاسية) أو بواسطة مسافات بعيدة للغاية، فإنهم رغم كل ذلك لا يزالون قادرين على الحصول على المعلومات من "المرسِل " دون استخدام الحواس العادية. إذاً، من الثابت علميّاً أن "التخاطر"، لا يعمل مثل الإشارات الكهرومغناطيسية التقليدية. ولكن رغم ذلك، ولأن الاستعارة تزوّدنا بطريقة تفكير قوية حول "التخاطر" فإن العديد من الناس ما زالوا يتخيلون أن "التخاطر" "يعمل" من خلال نوع من الراديو العقلي.

دعوني أكون واضحاً هنا لكي لا يحصل إرباك في الأمر. إن تشبيه العقل (أو المنظومة العقلية) بجهاز الراديو هو أمر ممكن ويساهم في توضيح الكثير من الأفكار (كما فعلت في الصفحات السابقة) لكن بشرط أن ننظر للراديو وفق مفهوم "الرنين" وليس الموجات الكهرومغناطيسية.

لكي لا نضيع في متاهة المصطلحات والتأويلات وما يتعلق بها من مفاهيم علمية، أعتقد بأن أفضل طريقة لاستيعاب ما أقصده هو ذكر مجموعة متنوعة من قدرات الإدراك الغيبي. فالتفسير الحقيقي لكافة هذه الظواهر قادم على الطريق.

العرافة الشهيرة

بابا فانغا

Baba Vanga



اسمها "فانجيليا بيندافا ديميتروفا" Vangelia Pandeva Dimitrova، والمعروفة باسم "بابا فانغا" لدى البلغاريين، وتُعتبر أقوى شخصية صوفية في التاريخ البلغاري الحديث، وقد شبّه البعض تنبؤاتها بتلك العائدة لنوستراداموس. ولدت هذه المستبصرة الشهيرة في ٣١ كانون ثاني ١٩١١م، وعاشت في مدينة "بتريش" بالقرب من ينابيع "روبيتي" المعدنية، في الجبال "كوزهوه" جنوبي "ملنيك".

كانت امرأة بسيطة، قصيرة القامة مليئة الجسم، وعمياء منذ حداثة سنها. وجهها الميّت يشبه قناع مندهش لكنه يولّد شعور بالأسى والفظاعة. طريقة كلامها غريبة أيضاً، فهي تتحدث كمن يصرخ بقوّة وحدّة، ولهجتها شعبية وبسيطة، وجملها قصيرة ومقطوعة.

كانت "فانغا" فتاة طبيعية في طفولتها. التحق والدها بالجيش البلغاري أثناء الحرب العالمية الأولى، ووالدتها ماتت عندما كانت "فانغا"صغيرة جداً، مما يعني أن الفتاة

اعتمدت على رعاية الجيران لفترة طويلة من الزمن. كانت فتاة ذكية، شقراء وعيناها زرقاوان. بعد عودة والدها تزوج من امرأة أخرى فأصبح لدى الفتاة زوجة أب ترعى شؤونها. عندما كانت في السابعة من العمر، طرأ حادثاً غير مسار حياتها بالكامل.

تقول الرواية بأن عاصفة قوية رفعت "فانغا" وراحت تدحرجها إلى أن ورمت بها في مكان ما بين الحقول. تم إيجادها بعد حملة بحث طويلة، وكانت مرعوبة وعيناها مغطيتان بالرمل والغبار، عجزت عن فتحهما بسبب الألم الشديد. لم تؤدّي أي وسيلة علاج متوفرة إلى نتيجة مجدية. والمال الذي بحوزة والدها لم يكفي سوى لعملية جراحية جزئية، لذلك راح بصرها يذوي إلى أن غاب تماماً منذ تلك الفترة المبكرة من عمرها.

تقول الرواية بأن موهبتها "التنبؤية" تطورت بشكل تدريجي، ولم يتم التأكّد من أنها مستبصرة قديرة إلا بعد أن فقد والدها (وهو راعي) أحد الأغنام، فاستطاعت تحديد موقع وجود الغنمة مع وصف دقيق للمكان، هذا رغم كونها عمياء. منذ تلك الفترة المبكرة من عمرها بدأ الناس يتقاطرون إليها بحثاً عن نصائح أو إجابات أو معلومات أو حلول لمشاكلهم الحياتية المختلفة. الفترة التي شهدت رواج "فانغا" على مستوى واسع كانت خلال الحرب العالمية الثانية، حيث قصدها الناس بجموع غفيرة للسؤال عن أحوال أحباءهم في الحرب.

من بين زوار "فانغا" نجد قرويين، مفكريين، وزراء وسياسيين.. أشخاص من جميع شرائح المجتمع. معروف جيداً أن كل من رئيس الوزراء السابق "زهان فيدينوف" والدكتاتور الشيوعي السابق "تودور زهيفكوف" كانوا يزوروها طلباً للاستشارة. وحتى أن الرئيس "بيتار ستويانوف" ذهب لرؤيتها في بدايات حملته الانتخابية لرئاسة الجمهورية.

الأمر العجيب، لكنه يثبت مدى قيمة هذه المرأة، هو أن الحكومة الشيوعية، بعد استيلاءها على السلطة في العام ١٩٤٥م، لم تتدخّل معها إطلاقاً، حتى أنهم خصصوا لها راتباً شهرياً، واعتبرت ما يمكن وصفه أوّل "عرافة مدفوعة الأجر".

لقد جذبت مقدرتها التنبؤية انتباه العديد من الباحثين الأكاديميين، أشهرهم الدكتور "جورجي لوزانوف" من بين أبرز الأكاديميين البلغاريين الذي اهتموا بعلم الباراسيكولوجيا. وبعد إجراء أبحاثه الخاصة المتعلقة بهذه المرأة تبيّن أن ٨٠% من تنبؤاتها صدقت فعلاً، وغالباً ما تناولت مجالات تتعلّق بإيجاد أصدقاء أو أقرباء مفقودين، أو أشياء مفقودة. (لكن وجب الأخذ بعين الاعتبار أن "فانغا" استنزفت كامل قواها في استثمار هذه الموهبة بسبب كثرة الحشود التي لم تفارق منزلها طوال عقود من الزمن واضطرارها إلى تلبية الجميع. في العام ١٩٧٦ وحده قدمت خدماتها لحوالي ١٠٢ ألف شخص. وهذه الحالة لا تناسب موهبتها التي تعتمد أولاً على الذهن الصافي والمستقرّ).

زعمت "فانغا" بأن قدرتها الاستثنائية لها علاقة بحضور مخلوقات خفية، لكنها لا تستطيع تفسير أصولها. قالت أن هذه المخلوقات تعطيها معلومات تتعلق بالناس. وحسب قولها، إن مسيرة حياة كل من يقف أمامها تظهر أمامها كالفيلم السينمائي، من الولادة حتى الموت. لكن محاولة تغيير ما كُتب لهم هو خارج عن قدرتها.

عُرف عنها بأنها تنبأت بمستقبل الأطفال الصغار وحتى أولئك الذين لازالوا جنائن في بطون أمهاتهم. تصرّح دائماً بأنها ترى وتتحدث مع أناس ماتوا منذ مئات السنين. لم ترغب "فانغا" أبداً الحديث عن المستقبل لكنها تضطرّ إلى ذلك بعد إصرار الحاضرين أمامها.

يُقال بأنها تطلب من كل زائر قطعة سكّر، بعد وضعها تحت وسادته ليومين أو ثلاثة، فتأخذ القطعة بيدها وتبدأ بالكلام وكأنها تقرأ المعلومات الغيبية منها، فتخبر

صاحب القطعة بماضيه ومستقبله.. إلى آخره. إذا لم تتوفّر قطعة السكّر، فتستعيضها بساعة رقمية أو أي شيء لازم الشخص لفترة طويلة.

أما بخصوص تنبؤاتها العامة، فغالباً ما كانت تقولها بطريقة تجعلها غير مفهومة في وقتها لكنها تصبح جلية وواضحة بعد حصول الحدث. فمثلاً، في العام ١٩٨٠م، قالت هذه العجوز العمياء *".. في بداية القرن القادم، بين آب ١٩٩٩م و٢٠٠٠م، سوف تُغمر "كورسك" بالماء وسوف يبكيها العالم أجمع.."*

في تلك الفترة لم يكن لهذا القول أي معنى، فالجميع ظنّ بأنها تقصد "كورسك" Kursk المدينة القابعة في أرض داخلية غربي روسيا على ضفة نهر لا يبدو أنه قادر أن يبتلعها. لكن بعدها بعشرين عام حصلت الكارثة، وقد ضجّ بها العالم أجمع، إنها الغواصة "كورسك" التي غرقت تحت مياه البحر وحزن الجميع على مصير ملاحيها الذين علقوا داخلها.

فيما يلي بعض العينات الأخرى من تنبؤاتها التي لم تُفهم في حينها (الثمانينات من القرن الماضي):

".. الرعب، الرعب!.. التوأمين الأمريكيين سوف ينهاران بعد مهاجمتهما من قبل طيور حديدية.. الذئاب سوف تعوي من وراء الشجيرة، وسوف تُسفك دماء بريئة.."

ــ في الحقيقة، بعد ترجمتها إلى العربية يكون قسم من المعنى قد ذهب أدراج الريح. كانت تقصد من خلال هذه المقولة انهيار برجي مركز التجارة العالمية بعد تعرضهما لهجوم من قبل طائرات (طيور معدنية)، وبالفعل كانوا يطلقون على البرجين اسم "التوأمين". لكن الكلمة التي تشوّه معناها خلال الترجمة هي "الشجيرة" التي تعني بالإنكليزية "بوش" bush، والذئاب التي تعوي من وراءه هم السياسيين الأبالسة الذين يقفون وراءه وراحوا يفعلون فعلتهم بالعالم.

".. سوف يحدث الكثير من الكوارث والنكبات وستهزّ العالم. سوف تتغيّر عقلية الناس. سوف ينقسمون وفق معتقداتهم.."

ــ وهذا ما يحصل بالفعل. نحن نعيش فعلاً في زمن المصاعب. هناك شيئاً يحصل بطريقة تفكير الناس. لقد بدأ عصر الأصوليات الدينية، والكوارث أصبحت أحداث روتينية في هذا الزمن.. تسونامي، زلزال، عواصف، طوفانات، تفجيرات،.. إلى آخره.

".. سوف نشهد أحداث ذات أهمية كبرى.. زعيمين كبيرين يتصافحون بالأيدي.. لكن وجب علينا الانتظار فترة طويلة قبل أن يأتي الزعيم الثامن ويوقّع اتفاقية السلام على الأرض.."

ــ قالت هذا الكلام في وقت لم يحلم فيه أحد بإمكانية حصول سلام بين الجبارين العالميين روسيا وأمريكا. وقد تصافح كل من "غورباتشوف" و"ريغان" الأيدي فعلاً وبدأت الأحداث تتوالى إلى أن أصبح اليوم الاتحاد السوفييتي تاريخاً بعيداً يكاد يُنسى. أما الرجل الثامن، فسوف نعجز عن تحديد ما يمثّله حتى يحصل الحدث فعلاً فنفطن بعدها لما كانت تقصده.

لقد تنبأت "فانغا" بأحداث كثيرة، منها تاريخ وفاة "جوزيف ستالين"، تاريخ انهيار الاتحاد السوفييتي، صعود "يلتسن" إلى الرئاسة بالانتخاب، كارثة مفاعل "تشرنوبل"،.. وهكذا إلى آخره.

"فانغا" تمثّل عينة من عدد كبير من العرافين الذين اشتهروا بهذه القدرة على استخلاص معلومات غيبية دقيقة من ذلك العالم الأثيري المتعذر وصفه. إذا جلست مع أحد العرافين (الأصليين طبعاً) وسألته عن الآلية التي يحصل وفقها على معلومة غيبية، فجوابه سيكون مشابهاً للآتي: *".. إذا سألتك عن اسمك فهل أنت بحاجة إلى معالجة ذهنية قبل الخروج بجواب؟.."*

وهناك من يجيبك بطريقة أخرى، حيث يقول: *".. عندما تحلم مثلاً، وورد في منامك بأنك تحضر حفلة تخرّجية وتشاهد الكثير من الناس، هل تساءلت كيف يصبح لديك معرفة مسبقة بصاحب الحفلة ونوع الحفلة وحتى الحاضرين في الحفلة، كل هذا ولم تلتقي بهم في المنام؟.. هذه المعرفة تلقائية هي ذاتها التي تتجسّد لدي عندما يطرح أحدهم علي سؤالاً.. حيث الجواب يحضر من لاشيء!.."*

أنواع مختلفة من المعرفة المكتسبة

الفكرة العصرية حول "المعرفة" بشكل عام تشير إلى أنها لا يمكن أن تتجسّد سوى بعد مرحلة من التعلّم والخبرة يمرّ بها الطفل بعد الولادة، وفقط عبر التفكير والاستنتاج المنطقي الذي يبدأ بالنمو تدريجياً لدى الطفل بعد سنوات من ولادته.

إذاً، وفق الثقافة العصرية، التعريف السائد للـ"معرفة" KNOWLEDGE هو كما يلي: ".. حالة التعرّف على شيء عبر ألفته أو فهمه بعد الخبرة أو التخالط.."

لكن الأمر لا يبدو كذلك حسب ما تشير الحقائق على أرض الواقع. الكثير من الظواهر تشير إلى نوع من المعرفة المكتسبة "ضمنياً" أو دعونا نقول "تخاطرياً" أو "لا سلكياً" أو غيرها من تفسيرات وضعها البعض في محاولتهم حل هذا اللغز الكبير. وعندما أقول "مكتسبة ضمنياً" لم أقصد تلك "المعرفة الفطرية" التي تم الاعتراف، على مضض وبالإكراه، بإمكانية وجودها على شكل "غريزة فطرية" (وسوف أتناولها لاحقاً)، بل أقصد المعرفة التي يستعرضها بعض الأطفال بشكل مدهش وعجيب، ويبدو أنهم اكتسبوها بشكل تلقائي دون حاجة لخوض الطرق التعليمية المألوفة. إنها بكل بساطة تمثّل أحد مظاهر "علم الغيب" الذي هو محرّم علمياً.

الأطفال المعجزة والنبوغ المبكر

إذا كانت "المعرفة الغيبية"، مهما كان نوعها، تفتقر لأساس علمي ثابت كما يدعي العلم المنهجي، حيث يؤكّد أن المعرفة لا يُمكن أن تُكتسب سوى عبر الخبرة والتخالط، فما هو تفسير العلماء الأشاوس لظاهر الأطفال المعجزة، أو النبوغ المبكر مثلاً؟ إذا تجاهلها أحدهم أو أدعى بأنه لم يسمع عنها من قبل، فالعينات التالية قد تنعش ذاكرته قليلاً:

الطبيب الجرّاح "أكريت جاسوال"

Akrit Jaswal



أوّل ما لفت انتباه العالم إليه في العام ٢٠٠٠م، عندما أجرى عملية جراحية لإحدى بنات الجيران التي لم تتحمل تكاليف العملية في المستشفى. نجحت العملية الجراحية في تحرير أعصاب يدها ذات الأصابع المنكمشة للداخل نتيجة تعرّضها لحريق. كان عمره سبع سنوات! ولم يكن لديه أي معرفة أو خبرة سابقة عن الطب أو الجراحة! لكن أداءه كان محترفاً للغاية. دخل إلى جامعة "شانديغار" في الهند ليدرس الطب بينما لم يتجاوز عمره ١٠ سنوات.

"وليام جيمز سيديس"

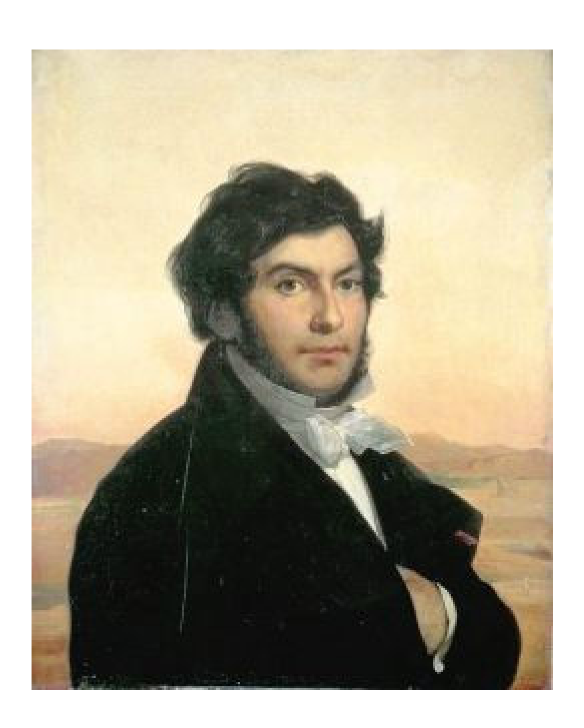
William James Sidis



يعتبره البعض أذكى إنسان في التاريخ. حيث بلغ حاصل الذكاء لديه IQ ٢٥٠ إلى ٣٠٠. استطاع "سيديس" القراءة بينما كان في سن ١٨ شهر. وقام بتأليف أربعة كتب وأتقن ٨ لغات بينما لازال في سن السابعة. ألقى محاضرة في جامعة "هارفارد" عندما كان في سن التاسعة. انتسب إلى نفس الجامعة في سن الحادي عشر. لقد برز بشكل مميّز في مجال الرياضيات وعلم الكون.

"جين فرانسوا شامبليون"

Jean-François Champollion.



رغم أن هذا الاسم وصاحبه مألوفان جيداً بالنسبة لمعظمنا، ذلك من خلال فكّ رموز الكتابة الهيروغليفية على حجر رشيد أيام الحملة الفرنسية، إلا أن هناك الكثير مما نجهله عن هذا الرجل العظيم. كان يُعتبر من ألمع أطفال المعجزة في بداية حياته. فقد استطاع أن يتقن عدة لغات تاريخية منقرضة قبل أن يبلغ العاشرة من عمره. وفي سن السادسة عشر، أصبح يتقن أكثر من ١٢ لغة معاصرة. الأمر العجيب لا يكمن في هذه الحقائق السابقة، بل في حقيقة أنه لم ينهل العلم من المدرسة في تلك السن المبكرة في حياته، حيث كان أستاذه الوحيد شقيقه الذي هو أيضاً كان ذاتي التعليم!

المغنية "كيلوباترا ستراتان"

Cleopatra Stratan



اعتُبرت مغنيّة محترفة من الطراز الأوّل عندما كان عمرها ٣ سنوات، وحصدت جائزة MTV على اسطوانتها الصادرة عام ٢٠٠٦م والتي حققت نجاحاً كاسحاً في الأسواق. هي أصغر مغنية استطاعت الاستمرار في استعراضها الغنائي أمام الجمهور لمدة ساعتين متواصلتين. وتُعتبر أيضاً أصغر فنانة ذات الأعلى أجر والأكثر نجاحاً من الناحية التجارية. وأصغر فنانة تحقق أغنيتها المرتبة الأولى في لائحة الأغاني ببلدها "رومانيا". وُلدت في "تشيسيناو"، مولدافيا، لوالدها الفنان الروماني/الملدوفي "بافل ستراتان".

الرسامة الموهوبة "أيليتا أندري"
Aelita Andre



إن القصة المتعلقة بهذه الفتات الصغيرة هي مثيرة بالفعل. ففي الوقت الذي كانت لوحاتها الفنية تُعرض في أحد المعارض الشهيرة كان عمرها لم يتجاوز السنتين!

الرسومات المجرّدة التي احتوتها لوحات "أيليتا" الصغيرة لفتت انتباه العاملين في مجال الفنّ في أستراليا وجعلتهم يتمتمون بإعجاب ودهشة. أما الطريقة التي أدت بالسماح لعرض لوحاتها في معرض "برونسويك" الشهير في ميلبورن، أستراليا، فكانت مثيرة بعض الشيء. عُرضت اللوحات على مدير المعرض "مارك جاميسون" على أساس أنها تعود لأحد الفنانين البالغين، فأُعجب بها وقرر القبول بعرضها. من شدة إعجابه باللوحات، وضع "جاميسون" صوراً لها في الإعلانات المنشورة في المجلات خلال حملة الإعلان عن افتتاح المعرض، لكن المفاجأة كانت صاعقة وشديدة عندما علِم بأن صاحبة اللوحات هي فتاة لم تتجاوز ٢٢ شهر من عمرها.

"إلاينا سميث"

Elaina Smith

أصغر مستشارة إذاعية في المسائل العاطفية!



كان عمرها لم يتجاوز ٧ سنوات عندما عرضت عليها إحدى المحطات الإذاعية المحلية وظيفة مستشارة في المسائل الاجتماعية، وذلك بعد أن قدّمت نصيحة عبر الهاتف لإحدى النساء التي هُجرت من قبل حبيبها. كانت نصيحتها تقول: ".. أذهبي للعب البولنغ مع أصحابك واشربي كوباً من الحليب.."، كان الإلقاء مبهراً مما دفع إدارة الإذاعة إلى تخصيص برنامج أسبوعي لها. والآن هي تقدم النصائح للآلاف من المستمعين البالغين. هذه المستشارة الصغيرة تعالج مسائل كثيرة ومتنوعة تتراوح من "كيف تتخلصين من أصحابك" إلى "كيف تتعاملين مع حالة انقطاع العلاقة" أو "كيف تتعاملين مع الأخوة المزعجين"..

عندما سألتها إحدى المستمعات "كيف أستطيع الحصول على شريك"، كان جوابها البديهي: "أكثري من هزّ خصرك وزيدي من الاستماع إلى أغاني المراهقين"!

فيما يلي قائمة قصيرة لأسماء "أطفال معجزة" مشهورين بحالات النبوغ المبكّر، أي أظهروا موهبتهم الاستثنائية قبل بلوغ سن ١٥ سنة. وتغطي معظم المجالات تقريباً:

الرياضيات

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في مجال الرياضيات. إنهم متطورين جداً في فهم المسائل الرياضية وغالباً ما يتجاوزون قدرة البالغين في هذا الجانب.

الاسم	ملاحظة
ثيودور كازينسكي	....
جون برنولي	حصل على الدكتوراه في الفلسفة في سن ١٣ من عمره
ألكسيس كليروت	في سن ١٣ قرأء أمام الأكاديمية الفرنسية وصف لخواص أربعة منحنيات رياضية اكتشفها حديثاً
ماريا أغنيسي	هناك منحنى هندسي باسمها يُدعى Witch of Agnesi
بول أدروس	اكتشف الأرقام السلبية بنفسه في سن الثالثة من عمره
لويس كراين	التحق بجامعة شيكاغو في وقت مبكر من عمره وبدأ يحضّر لشهادة التخرّج في سن ١٤
كارل فردريك غاوس	....
وليام روان هاملتون	رياضياتي بالفطرة، قرأ العبرية في سن ٧، درس العربية، الفارسية، الإغريقية، اللاتينية، السريانية، السانسكريتية، وأربعة لغات أوروبية أخرى، كل ذلك قبل بلوغه سن ١٤ من عمره.
سرينيفاسا رامانوجان	رياضياتي هندي بالفطرة، رغم انعدام أي خلفية ثقافية رياضياتية، قدم مساهمات هائلة في مجال التحليل الرياضياتي، والنظرية الرقمية، والتسلسلات الانهائية،

	والكسور المتصلة. كل ذلك قبل بلوغ العاشرة.
وليام جيمز سيديس	أصغر شخص يلتحق في جامعة هارفارد بينما كان في سن ١١ من عمره.
تيرينس تاو	....
جون فون نيومان	....
بلايس باسكال	رياضياتي وفيزيائي فرنسي، بالإضافة إلى كونه فيلسوف ديني، كتب أطروحة علمية حول الأجسام المتذبذبة بينما كان في سن ٩ من عمره. كتب أوّل براهينه المشهورة على الجدار بقطعة فحم وذلك بينما كان في سن ١١ من عمره، ثم صاغ نظرية في سن ١٦ من عمره.
عليا صابر	تلقت أوّل شهادة جامعية في سن ١٤، وأصبحت بروفيسورة في سن ١٨ من عمرها.
مايكل فيسكاردي	نشر ورقتين علميتين حول مسألة "ديرشلت" الرياضية بينما كان في سن ١٧.
بيرل أنفلو	....
صوفيا يوسف	فتاة ماليزية تمكنت من دخول كلية "سنت هيلدا" في جامعة أكسفورد لدراسة الرياضيات بينما كانت في سن ١٢.
نوربرت واينر	بدأ دراسته التخرجية في سن ١٤ بجامعة هارفارد وتلقى شهادة دكتوراه في سن ١٨ نتيجة أطروحة عن المنطق الرياضياتي.
روث لورنس	تخرّج من أكسفورد في سن ١٣، وحصل على دكتوراه في سن ١٧، وأصبح عضواً في هارفارد في سن ١٩.

قدرة حسابية عجيبة

هذه الموهبة تتمثّل بقدرة عجيبة في معالجة المسائل الرياضية والحسابية بسرعة بديهية مذهلة. الكثير من الرياضيين الموهوبين المذكورين في الجدول السابق أظهروا هذه القدرة في سن مبكرة من عمرهم قبل أن تتلاشى فيما بعد خلال تقدمهم في السن. هذه المهارة نادرة الوجود بين البالغين. والأمر العجيب هو أن الأطفال الذين يستعرضونها ليس لديهم بالضرورة أي خلفية رياضياتية أو ميل لهذا المجال أصلاً. يمكن اعتباره نوع من أنواع "علم الغيب"!

هناك الكثير من الأشخاص الموهوبين بهذه القدرة لدرجة أنك لا بد من سمعت عن أحدهم في مكان إقامتك أو تعرفه شخصياً. بالرغم من تجاهل العلم لها، إلا أنها ظاهرة شائعة بالمقارنة مع الظواهر الأخرى. العينات القليلة التالية تكفي لتوضيح هذه النقطة:

الاسم	ملاحظة
شاكونتالا ديفي	اكتشفت مواهبها الاستثنائية بينما لازالت في سن الثالثة.
جون فون نيومان	أطلقوا عليه اسم "الآلة الحاسبة" بينما كان في سن السادسة من عمره.
ألكسيس لامير	حائز على رقم قياسي في سرعته الحسابية (عدة أجزاء من الثانية، مهما كان الرقم أو المعادلة).
ترومان سافورد	كان يستطيع تربيع أي جملة عددية مؤلفة من ٨ أرقام في وقت لم يتجاوز سن العاشرة من عمره.

الفيزياء

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في مجال الفيزياء. إنهم متطورين جداً في فهم المسائل الكونية وآليات الطبيعة وغالباً ما يتجاوزون قدرة البالغين في هذا الجانب.

الاسم	ملاحظة
غاليليو غاليليو	كان طفل معجزة في بداية حياته ومنذ تلك المبكرة أظهر ذكاء في تناول مسائل كونية بنفس مستوى ليوناردو دفنشي خلال فترة بلوغه.
ميكايلا فودوليغ	تخرّجت من الجامعة الفيليبينية في سن ١٦ حائزة على شهادة في الفيزياء بمرتبة تفوّق، بعد أن دخلتها في سن ١١ من عمرها.
دنيس كراسنوف	قبلوا به في معهد موسكو للفيزياء الهندسية بينما كان في سن ١٣ من عمره.
تاثاغات تولسي	تلقى شهادة تخرجية في سن ١٠ من عمره.
كيم أونغ يونغ	التحق بدورات في الفيزياء الجامعية بينما كان في السن الرابعة من عمره، وحصل على دكتوراه في الفيزياء في سن ١٦.
سنغ يو غوين	دخل الجامعة في سن ٨ من عمره.
مارسيل شميتفول	حاز على جائزة أصغر عالم ألماني ثلاث مرات قبل أن يبلغ سن المراهقة.

هندسة ميكانيكية

الاسم	ملاحظة
كارل بينز	بدأت مواهبه العلمية العجيبة بالظهور بينما كان في التاسعة، حيث التحق بالجامعة الصناعية تحت إرشاد "فرديناند ريتنباخر"، وفي سن ١٥ من عمره تخرّج من جامعة "كارلسروه" للهندسة الميكانيكية.

طب ودواء

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في مجال الطب والعاج. إنهم متطورين جداً في فهم المسائل المتعلقة بجسد الإنسان وغالباً ما يتجاوزون قدرة البالغين في هذا الجانب.

الاسم	ملاحظة
بالامورالي أمباتي	تخرّج من المدرسة الثانوية في سن ١١، والتحق بالجامعة في سن ١٢، وأصبح طبيباً في سن ١٧.
ابن سينا	حفظ القرآن الكريم بالكامل في سنّ ١٠، وبدأ دراسة الطب في سن ١٣.
شو يانو	دخل الجامعة في سن ٩، وتخرّج بتفوّق في سنّ ١٢، والتحق إلى كلية "بريتزكر" الطبية في سن ١٥.
الطب النفسي	
جين باغيت	نشر ورقة علمية تتناول دراسة حول العصفور الأمهق في سن ١١ من عمره وأصبح بعدها طبيباً نفسياً.

<u>أدب</u>

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في مجال الأدب والشعر واللغة. إنهم متطورين جداً في فهم هذه المسائل وغالباً ما يتجاوزون قدرة البالغين في هذا الجانب.

الاسم	ملاحظة
أدوارد دي فير	كان لايزال فتىً دون الخامسة عشرة عندما صاغ نظرية أكسفور لمؤلفات شكسبير. مُنح لقب "إرل" أكسفورد السابع عشر. (وهو لقب تشريف عند الإنكليز)
كريستوفر مارلو	كان لايزال طفلاً دون العاشرة عندما صاغ نظرية مارلو حول مؤلفات شكسبير.
أليكساندر بوب	كان لايزال طفلاً عندما اشتهر كشاعر، جميع الأدباء يعلمون مواهب هذا الشخص. إنه ثالث أكثر المراجع التي يُعاد إليهم في قاموس أكسفورد، وذلك بعد شكسبير وتنيسون.
أرفين هاتيبي	نشر أشعاره الأولى في أشهر الصحف والمجلات المعروفة أيامه بينما كان في سن ١٤. ألف أوّل كتاب في سنّ ١٥ وشغل النقاد لوقت طويل.
وليام كولن برايانت	نشرت أشعاره بينما كان في سن ١٠، وألف كتاب في سن ١٣ يحتوي على أشعار سياسية نقدية.
ثوماس شاترتون	بدأ كشاعر في سن ١١، وبدأ يكتب الأشعار التي شهرته في سن ١٢.
لوكرسيا ماريا دفدسون	كتبت بعض الأشعار الجديرة بالملاحظة في سن ١١، وقبل وفاتها في سن ١٦ أشيد بها ككاتبة جديرة.
مارغوري فلمنغ	نشرت قصيدة شعرية قبل موتها المبكر في سن ٨ من عمرها.

هـــ.ب. لوفكرافت	ألقت الشعر شفهياً في سن ٢، وألفت قصائد طويلة في سن ٥ من عمرها.
لوب دي فيغا	كتب أوّل مسرحية له في سن ١٢. استطاع قراءة اللاتينية في سن ٥. وبدأ ترجمة المقاطع اللاتينية في سن ١٠.
ماولي غلام رسول	نشر كتابه الأوّل بينما كان في سن ١٤.
كارولين جويس كارتي	تؤلف القصائد من سن ٦ من عمرها.
هارولد بلوم	....

فنون تشكيلية

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في مجال الرسم.

الاسم	*ملاحظة*
جيان لورنزو برنيني	لفتت رسوماته انتباه البابا بولس الخامس بينما لازال في سن ٥. وقد نحت تمثال "استشهاد القديس لورانس بينما كان في السن ١٦ من عمره.
ألبرخت دوهرر	....
جان ليفنز	تتلمذ في مهنة الرسم بينما كان في سن ٨، وأصبح رساماً محترفاً في سن ١٢.
جون أفريت ميلايس	كان رساماً محترفاً عندما دخل إلى الأكاديمية الملكية عندما في سن ١١ من عمره.
أليكساندر نتشيتا	أوّل معرض رسم يقيمه لوحده كان في سن ٨.
أكيان كراماريك	كان يقيم معارض رسم منفردة قبل أن يتجاوز سن ٩.
بابلو بيكاسو	رسم لوحة "بيكادور" بينما كان في سن ٨.
وانغ ياني	ظهرت رسوماتها على طوابع البريد بينما لازالت في سن

	السادسة من عمرها. واشتهرت معارضها حول العالم بينما كانت في سن ١٢.

موسيقى

عزف آلات موسيقية

الاسم	الآلة الموسيقية	أوّل ظهور جماهيري	ملاحظة
تشارلز فالنتاين ألكان	بيانو	سن ١٢	دخل معهد باريس للموسيقى في سن ٥ من عمره.
مارثا أرغريتش	بيانو	سن ٤	أدارت أوركسترا في سن ٨.
كيت أرمسترونغ	بيانو	سن ٥	ألفت أوّل كونشرتو في سن ٨.
كلاوديو أراو	بيانو	سن ٥	استطاع قراءة العلامات الموسيقية قبل الأحرف الأبجدية.
دانيال بارنبويم	بيانو	سن ٧	....
أنريك باتيز	بيانو	سن ٥	قائد أوركسترا حالي.
جورج لي	بيانو	سن ٤	في سن ١١، شارك في الكثير من الأوركسترات الشهيرة حول العالم.
جورجز بيزات	بيانو	سن ٩	دخل معهد باريس للموسيقى في سن ٩
فيكتور بورغ	بيانو	سن ٨	فاز بمنحة تعليمية في المعهد الموسي الدنماركي الملكي في ٩ من عمره.
ليلي بولانغر	بيانو، كمان، تشيللو		انتسب إلى صوف تدريس العزف على آلة الأورغ في معهد الموسيي الفرنسي بينما كان في السن ٦ من عمره.
كاميرون كاربنتر	أورغ	سن ١١	تمكن من عزف سومفونية كاملة للموسيار "باخ" في سن ١١.
وليام كروتش	أورغ	سن ٣	أصبح مؤلف موسيقي ومدير أوّل في

			الأكاديمية الملكية للموسيقى.
جورجس زيفرا	بيانو		دخل أكاديمية "فرانز ليزت" في سن ٩.
بير أنفلو	بيانو	سن ٧	ربح جائزة المنافسة السويدية لأصغر عازف بيانو في سن ٩. بالإضافة إلى كونه نابغة في الرياضيات أيضاً.
ريتشارد فاريل	بيانو	سن ٤	أوّل ظهور إذاعي له في سن ٤
كارل فيلتش	بيانو	سن ٦	ألف كونشرتو في سن ١٣، ومات في سن ١٤ من عمره.
فلكس هل	أورغ	سن ٨	أصبح عازف أورغ في الكنيسة بسن ٨
جوزف هوفمان	بيانو	سن ١٠	....
هيلين هاونغ	بيانو	سن ٨	عزف مع أوركسترا فيلادلفيا بسن٨
أفجيني كيسن	بيانو	سن ١٠	دخل مدرسة موسيقى في سن ٦.
أيامي كوباياشي	بيانو	سن ٣	أقام حفلات موسيقية في سن ٣، وشارك فيأوركسترا في سن ٧.
لانغ لانغ	بيانو	...	بدأ العزف في سن ٢،دخل معهد بكين للموسيقى في سن ٨، وربح منافسات عالمية في سن ١٣.
إنغمار لازار	بيانو	سن ٦	أوّل ظهور له كان عزفاً منفرداً
فرانز ليتز	بيانو	سن ٩	أوّل حفلة موسيقة رسمية في سن ١١
ولفغنغ موزارت	بيانو، كمان	سن ٩	أحد أعظم المولفين الموسيقيين في الحقبة الكلاسيكية
ليو أورنستاين	بيانو	...	دخل معهد الموسيقى في سنت بطرسبرغ في سن ١٠
رونالدو باراليس	بيانو	سن ٤	دخل المعهد الملكي للموسيقى في سن٨
سيرجي بركوفييف	بيانو	...	ألف مسرحية موسيقية في سن ٩
كاميل سنت سينز	بيانو	سن ٥	أوّل إلقاء رسمي له في سن ٥
أرنست شلينغ	بيانو	سن ٤	بدأ دراسة الموسيقى في سن ١١
فيليبا شويلر	بيانو	سن ١١	....
روث سليزينسكا	بيانو	سن١١	عزفت مع أوركسترا كاملة في سن ١١
أليسيا ويت	بيانو	سن ١١	فازت بعدة منافسات بعد ظهورها
ليندا برافا	كمان	سن ١١	جولات عالمية في سن ٨، رئيسة مجلة

			"أوتار هاسينكي" في سن ١٣
جيولا بستابو	كمان	سن ٩	....
سارا تشانغ	كمان	سن ٨	....
جاكلين دوبري	تشيللو	سن ٨	....
ميدوري غوتو	كمان	سن ١١	....
ريو غوتو	كمان	سن ٧	....
إيدا هياندل	كمان		فات بجائزة "هنريك واينياوسكي" العالمية كأفضل لاعبة كمان بينما كانت في سن ٦.
جاشا هيفتز	كمان	سن ٧	
يو يو ما	تشيللو	سن ٥	عزف أمام الرئيس جون كندي بينما كان في سن ٧، وظهر على التلفزيون بينما كان في سن ٨.
ساندرا مازل	كمان	سن ٥	
آن أكيكو مايرز	كمان	سن ٧	
ستيفان ملنكوفتش	كمان	سن ١٠	أوّل جائزة عالمية بنما كان بسن ٧.
ألما موودي	كمان	سن ٦	دخلت معهد الموسيقى في بروسل بينما كانت في سن ٩.
ديفيد أويستراخ	كمان	سن ٦	
غلوريا بيركنز	كمان	سن ١٠	
غريغور بياتغورسكي	تشيللو		دخل المعهد الموسيقي في موسكو بينما كان في سن ١١.
فلوريزيل فون رويتر	كمان	سن ١٠	تخرّجت من معهد جنيفا الموسيقي في سن ١١ من عمرها
روحيرو ريتشي	كمان	سن ١٠	بدأ جولة عالمية في سن ١٤.
كلارا روكمور	كمان	سن ٩	دخلت امعهد الامبراطوري فيسن ٥! أصغر طالبة موسيقى في التاريخ
فرانك بيتر زمرمن	كمان	سن ١٠	
رافائيل سيفر	شبابة	سن ١١	عزف سومفونية موزارت على الشبابة في الصين

موسيقى

تأليف موسيقي، تلحين، وقيادة أوركسترا

الاسم	الموهبة	أوّل ظهور جماهيري	ملاحظة
خوان كريسوستومو أرياغا	مؤلف	سن ١١	ألف أوبرا في سن ١٣
ساموئيل باربر	مؤلف، قائد	سن ٧	أوّل محاولة لتأليف أوبرا في سن ١٠ من عمره.
جورجس بيزات	مؤلف		دخل المعهد الموسيقي بباريس في سن العاشرة
فردريك شوبان	مؤلف	سن ٧	بدأ الاستعراضات الموسيقية في سن ٧، منح لقب نبيل في سن ١٥.
روث غيبس	مؤلفة	سن ٨	
مورتن غولد	مؤلف، قائد	سن ٦	
جاي غرينبرغ	مؤلف	سن ١٢	ألف خمسة سمفونيات قبل بلوغه سن ١٢من عمره
أريك ولفغانغ كورنغولد	مؤلف، قائد	سن ١١	
لورين مازيل	مؤلفة	سن ٧	
فليكس مندلسون	مؤلف، قائد	سن ١٢	
جيان كارلو مينوتي	مؤلف	سن ٧	ألف أوّل أوبرا في سن ١١.
موزارت	مؤلف	سن ٥	
أولي موستونن	مؤلف		ألف منوعات موسيقية للأوركسترا بينما كان في سن ١٢.
نيكولو باغانيني	مؤلف	سن ٧	
ألكس بروا	مؤلف، قائد	سن ٨	

جوزف راينبرغر	مؤلف	سن ٧	
نينو روتا	مؤلف	سن ١١	ألف موشّحة دينية في سن ١٠
جوليان سكريابين	مؤلف	سن ٩	
أدغار فاريز	مؤلف، قائد	سن ١٢	ألف أوّل أوبرا في سن ١٢.
وندي فو	مؤلفة	سن ٨	
ماريل كنث ولف	مؤلف		تخرّج من جامعة "يال" في سن ١٤ متخصصاً في الموسيقى

أكاديميا

أطفال أظهروا موهبة استثنائية في المجال الأكاديمي.

الاسم	***ملاحظة***
مايكل كيرني	حاز على عدة شهادات جامعية بينما لازال في سن ١٠ من عمره. أصبح أستاذ جامعيفي سن ١٧.
غريغوري.ر. سميث	دخل الجامعة في سن ١٠، وترشّح إلى جائزة نوبل للسلام بينما كان في سن ١٢.
كولن مكلورين	دخلجامعة "غلاسغو" فيسن ١١، وفي سن ١٩ انتُخب أستاذاً في علم الرياضيات.
أليكساندر فالودي	اعتبر في العام ١٩٩٨ أصغر مرشّح متخرّج منذ العام ١٧٧٣م، وكان يدرس في جامعة كامبردج.

حفظ نصوص، تبشير، خطابة

الاسم	ملاحظة
أمان رحمان	صنع أكثر من ١٠٠٠ فيلم كرتون، مبتدءاً من سن ٣ من عمره. وفي سن ٨ أصبح أصغر محاضر جامعي في العالم.
عبد العليم صدّيقي	حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب بينما كان في سن ٤ من عمره. وألقى أوّل خطاب له في الجامع بينما كان في سن ٨ من عمره.
محمد حسين طابطبائي	مولود في عام ١٩٩١م، استطاع تلاوة القرآن بينما لازال في سن ٢ من عمره، وقد حفظه عن ظهر قلب بينما كان في سن ٥ من عمره.

فلسفة وقانون

الاسم	ملاحظة
جيرامي بنثام	درساللغة اللاتينية في سن ٣ من عمره، ودخل جامعة أكسفورد في سن ١٢.
هوغو غروتيوس	دخل جامعة "ليدن" في سن ١١، وفي سن ١٥ هلّل به الملك الفرنسي هنري الخامس بصفته "معجزة هولندا".
صول كريبكي	دعي للتعليم في جامعة هارفارد بينما لازال في الثانوية
جون ستيوارت ميل	اتقن عدة لغات منقرضة بينما كان في سن ٨، ودرس

	الفلسفة السكولاستية بينما كان في سن ١٢ من عمره.
كاثلين هولتز	بدأت دراسنها الجامعية في سن ١٠، قدمت فحوص نهائية في كلية الحقوق بجامعة كاليفورنيا بينما كانت في سن ١٨
ستيفن.أ. باخوس	بدأ يدرسالقانونفي سن ١٤، تخرّج من كلية الحقوق بجامعة مايامي في سن ١٦.

لغة وترجمة

الاسم	ملاحظة
أسد الله قيّوم	عند بلوغه السابعة من عمره كان قادراً على إلقاء الخطابات بـــ١٢ لغة مختلفة!
جون باراتيير	عرف ستة لغات بينما لازال في سن ١١.
توماس يونغ	رغم أنه مشهور كعالم فيزياء، لكنه كان أيضاً متعدد اللاغت في صغره.
وندي فو	تتكلم ١١ لغة بنما لازالت في سن ٨ من عمرها. كما أنها ألفت ٤٤ أغنية، وهي أضغر عضو في الجمعية الأمريكية للمؤلفين، الكتاب والناشرين.

شطرنج

الاسم	***ملاحظة***
بوبي فيشر	فازببطولة الشطرنج الأمريكية بينما لازال في سن ١٤، وبطولة العالم بينما كان في سن ١٥. اعتبر بطل العالم للشطرنج بين عامي ١٩٧٢-١٩٧٥.
سامويل ريجيفسكي	كان يشارك في بطولات عالمية في سن ١٠ من عمره.
فابيانو كاروانا	نابغة في الشطرنج، اكتشفت موهبته في سن ٥، وأصبح أصغر بطل أمريكي/إيطالي في الشطرنج في سن ١٤.
خوســــــــيه راول كابابلانكا	كان أحد ألمع لاعبي الشطرنج لكل الأزمان.
شو هونهون	كان لاعباً محترفاً في سن ٩ من عمره.
ويلي موسكوني	لعب مع المحترفين بينما لازال في سن ٦ من عمره.
نيكولاس نيب	أصغر بطل شطرنج في USCF بينما كان في سن ٩.
جوشوا وتزكن	كان نابغة شطرنج بينما لازال في سن ٦ من عمره.

الأسماء الواردة في الجداول السابقة هي مجرّد عينات من ذلك الكم الهائل من الحالات المشهورة. بالإضافة إلى أنني استثنيت مجالات عديدة أخرى لتوفير المساحة والوقت. هذا ولم نتكلم عن أولئك الذين لم يحالفهم الحظ ليبرزوا إلى مرتبة الشهرة أو التقدم في الحياة بسبب ظروف كثيرة أهمها اجتماعية أو اقتصادية. إنهم بكل بساط في كل مكان من حولنا دون أن نعير اهتماماً لهم.

هؤلاء النوابغ لم يستعرضوا أي من الظواهر الماورائية مثل "التقمّص"، "الاستحواذ" أو "تعدد الشخصيات"،.. أو غيرها، كل ما في الأمر هو أنهم "يعرفوا". من أين جاءت هذه المعرفة المسبقة، أو الموهبة كما يسميها البعض؟!

رغم أنها عصية عن التفسير، لكن هذا لا يمنعها من تقديم برهان حقيقي على وجود ما نسميها المعرفة الغيبية. وأن هذه المعرفة ليست متأصلة جينياً (المنظومة الجسدية) بل جاءت من مكان ما خارج الجسم ولها صلة بالمنظومة العقلية للكائن البشري ومتصلة بمنظومة عقلية أكبر وأكثر شمولاً.

نحن نمثّل أنظمة مفتوحة. كما أجهزة الراديو، نستقبل الإشارات المعلوماتية ونتفاعل معها بصيغة غامضة وعجيبة. المعلومات تأتي إلينا كاملة شاملة. والمحظوظ من بيننا هو من كانت تركيبته الجسدية/العقلية حاضرة لاستقبالها ومعالجتها ومن ثم إعادة إخراجها بتعبير آخر وصيغة مختلفة تتناسب مع ميوله الفكرية وبيئته الاجتماعية/العلمية.

الفرق بين "معرفة الغيب" و"الإدراك فوق الحسّي"

والآن حان وقت توضيح بعض المسائل الشائكة هنا. سوف نكتشف بأن هناك فرق كبير بين "معرفة الغيب" (أو "علم الغيب") وبين الإدراك فوق الحسّي. المسألة هنا متشابكة بشكل معقّد بحيث يفصل بين الحالتين خيط رفيع جداً. لكن على أي حال، سوف أحاول الفصل بين الاثنين بطريقة سريعة وسهلة.

إذا قلنا مثلاً، أن فلان "يدرك الغيب" فهذا يعني أن حالته مشابهة لحالة "فانغا" التي أسلفنا ذكرها، حيث يستطيع استحضار معلومات غيبية. أي مجرّد أن طُرح عليه سؤالاً، سوف يحضر الجواب في ذهنه مباشرة. إحساسه لم يذهب إلى أي مكان، بل مجرّد التركيز على موضوع السؤال المطروح يكفي لإحداث "رنين" مع الإجابة الصحيحة فتحضر في خاطره.. فيقولها.

لكن من ناحية ثانية، إذا سألت ذات "العراف" الذي "يدرك الغيب" بأن يحدد موقع أحد الأشياء الضائعة ميدانياً وليس ذهنياً ربما يفشل في العملية. لأن موهبته مختصرة على إدراك "معلومات غيبية" وليس موقع الأشياء الغائبة عن مجال بصره.

قبل أن تتعقّد الأمور أكثر، سوف أبدأ بالموضوع التالي لكي يتجلى الفرق بشكل أوضح. لكن دعوني أدخل فكرة معبرة هنا لتبقى عالقة في أذهانا خلال الاطلاع على الصفحات اللاحقة، وتتلخّص بالتالي:

"الإدراك الغيبي" له علاقة بالأفكار والمعلومات والصور الذهنية والخواطر... بينما "الإدراك فوق الحسّي" له علاقة بالحواس والأعصاب والشعور.

الرؤية دون عيون
eyeless sight



قراءة النصوص دو عيون

القدرة على الرؤية دون عيون معروفة من خلال عدة مصطلحات مثل: "رؤية مرادفة للبصر" par optic vision، الرؤية بواسطة الجلد dermo-optical perception، الرؤية الخارجة عن الشبكية retinal vision extra،.. إلى آخره. لكن أوّل ما عُرف مصطلح "الرؤية دون عيون" eyeless sight كان عبر الترجمة الإنكليزية لكتاب المؤلف الفرنسي الشهير "جول رومان" Jules Romains الذي بعنوان "الرؤية الخارجة عن الشبكية" Vision Extra-Rétinienne (١٩٢٠م)، حيث وثّقت فيه أبحاث "رومان" الاستثنائية في تطوير القدرة البصرية العجيبة دون حاجة للعيون. يبدو أن هذا الكتاب لم يُستقبل بشكل جيّد في الأوساط العلمية، بالإضافة إلى أن "رومان" تعرّض للسخرية من قبل زملاءه، وهذا أدى إلى رفض السماح له بالاستمرار باختباراته، فتخلى أخيراً عن هذا المجال موجهاً اهتمامه إلى الفنون الأدبية، وأصبح لاحقاً من أشهر الشعراء والروائيين وكتاب المسرح في العالم.

قبل نشر كتاب "رومان" كان هناك مراجع وإشارات مبعثرة عن الموضوع وتعود للقرن السابع عشر وصاعداً. العالِم البريطاني "روبرت بويل" مثلاً أشار إلى تقرير طبيب يتحدث عن رجل أعمى يستطيع التمييز بين الألوان مجرّد أن لمسها. طوال الفترة الممتدة صعوداً إلى القرن التاسع عشر برز الكثير من التقارير الطبية الموثقة التي تتحدث عن نقل البصر إلى أي مكان في الجسم، مثل رؤوس الأصابع، الظهر، جبهة الرأس.. إلى آخره.

بعد بعشر سنوات من نشر كتاب "رومان"، قام الدكتور "مانويل شافيز" من "سان باولو"، البرازيل، باختبار حوالي ٤٠٠ مريض أعمى واستنتج بأن ١٢ منهم يمتلك نوع من الرؤية الجلدية skin vision، وبعضهم يستطيع التمييز بين الألوان.

في العام ١٩٦٣م، كشف العالِم الروسي "إي.م. غولدبيرغ" عن اختباراته التي أجريت على "روزا كوليشوفا" Rosa Kuleshova في مقالة بمجلة "علم النفس والطب النفسي السوفييتي". وقبلها استعرض "غولدبيرغ" أمام جمهور من العلماء قدرة "كوليشوفا" على قراءة النصوص المطبوعة من خلال أصابع يدها اليمنى في الوقت الذي يكون فيه البصر العادي محجوباً تماماً. استطاعت الفتاة أيضاً أن تميّز الألوان المطبوعة على ورق أو المطلية على الأشياء المختلفة. حينها ظهر المصطلح "الرؤية بواسطة الجلد" dermo-optical perception.

بعد نشر الاختبارات التي تناولت "كوليشوفا"، بدأ عالم النفس "ريتشارد.ب. يوتز" Richard P. Youtz من جامعة كولومبيا، نيويورك، بإجراء تجارب مشابهة على ربة منزل عمرها ٤٢ سنة وتُدعى السيدة "ب. ستانلي". استنتج الدكتور "يوتز" بأن إدراك الألوان عبر رؤوس الأصابع تمثّل ظاهرة حقيقية، وصرّح بأن ١٠% من الطالبات الإناث في الجامعة يملكن هذه القدرة بصيغتها البدائية.

حتى قبل انتشار التقارير حول "كوليشوفا"، ظهرت مقالة في "أسوسييتد بريس" Associated Press في نيسان ١٩٦٥م عن طبيب في "بانكوك"، تايلاند، يُدعى

"فيشيت سوخاكارن" Vichit Sukhakarn كان يعلّم العميان كيف يبصروا مستعيناً بالتنويم المغناطيسي. زعم "سوخاكارن" بأن العميان، الذين تبرعوا للخضوع لاختباراته، إذا ركّزوا بعمق على فكرة "الرؤية عبر الخدود"، فسوف تتطور النهايات العصبية هناك بطريقة تعمل على نقل الإشارات الحسية على شكل إشارات بصرية فتتحول في الدماغ إلى صور مرئية. وقد بُلغ عن بعض مرضاه العميان بأنهم استطاعوا قراءة الصحف أو مشاهدة فيلم سينمائي مستخدمين خدودهم!

قام بعدها بافتتاح مؤسسة للأطفال العميان في تايلاند وبعد التجارب وجد أن الذين تبلغ أعمارهم بين ٨ و ١٤ سنة لديهم قابلية أكثر في التعلّم على هذه القدرة الجديدة. يبدو أن يشارك الدكتور "رومان" في استنتاجاته، حيث كلاهما يقران بضرورة وجود عامل النوم المغناطيسي الخفيف أو أي عامل إيحائي آخر للمساعدة على تطوير قدرة الرؤية دون عيون.

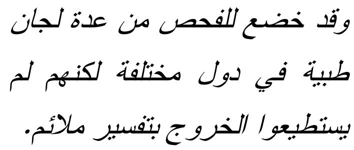
الرؤية الإشعاعية
X-Ray Vision

يبدو أن القدرة على نقل الإدراك البصري من العينين إلى مناطق مختلفة من الجسم ليست كافية لدى بعض الأشخاص، بل هناك المزيد في العملية. لقد استعرض هؤلاء قدرة على إرسال حاستهم البصرية خارج جسدهم، حيث لم تتوقف عن حدود الجلد. وهذا يضع الجملة العصبية بالكامل في دائرة الشكّ!

منذ الثلاثينات من القرن الماضي (استمرّ حتى السبعينات) اشتهر أحد الأشخاص الكشميريين، يُدعى "كودا بوكس" Kuda Bux بقدرة أكثر عجباً، حيث لا يحتاج إلى لمس الشيء ليراه بل يستطيع رؤيته حتى لو كان عامل اللمس غائباً.



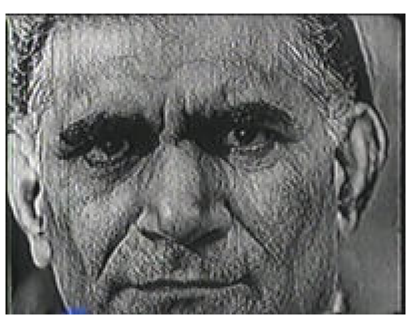
بالرغم من تعصيب عينه بشكل مكثّف، كوضع طبقات متعددة من الجصّ والورق المعدني، وبالإضافة إلى طبقات من القماش، يبقى "بوكس" قادراً على الرؤية بوضوح لدرجة أنه يستطيع قراءة كتاب أو مجلة بهذه الوضعية.



وقد خضع للفحص من عدة لجان طبية في دول مختلفة لكنهم لم يستطيعوا الخروج بتفسير ملائم.

بالإضافة إلى قدرته على القراءة دون عينين، يستطيع قيادة دراجة في شارع مزدحم أيضاً، وحتى سيارة في طريق عام. كل هذا هو معصوب العينين.





"كودا بوكس" يقود سيارة وهو معصوب العينين. وكما نلاحظ من الصورة الثانية، تبدو عيونه طبيعية دون وجد شيء شاذ أو مميّز.

رؤيا إشعاعية من نوع آخر

يبدو أن هناك من يستطيع رؤية ما هو أبعد من المشهد الذي أمامه (لكنه للمفارقة العجيبة يعجز رؤية المشهد الذي أمامه كما "كودا بوكس"). وهذه القدرة على الرؤية الإشعاعية تُصنّف إلى أنواع كثيرة لكن أهمها القدرة على رؤية ما يكمن وراء الجدار مثلاً أو داخل صندوق، أو ما يكمن في جيوب الناس أو تحت الملابس أو غيرها. لكن بنفس الوقت هناك أنواع أخرى من الرؤية الإشعاعية العجيبة كالتالية:

رؤية إشعاعية طبغرافية

القدرة على الرؤية عميقاً تحت الأرض، مخترقاً ببصره الطبقات الجيولوجية المختلفة، بما في ذلك معادن ومياه دفينة. يمكننا اختيار مثال مناسب لهذا النوع من الأفراد في الموهبة التي استعرضها الكندي "ج.راول ديروزيه" J. Raoul Derosiers وهو رجل أعمال ليس له في هذه الأمور شيئاً لكنه اكتشف قدرته هذه بالصدفة. بدأت في إحدى المناسبات بينما كان يزور صديقه في المزرعة والذي كان يتذمّر من عدم وجود مياه ارتوازية كافية في المنطقة، بعدها بقليل بدأ يواته شعور غريب يوحي له بأنهما يقفان فوق مخزون مائي تحت أرضي. وبالفعل، بعد حفر بئر ارتوازي في ذلك الموقع خرج الماء بكثرة.

لكن الأمور لم تنتهي عند هذا الحد، حيث أن حاسة استشعار الماء تحت الأرض معروفة لدى الناس، وهي حرفة قديمة ويُشار إليها بالقنقنة (استخدام قضيب الرمان مثلاً، وذكرتها في إصدارات سابقة). بعد اهتمام "ديروزيه" بهذه الموهبة العجيبة التي اكتشفها حديثاً بدأت تتطوّر لديه قدرة على النظر إلى أعماق الأرض ورؤية ووصف الطبقات الصخرية، صفائح، رمال.. وغيرها من طبقات جيولوجية متراكمة تحته. وبعد أن أصبحت مهنته الرسمية، نال شهرة واسعة وكافة زبائنه يعلقون على قدرته العجيبة قائلين: ".. إنه لا يخطئ أبداً..".

رؤية إشعاعية داخل الجسد

هذه القدرة مألوفة أكثر من السابقة، حيث يستطيع الموهوب بها أن يري ما في داخل الجسد من أعضاء وأعصاب وعظام والأنسجة وحتى الخلايا والفيروسات! يمكننا الحديث طويلاً عن هذه القدرة لكن من أجل الاختصار، آخر من اشتهر بهذه القدرة وتناولته وسائل الإعلام هي الفتاة الروسية "ناتاليا دمكينا" Natalya Demkina المولودة في "سارانسك"، غربي روسيا في العام ١٩٨٧م.



ناتاليا دمكينا المشهورة باسم "فتاة أشعة أكس" X-ray Girl

منذ أن كان عمرها عشر سنوات، بعد اكتشاف موهبتها بالصدفة خلال وجودها بالمستشفى تخضع لعملية استئصال الزائدة الدودية، تمكنت "ناتاليا" أن تجري عدد كبير من التنظيرات الطبية الدقيقة في روسيا. تقول: *".. بعد النظر إلى الجسم لمدة أجزاء من الثانية، أرى صورة ملونة لكل ما داخله من أعضاء، ثم أبدأ بالتحليل.."*

تستطيع رؤية الأعضاء والأنسجة داخل الأجسام واكتشاف سبب المرض الذي يعاني منه الشخص. الأمر المذهل هو أنها تستطيع (كما لو تستخدم منظار) أن تجعل بصرها يتجاوز المستوى المرئي لتدخل إلى المستوى الخليوي وتبحث فيه عن مسبب المرض.

الاستبصار

يبدو أننا سنعود إلى ذلك المكان الزئبقي الذي تختلط فيه الأمور بين الإدراك الغيبي والإدراك فوق الحسّي، لكن هذه القدرة قائمة بذاتها وتمثّل المنطقة الرمادية بين الاثنين. إنها ما يشيرون إليها عامةً بـ"الاستبصار"، وهي استحضار صور ذهنية عن أشخاص وأشياء وأحداث بعيدة عن مجال الإدراك العادية. أي أن الفرد يستطيع تجسيد نوع من الإدراك الغيبي من خلال رؤيته بصرياً في عقله وبالتالي له علاقة بـ الإدراك فوق الحسّي.

لقد أوردت القدرة الاستبصارية في سياق موضوع آخر (أنظر في الصفحة ٢٩٧) لكننا سنتناول فيما يلي قدرة قريبة الشبه بالاستبصار (تختلف في الصيغة والشكل) حيث تم صياغة نظمها ومبادئها الخاصة خلال أحد البرامج العسكرية للاستبصار التجسّسي، أو الاستطلاع الخارج عن الحواس، وتُسمى هذه القدرة الجديدة بـ"الإطلاع عن بُعد" Remote Viewing.

الاطلاع عن بُعد
Remote Viewing
"الاستبصار" وفق المفهوم العسكري/الأمني

".. لقد خرج السرّ أخيراً: الاطلاع عن بُعد موجود، يعمل بفعالية، تم اختباره، إثباته واستخدامه في المجال الاستخباراتي منذ أكثر من عقدين. الإقرارات الأخيرة للحكومة الأمريكية المتعلّقة بالحرب الوسيطية تمثّل شهادة حاسمة لا تُدحض على أن ما قلته هو صحيح.."

الرائد ديفيد مورهاوس

".. لقد دخلت في غيبوبة.. وبينما كانت في تلك الحالة، أعطتنا أرقام تتعلّق بخطوط الطول وخطوط العرض، فحددنا النقطة المركزية على الخريطة. وبعد ضبط الأقمار الصناعية عليها، وجدنا حطام الطائرة المفقودة تقبع هناك.."

الرئيس السابق جيمي كارتر

يذكر إحدى جلسات الاطلاع عن بُعد (عام ١٩٧٨م)

الوسيط الباحث "إنغو سوان" Ingo Swan هو أوّل من ابتكر المصطلح "الاطلاع عن بُعد" remote viewing كمصطلح علمي حيادي لوصف عملية معيّنة يمكن للوسيط خلالها أن يدرك معلومات تتعلق بمواقع بعيدة بالاعتماد على ما هو أكثر من الحواس الخمسة. وفي الحقيقة، كان استخدام هذا الاسم في البداية مقتصراً على الأوساط العسكرية/الأمنية للإشارة إلى ما نعرفه عموماً بـــ"الاستبصار" لكن وفق بروتوكولات تدريبية منضبطة وصارمة (كما هي الأجواء العسكرية عموماً). لكن بعد فترة من الوقت، بدأ هذا المصطلح الجديد يخرج للعلن تدريجياً وأصبح يُستخدم كمصطلح يعبّر عن قدرة على إدراك معلومات خفية أو بعيدة عبر طرق وسيطية psychic.

"الاطلاع عن بُعد" يختلف عن "الخروج من الجسد"

كتب كل من "هال يتهوف" و"روسل تارغ" في ورقتهم العلمية الآثرة التي بعنوان: "قناة إدراكية للمعلومات عبر مسافات كيلومترية" A Perceptual Channel for Information over Kilometer Distances (١٩٧٦م)، يقولان بأنهما اختارا مصطلح "الاطلاع عن بُعد" remote viewing كمصطلح حيادي ومتحرر من ارتباطات مُسبقة أو ميل نحو مفاهيم وآليات مُضمنة في مصطلحات علمية مثل "تنظير ذاتي" autoscopy (في الأدبيات الطبية)، "تجسيد خارجي للشخصية" exteriorisation، "انفصام شخصية" dissociation (في أدبيات علم النفس)، "الجلاء البصري" clairvoyance، "تجربة الخروج من الجسد" out of body experience (في أدبيات الباراسيكولوجيا)، أو "الطرح النجمي" *astral projection* (في الأدبيات السحرية). لكن بعض الباحثين الآخرين يفضلون استخدام مصطلح "الإدراك الشاذ" anomalous cognition.

لكن مع ذلك لازال هناك تداخل بين الاستخدام العام للمصطلحين "الاطلاع عن بُعد" و"الخروج عن الجسد". والباحثون الذين يمارسون كلا التجربتين بشكل إرادي يزعمون بأن هناك فرق بين "الخروج عن الجسد" الذي يدرك فيه الفرد الهدف وكأنه حاضر في المكان جسدياً، وبين حالة "الاطلاع عن بُعد" حيث يستطيع فيها الفرد أن يتناغم (بشكل استبصاري) مع أشكال مختلفة من المعلومات المتعلقة بالهدف والتي قد لا تكون بالضرورة قريبة من محيط الجسد.

كما يوصفها "جوزف مكمونيغل" Joseph McMoneagle في كتابه "أسرار الاطلاع عن بُعد" Remote Viewing Secrets (٢٠٠٠م)، يقول: يجلس الوسيط المُطلع في حجرة معيّنة ويبدأ بوصف معلومات إدراكية تتعلّق بالهدف الذي يكون في موقع آخر بعيد. وفي الوقت الذي هو/هي يوصف فيه الهدف بدقة فائقة، ليس هناك شكّ بأنه لازال قابعاً في الحجرة روحياً وجسدياً. لكن على الجانب الآخر، خلال تجربة "الخروج عن الجسد" يدرك الوسيط فعلياً بأنه سافر

إلى ذلك الموقع المستهدف ويكون حاضراً هناك بكل ما تعنيه الكلمة لكن مع غياب عنصر واحد فقط وهو الجسد.

الأبحاث العسكرية في مجال "الاطلاع عن بُعد"

منذ أكثر من ٣٠ سنة، كان الجيش الأمريكي يخصّص ميزانية تُقدر بـــ٧٠ مليون دولار سنوياً في الأبحاث الوسيطية psychic research مع تشديد خاص على فرع "الاطلاع عن بُعد" remote viewing.

رغم أن الأمر غريب وصاعق بالنسبة للذين يجهلون عن مجال الظواهر الروحية، إلا أن هذه هي الحقيقة، حيث تم إجراء هذه الأمور ولازالت تجري حتى اليوم في كل من الولايات المتحدة، روسيا، الصين.. ويبدو أن فرنسا وبريطانيا التزمتا الصمت بخصوص هذه الأمور لكن لديهم كل المقومات (البشرية والمعرفية) للدخول في هذه المجالات الوسيطية، وبالتالي لا بد من وجود شيء ما بحوزتهم.

في كتابه الشهير "المطلعين عن بُعد ــ التاريخ السرّي لجواسيس أمريكا الوسطاء" *Remote Viewers — The Secret History of America's Psychic Spies,* (١٩٩٧م) يورد "جيم سكنابل" Jim Schnabel عدد من المصادر الموثوقة، بما فيها شهادة رئيس أمريكي سابق، حول واقعية "الاطلاع عن بُعد" واستخدامه لأهداف عسكرية. فيما يلي بعض التصريحات المدهشة التي أصبح لها مكاناً في تاريخ الظواهر الروحية:

".. لم أرغب أبداً في الدخول بمناقشات مع المتشككين، لأنه إذا لم تؤمن بأن الاطلاع عن بُعد هو حقيقة واقعية، فهذا يعني أنك لم تقم بواجباتك الدراسية جيداً.."

اللواء "أدموند.ر. ثومبسون"، مساعد رئيس الأركان في الشؤون الاستخبارية (١٩٧٧ــ١٩٨١م)، مساعد رئيس إدارة العمليات في المخابرات العسكرية DIA (١٩٨٢ــ١٩٨٤م).

".. لا يمكنك الانخراط في هذا الأمر لفترة من الوقت دون أن تخرج مقتنعاً بأن هناك شيء ما.."

*"**نورم.ج**"، ضابط رفيع في وكالة المخابرات المركزية والذي يوكل المهمات لأفراد الاطلاع عن بُعد.*

".. هناك أوقات كثيرة قرّروا فيها الضغط على الأزرار وإسقاط القنابل بالاعتماد على المعلومات التي زودناهم بها.."

***الدكتور "هال بتهوف"**، مدير سابق لبرنامج الاطلاع عن بُعد*

".. لقد دخلت في غيبوبة.. وبينما كانت في تلك الحالة، أعطتنا أرقام تتعلّق بخطوط الطول وخطوط العرض، فحددنا النقطة المركزية على الخريطة. وبعد ضبط الأقمار الصناعية عليها، وجدنا حطام الطائرة المفقودة تقبع هناك.."

***الرئيس السابق جيمي كارتر**، يذكر إحدى جلسات الاطلاع عن بُعد (عام ١٩٧٨م)*

كان معهد "ستانفورد" للأبحاث Stanford Research Institute في الولايات المتحدة المسرح الرئيسي الذي جرى فيه الكثير من الاختبارات الأولى. الفيزيائي "هال بتهوف" Hal Puthoff كان رئيس برنامج الاطلاع عن بُعد هناك. أما طاقم العناصر المنخرطين في هذا البرنامج العسكري للــ"طرح النجمي" و"الاستبصار"، فيضم بين صفوفه الشخصيات التالية:

ــ الأدميرال "ستانفيلد تورنر" Stanfield Turner، مدير وكالة المخابرات المركزية CIA (١٩٧٧ــ١٩٩١م).

ــ اللواء "أد ثومبسون" Ed Thompson، مساعد رئيس الأركان في الشؤون الاستخبارية (١٩٧٧ــ١٩٨١م). وكان لديه معرفة خاصة بأن الروس يملكون

تقنيات متقدمة في مجال الظواهر الروحية وقد استخدمت دائماً لغايات التجسس العسكري، خصوصاً "الاطلاع عن بُعد" و"التنويم المغناطيسي التخاطري".

ــ الرقيب "مل راي" Mel Riley (١٩٧٨ــ١٩٩٠م).

ــ الرقيب "لينش بوكانان" Lyn Buchanan، الرائد "أد ديمز" Ed Dames، العقيد "جون ألكسندر" John Alexander، جميعهم مفروزين من وكالة المخابرات العسكرية الأمريكية & قيادة العمليات الأمنية.

ــ المستبصر الموهوب "إنغو سوان" Ingo Swann، وكان أوّل الشخصيات الاختبارية لبرنامج "بتهوف" الذي بدأ البحث في مجال "الخروج عن الجسد" OBE.

ــ عالِم مفروز من وكالة المخابرات المركزية "ريتشارد كينيت" Richard Kennet، الذي عمل مع الوسيط "بات برايس" والفيزيائي "هال بيتهوف".

ــ "كيث هراري" Keith Harary، مستبصر موهوب.

ــ "جون مكماهون" John McMahon، رئيس قسم الخدمات التقنية في وكالة الاستخبارات المركزية (١٩٧٤ــ١٩٧٦م)، وأصبح لاحقاً نائب رئيس الوكالة. كان من بين الداعمين الرئيسيين لبرنامج الاطلاع عن بُعد وقد أصبح محققاً بهذا المجال، وآمن به بشكل مطلق بعد اختباره شخصياً لتجارب وسيطية/روحية.

ــ "باتريك برايس" Patrick Price، وهو وسيط موهوب بشكل كبير، يعمل بشكل مستقلّ لكنه منسجم تماماً مع منهج "الاطلاع عن بُعد" الذي صاغه المستبصر "إنغو سوان". وقد أشادت وكالة الاستخبارات المركزية أكثر من مرّة بدقّة المعلومات التي يكتسبها هذا الوسيط.

الحرب الوسيطية

Psychic Warfare



الرائد "ديفد مورهاوس"، وهو ضابط في الجيش الأمريكي وحائز على عدة أوسمة، كان موكلاً بعدة مهمات سرية للغاية في برامج استخبارية وأمنية تابعة للمخابرات العسكرية، وذلك في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٨٧ــ١٩٩١م. في كتابه الذي بعنوان "المقاتل الوسيطي ــ القصة الحقيقية لبرنامج وكالة المخابرات المركزية حول التجسّس الخارق" *Psychic Warrior — The True Story of the CIA's Paranormal Espionage Program* (١٩٩٦م)، استشهد بكلام شخصيات رفيعة في هذا البرنامج السرّي قائلاً ما يلي:

".. لقد خرج السرّ أخيراً: الاطلاع عن بُعد موجود، يعمل بفعالية، تم اختباره، إثباته واستخدامه في المجال الاستخباراتي منذ أكثر من عقدين. الإقرارات الأخيرة للحكومة الأمريكية المتعلّقة بالحرب الوسيطية تمثّل شهادة حاسمة لا تُدحض على أن ما قلته هو صحيح. لقد اعترفت حكومة أقوى أمة على وجه الأرض بأنها تعلم بوجود كائنات بشرية تستطيع تجاوز الزمان والمكان لرؤية شخصيات ومناطق

وأشياء وأحداث بعيدة، والمعلومات المجموعة حولها يمكن استرجاعها من هناك. أرجو أن تستوعبوا مدى أهمية هذه المعلومة.." (مورهاوس ١٩٩٦م).

في ورقته العلمية التي بعنوان "انتسابية السي.أي. إيه للاطلاع عن بُعد في معهد ستانفورد للأبحاث" CIA-Initiated Remote Viewing At Stanford Research Institute ذكر الدكتور "هال بتهوف"، الذي كان مدير البرنامج، بعض التفاصيل المتعلقة بالبرنامج والتي زعم بأنها تزودنا بإثباتات قاطعة حول مقدرة الإنسان في إدراك أحداث بعيدة مكانياً وزمانياً.

ربما بدأ بعض القراء طرح الكثير من الأسئلة، مثل:كيف يُسمح لهذا المشروع السرّي أن يجري في قطاع الجيش الأمريكي طوال هذه المدة دون ظهور أي معارضة من الشخصيات ذوي العقلية المادية، المؤسسات الدينية، أو حتى المتطرفين الدينيين. من الواضح أن المنطق الذي يستند عليه هذا البرنامج الوسيطي يناقض كلا المذهبين الديني والعلمي معاً، حيث تتجاوز مفاهيمه كافة المعتقدات الدينية والمبادئ العلمية الرسمية. وقد تنبه العسكريون والأمنيين لهذه المسألة الجوهرية واتخذوا إجراءات مناسبة.

حسب العديد من المصادر الموثوقة، زعمت وكالات الاستخبارات المركزية، أمام الكونغرس، بأنها تخلّت عن دعم برنامج "الاطلاع عن بُعد" في العام ١٩٩٥م. السبب رسمي (الحجّة المزعومة) لهذا الإجراء هو أنه أثبت عدم جدواه بعد إجراء تحقيق علمي من قبل اثنين من العلماء المنهجيين البارزين. لكن على الجانب الآخر، يقول "جوزف مكمونيغل" في كتابه "رحلة العقل" Mind Trek (١٩٩٧م) بأن هذين العالمين الرسميين لم يطلعا على ٩٩% من النتائج الموثقة في هذا البرنامج، والتي هي لازالت مصنفة سريّة للغاية حتى الآن. حتى أن الوسطاء المستبصرين في البرنامج مُنعوا من الحديث مع العالمين وكذلك الحال مع مدراء البرنامج. فبالتالي لم يُعطيا أي شيء يساعدهما على تقييم الفعالية العملية للمعلومات التافهة التي حازا عليها.

هناك سؤال لا بد من أنه ينق في أذهان الكثير من القراء الأعزاء، وسوف أجيب عليها لكي أريحهم قبل متابعة السير. السؤال البديهي الذي يخطر لكل من يقرأ هذا الموضوع هو:

طالما أن القدرة الاستبصارية وصلت إلى هذا الحد في الأوساط الاستخبارية الأمريكية، فلماذا لازالوا عاجزين عن إيجاد أسامة بن لادن ورفاقه مثلاً؟

لقد استطاعت الولايات المتحدة أن تسيطر على العالم أجمع دون منافسة أو مقاومة مستخدمة ذريعة واحدة فقط: ".. البحث عن أسامة بن لادن وأتباعه.." مع أنها في الحقيقة تستطيع (إذا سلمنا بأنها تبحث عنه فعلاً) أن تستعين بأحد عناصر الاطلاع عن بُعد في قسم الاستطلاع الوسيطي بحيث يمكنه تحديد موقع هؤلاء المطلوبين للعدالة المزعومة، فرداً فرداً، بدقة كبيرة، ودون أي جهد أو عناء. لكن يبدو أن الأجندة أبعد من ذلك بكثير.

لزيادة معلوماتك: لقد توسّع انتشار القواعد العسكرية للولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول بشكل يفوق التصوّر. أكثر من ٧٣٠ قاعدة عسكرية في ٥٠ بلد حول العالم.. وكذلك الزيادة المخيفة في وقاحة السياسة الخارجية الأمريكية بحيث يمكنها أن تتدخّل في كل شاردة وواردة في أي دولة أو أمة أو طائفة أو حارة أو منزل أو خزانة في العالم.. كل ذلك بحجة البحث عن أسامة بن لادن ورفاقه. لماذا الحاجة إذاً للاستبصار أو الاطلاع عن بُعد أو غيرها من أمور تعتبر عوائق أمام البرطعة الأمريكية الحالية في العالم؟

في هذا العالم الموبوء بالخداع والتآمر والفساد والأسرار الشريرة المبيّتة، لا يمكننا إيجاد مكان للإدراك الغيبي بصيغته الصافية أو الوسطاء الموهوبين بطبيعتهم الأصيلة. حسب النظام العالمي الذي صاغه المتآمرون عبر القرون، وجب علينا (نحن البشر) أن ننظر إلى الأحداث العالمية، أو ما يدور من حولنا، كما ينظر المشاهد إلى تمثيلية على خشبة المسرح. ممنوع أن يسرح نظرك خارج دائرة

الضوء. إذا استطاع أحد المشاهدين أن يخترق ببصره ستار المسرح وسبر ما يجري خلف الكواليس، فسوف يُعتبر إنسان غير طبيعي. سيتهمه الدين بأنه عميل للشيطان! ويعتبره العلم المنهجي مريض نفسياً أو مُصاب بالهلوسة مما يتطلّب معالجة عاجلة قبل أن يتفاقم وضعه! وتتهمه السلطة السياسية بأنه يهدد الأمن القومي!... لقد رسموا حدود للوعي والإدراك البشري منذ الزمن الأوّل، وكل من يتجاوز هذه الحدود سيُعتبر عنصراً شاذاً وغير مرغوب به.. وبالتالي لا مكان له في هذه الحياة.

نعم يا سيدي... نحن، الذين نعيش في هذا الزمن.. الجيل الحالي، ننتمي لأدنى نوعية من الفصيلة البشرية. ذلك بسبب عمليات التصفية التي كان ولازال يتعرّض لها العرق البشري منذ ذلك الزمن الغابر. النسبة الأكبر أصبحت تمثلها النوعية الغبية، مفرغة العقل والروح، كائنات رخوة، مائعة وسخيفة، بينما النوعية الجبارة التي تمثّل الإنسان الحقيقي أصبحت نادرة وعلى شفير الانقراض..

الاطلاع عن بُعد يجد لنفسه سوق رائجة

معلومات غيبية للبيع

هناك العديد من الوسطاء العسكريين الذين خدموا في هذا البرنامج الاستخباري السرّي أصبحوا الآن يستثمرون مهارتهم الاستبصارية في مشاريع تجارية خاصة. وإذا أردت الوصول إليهم، يمكنك إيجاد عنوان من يناسبك منهم في مختبر العلوم الإدراكية Cognitive Sciences Laboratory (CSL) بكاليفورنيا.

"أد ديمز" Ed Dames، وهو مستبصر عسكري سابق، أصبح الآن رئيس شركته الخاصة للاطلاع عن بُعد، ويحصل على عقود عمل مع وكالات استخبارية مختلفة توكّله بمهمات مختلفة. يتفاخر بمدى صحة معلوماته الغيبية من خلال امتناعه عن

تلقي أي أجر إذا كانت المعلومات خاطئة أو غير دقيقة. يصرّح قائلاً بأن شركته تعاملت مع وكالات أمنية مختلفة خلال حرب الخليج وجميع المهمات التي وكلت إليه كانت ناجحة. هذا بالإضافة إلى المؤسسات الخاصة مثل شركات استخراج المعادن والنفط وشركات الملاحة وغيرها، جميعها تتعاقد مع شركته للحصول على معلومات تخصّ مجال عملها.

التكنولوجيا الوسيطية.. تهديد عسكري وأمني حقيقي

في الحقيقة، لا أحد يعلم بالضبط أي من الدول متقدمة على الأخرى في مجال الاطلاع عن بُعد. فمثلاً، العميل السابق في المخابرات البريطانية "تيم ريفات" Tim Rifat يؤكّد في كتاباته بأن الجيش الروسي والصيني وكذلك وكالاتهما الاستخبارية متورطين في هذا المجال بعمق.

أما الوسيط الموهوب "إنغو سوان"، والمسؤول عن صياغة أو منهج تدريبي دقيق النتائج في برنامج الاطلاع عن بُعد، يدعي بأن الروس باعوا كافة معارفهم التي توصلوا إليها بهذا المجال إلى دول أخرى. كتب يقول:

".. لقد علمت من مصادرة محترمة بأن اثنين من الدول تشهد تقدماً في مجال تطبيقات "الطاقات الوسيطية"psycho energetics، إحداها هي "الاطلاع عن بُعد" remote viewing. ويُزعم بأن هناك دولة صغيرة، معروفة بكراهيتها لطريقة الحياة الأمريكية، تتقدم في هذا المجال أيضاً. أنا أصدق هذه المصادر، لأنني أعلم بأن روسيا الخارجة حديثاً من وراء الستار الحديدي باعت أسرارها الوسيطية مقابل مبالغ مالية هائلة، وذلك عبر ثلاث مناسبات متتالية، بهدف دعم اقتصادها الوطني شبه المنهار.."

يبدو واضحاً أن السوفييت متقدمون جداً في هذا المضمار. لقد تحدثت عنه الكثير من الكتب، أهمها وأوّلها كان كتاب "مارتين أبون" الذي بعنوان "الحرب الوسيطية: تهديد أم وهم؟" Psychic Warfare: Threat or Illusion? (١٩٨٣م).

يزعم "سوان" بأنه بين العامين ١٩٦٩ و١٩٧١م بدأت المصادر الاستخبارية الأمريكية تكشف عن حقيقة أن الاتحاد السوفييتي كانت منخرطة بعمق في ما كان يُسمى سابقاً "الأبحاث الروحية". في العام ١٩٧٠م، اكتُشف بأن السوفييت كانوا ينفقون ٦٠ مليون روبل على تلك الأبحاث، وأكثر من ٣٠٠ مليون روبل في العام ١٩٧٥م. ومن أجل مواجهة هذا التوجّه تم إقامة الأبحاث الوسيطية الأمريكية عبر برنامج الاطلاع عن بُعد.

القوة الوسيطية الصينية

مستبصرين ووسطاء خارقين!

إن كل من هو مطلع جيداً على المسائل الوسيطية سوف يُصدم من ما أنجزه الصينيون. لكن الحكومة الصينية لم تسمح سوى بالقليل من المعلومات للخروج للعلن حول وسطاءها الخارقين. ويبدو أن هذا السماح الجزئي يمثّل نوع من الحملة الدعائية لما تحوزه الصين بهذا المجال.

جحافل من الوسطاء الخوارق!!

أعيد وأكرّر بأن لا أحد يعلم بالضبط من الذي يتقدم على الآخر في هذا المجال بين الدول الكبرى. حيث ليس من صالح أحد (خاصة إذا كان يشترك بشكل فعلي في هذه اللعبة الدولية المخادعة) أن يفضح ما لديه من أسرار تتعلّق بهذا المجال. لكنه من المنطقي جداً أن نستنتج بأن الصين تسبق الجميع، ولأسباب كثيرة.

المعلومات القليلة المتوفرة حالياً هي أكثر من كافية لأن ندرك بأن الصين متفوقة بهذا المضمار على كل من روسيا والولايات المتحدة أو أي بلد آخر. وجب العلم بأن الحكومة الصينية تموّل الأبحاث الوسيطية بشكل سخي، وتعامل وسطاءها الخارقين على أنهم "كنوز وطنية". بالإضافة إلى هذا كله، فالحكومة تموّل برنامج خاص للبحث عن الوسطاء في كافة أنحاء البلاد وتجنيدهم. وهذا البرنامج يبدأ حملة البحث انطلاقاً من المدارس الابتدائية حيث تختار وتدرّب الآلاف من الذين

يظهرون مواهب وسيطية. وبسبب عدد سكان الصين المخيف، من المنطقي أن نتوقّع أعداداً هائلة من الوسطاء بالمقارنة مع أي بلد آخر في العالم.

جميع الباحثين في هذا المجال الوسيطي/الاستخباري يعلمون جيداً إن السماح بخروج أحد وسطاءها الخوارق، مثل "زهانغ باوتشنغ"، الذي يستطيع رفع وتيرة الذبذبة لجسمه بحيث يتمكن من المرور عبر الجدار، للعلن هو مجرّد حملة إعلانية لما توصلت إليه الصين من قدرات. كما أن وسطاءها المستبصرين مهرة ومتفوقين جداً. (تحدثت عن هذا الموضوع في بداية الكتاب).

بهذا الخصوص، ذكر الكاتبان "بول دونغ" و"ثوماس رافيل" في كتابهما "وسطاء الصين الخارقين" China's Super Psychics ما يلي:

".. إن العدد الهائل لسكان الصين شجّع الحكومة على الانخراط في الأبحاث الوسيطية ذات الأفرع المختلفة، وقد نمى معدّل الممارسين الوسيطيين بقدرات خارقة مختلفة. يُقدر بأن الصين الآن تحوز على ***خمسة آلاف وسيط من الأطفال، وخمس مئة وسيط بالغ، وأكثر من ثلاثين وسيط خارق/خارق من نوعية زهانغ باوتشنغ..***"

يمكنك الاطلاع على المزيد عن القدرة الاستبصارية في الصفحة [٢٩٧] حيث أوردتها في سياق موضوع آخر. يبدو أن الحديث عن معجزات العقل البشري (أو المنظومة العقلية البشرية) لا ينتهي أبداً. لكن أرجو أن تكون الفكرة قد تكوّنت جيداً بالرغم من غياب الكثير من المعجزات الأخرى عن سياق هذا البحث. من أجل إتمام الصورة، فيما يلي مثال واحد على قدرة العقل العجيبة على معالجة المعلومات:

"هاري كاهني"
Harry Kahne
الرجل متعدد الأذهان

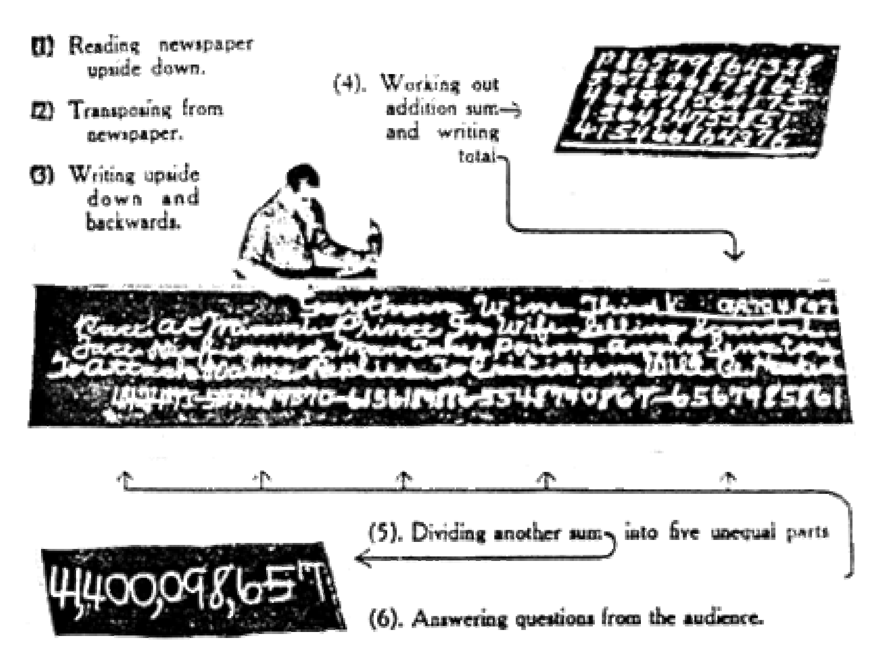
يستطيع عقله معالجة ستة أشياء بنفس الوقت!

هذا الرجل العجيب، الذي اشتهر في العشرينات من القرن الماضي (كان في العشرينات من عمره)، يستطيع استعراض موهبته المذهلة على المسرح من خلال القيام بستة عمليات ذهنية بنفس الوقت. الجميع يتذكر صورته المألوفة وهو يقف على المسرح أمام لوح أسود كبير مع قطعة حوّار في كل من يديه ويكتب بهما على اللوح وفي الوقت ذاته يجري حديثاً مع الجمهور. لكن ليس هذا فحسب، بل هناك جريدة مُثبتة أمامه وكان، بالإضافة إلى الأعمال السابقة، يقرأ العناوين الرئيسية بنفس الوقت. وليس هذا فحسب، فالكتابة التي يجريها على اللوح بيديه كانت غير عادية، حيث يستخدم اليد الأولى للكتابة بالمقلوب والعكس معاً! أما اليد الثانية فكان يستخدمها لكتابة "لغة المرآة" (أي كتابة معكوسة بحيث لا يمكن قراءتها بشكل صحيح إلا باستخدام مرآة)!

لكن الأمر لم ينتهي هنا. بالإضافة إلى كل الأعمال المذكورة سابقاً، هناك لوح صغير بجانبه ومكتوب عليه رقم طويل، مثل: ٢٨,٦٤٢,٩٨١,٦٧٣... حيث مهمته تقسيم الرقم إلى خمسة أقسام متساوية! وعليه كتابتها في مساحة مخصصة على زاوية اللوح الكبير. لكن هذا ليس كل شيء!! على يمينه يوجد لوح صغير آخر، ويحتوي على سبعة عواميد من الأرقام بقيمة الملايين، ومهمته جمعها وكتابة النتيجة في أسفل اللوح الكبير أمامه! (أنظر الشكل التالي)

هذا هو "هاري كاهني" الذي كان يجري ستة أعمال بنفس الوقت، مثل: القراءة، إعادة ترتيب أرقام وأحرف وكلمات، قلب الكتابة أو عكسها أو جعلها بلغة المرآة، إجراء حوار أو حديث، جمع أرقام، طرح أرقام،.. إلى آخره. إذا نظرت للأمر

ستلاحظ أنه ليس سهلاً بل مستحيل منطقياً. فالأعمال الذهنية الستة التي يجريها بنفس الوقت تستهلك في الحقيقة ١٤ عملية ذهنية مختلفة: سماع الأسئلة، الإجابة عليها، قراءة الصحيفة، إعادة ترتيب ما قرأه، إعادة ترتيب إملاء الكتابة، الكتابة باليد اليمنى، الكتابة باليد اليسرى، الكتابة بوضعية جسدية مقلوبة، حمل ٦ أفكار مختلفة بالذهن، حفظ السؤال المطروح، حفظ الأرقام خلال جمعها، حفظ الأرقام خلال طرحها، تنسيق بين الأعمال الذهنية وتوازن الوضعية الجسدية مثل المشي، الانحناء، تحريك الرأس.. إلى آخره.



شرح مفصّل لاستعراض "كاهني" لقدرته العجيبة على الكتابة، القراءة، القلب، العكس، الطرح، الجمع، الحوار، كلها بنفس الوقت.

الشرح في الصورة بالأرقام:

[١] قراءة الجريدة بالمقلوب [٢] كتابة عناوين الجريدة مع إعادة ترتيبها [٣] الكتاب المقلوب والعكس معاً [٤] معالجة معادلة حسابية وكتابة النتيجة [٥] إجراء عملية قسمة على خمسة لرقم طويل [٦] الإجابة على أسئلة الجمهور.

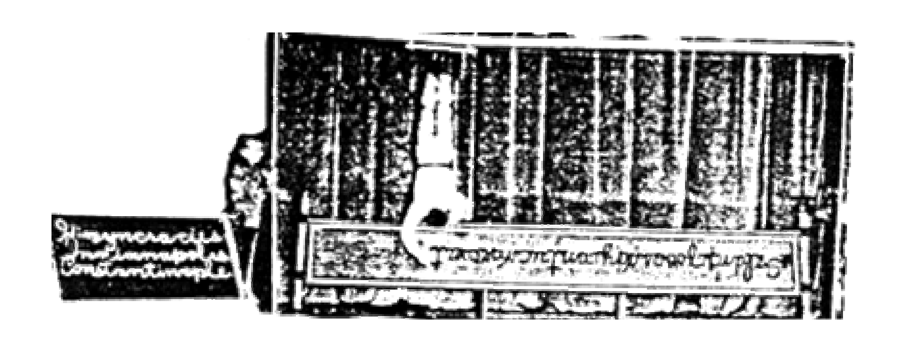
خلال انهماكه في كل تلك الأعمال، يحثّ الجمهور على طرح الأسئلة، ويستطيع الإجابة عليها جميعاً (بسبب ذاكرته العجيبة أيضاً).

".. كلموني.. كلموني.."، يصيح مترجياً..

فيسأل أحدهم صائحاً من بين الجمهور: *".. ما هو عدد سكان مانشستر؟.."*

".. عدد السكان؟.."، يتمتم بنفسه خلال انهماكه بالكتابة وجمع الأرقام، *"..مانشستر؟.."*، يتابع كتابته وحساباته الأخرى، ثم يقولها فجأة، *".. ٧٣٠,٥٥١ نسمة.."*، فيتابع بحماس، *".. هل من سؤال آخر؟.. هيا.. كلموني.."*

وهكذا، يتلقى الأسئلة ويجيبها بدقة وبشكل صحيح، حتى انتهاءه من الفقرة الأولى من الاستعراض، ليبدأ الفقرة الثانية. في الفقرة الثانية يتدلى بجسمه بالمقلوب ويطرح عليه الجمهور ثلاثة كلمات عشوائية طويلة، فيبدأ بمعالجتها وهو بهذه الوضعية، لكن ليس هذا فحسب، بل يتلو قصيدة شعرية خلال قيامه بالعملية.



لكن هناك أمراً آخر في العملية. هو لا يكتب الكلمات الطويلة التي يطرحها الجمهور بشكل طبيعي، وليس فقط بالقلوب والعكس وبلغة المرآة، بل يرتبها وفق صيغة معيّنة بحيث يجعل كل ثالث حرف في موقع الأوّل وكل خامس حرف في موقع الثاني.. وهكذا.



تشمل الفقــرات الأخــرى مــن استعراضــاته أحــد الإنجازات التالية:

الصورة المقابلــة تظهــره وهو يكتب خمسة كلمــات بنفس الوقــت. أي: بيــده اليمنــى، يــده اليــسرى، رجلــه اليمنــى، رجلــه اليسرى، وفمه. ويجــري حواراً مع الجمهور!



هــذا الإنجــاز (الــصورة المقابلة) كــان رداً علــى تحــدي أحــد الأشــخاص المتــشككين. اســتطاع أن يعــالج أحجيــة كلمــات متقاطعة بينما كان جــسمه متــدلياً بــالمقلوب! وقــد نجح في حلّها خــلال ١٣ دقيقة!

إذا كنت تظن بأنــه أمــراً سهلاً، فكّر ملياً قبــل أن تصدر الحكم.

كيف اكتشف موهبته؟

يروي "هاري كاهني" في أحد المقابلات الصحفية كيف تعرّف على هذه الموهبة التي كان يجهل وجودها تماماً قبل ذلك:

".. في الرابعة عشر من عمري، كنت في المدرسة. كنت متراجعاً في معظم الدروس، ما عدا الرياضيات، وطبعاً ليس بسبب عدم قدرتي على التعلّم، بل لأنني لم أعير انتباهاً للمدرّس. كنت من النوع الغئب تمماً عن جو الصفّ خلال إلقاء الدرس.. كنت مستغرقاً في أحلام اليقظة. أسمح لعقلي دائماً بالتجوّل، أفكّر باختراعات ميكانيكية، أخطط لأشكال جديدة من الكتابة المشفّرة، أو أضع حبكة لقصّة صغيرة. في أحد الأيام، أطلق مدرّسي سؤالاً مفاجئاً نحوي، وبعد اكتشافه بأنني لم أعير انتباهاً للدرس، سحبني من مكاني وأخضعني فوراً لعقوبة بدنية. وفي الحقيقة، إن الإحساس بألم العصا هو الذي أطلق العنان لتوجّهي نحو إنماء ما يمكن تسميته "تركيز ذهني متعدد". فأنا لم أرغب في التخلي عن أحلام اليقظة، لكن على الجانب الآخر، أحمل كرهاً دفيناً للعقوبة الجسدية. بعد فترة طوّرت عادة تمكنني من استخدام جزء من ذهني للبقاء صاحياً في الصف وسماع كل ما يقوله الأستاذ متوقعاً منه توجيه سؤال مفاجئ في أي لحظة، وتركت الجزء الآخر يسبح في عالم الأحلام والاختراعات والخيال.."

".. إحدى الأعمال التي استخدمتها لتسلية نفسي تتمثّل بالكتابة بالعكس. الكلمات الأولى التي عالجتها بهذه الطريقة كانت: ".. لن أكررها أبداً.." Never again. لا أعرف لماذا اخترت هذه العبارة.. لكن أعتقد بأنني كنت أفكّر ملياً بتلك العصا وألمها الشديد. قمت بالتمرين على كتابتها بالعكس وبالمقلوب كلما سنحت لي فرصة.."

".. في مناسبات كثيرة يصيح الأستاذ اسمي فجأة "هاري كاهني.. ابدأ من حيث انتهى زميلك جيمي ولسون.."، فأقفز فوراً على قدمي واقرأ المقطع الشعري الذي انتهي فيه زميلي، كل ذلك دون أي تردد أو ارتباك.."

".. في وقت لاحق، وبعد أن اكتشفت هذه القدرة على فصل ذهني إلى نصفين وكل منهما مشغول بعمل مختلف، بدأت أسلّي أصدقائي في المنزل ببعض الاستعراضات والخدع التي ابتكرتها بحيث تتمحور حول هذه القدرة. وبعد مغادرتي للمدرسة، دخلت في مجال العمل بالمجوهرات، لكنني تابعت ممارسة هذا الجمباز العقلي كما أسميه، قسم منه للتسلية والقسم الآخر بسبب شعوري بأنها تبقي عقلي في لياقة فكرية ممتازة.."

".. في أحد الأيام، التقيت بأحد مدراء المسارح الهزلية وسألني إذا كنت محضراً لإجراء استعراض جمهوري.. فأجبته بأنني سأحاول.. وفي مساء ذلك اليوم ظهرت على المسرح كبديل لأحد الاستعراضيين الذين فشلوا في الحضور.. ومنذ ذلك اليوم أنا أعمل في مجال الاستعراض.. أوّل ما بدأت العمل كنت قادراً على إجراء أربعة أعمال بنفس الوقت، لكنني الآن أقوم بستة. وربما في المستقبل أستطيع القيام بسبعة أو ثمانية أعمال.."

تجربته مع علماء النفس وآراءهم العلمية

أما علماء النفس الذين التقى بهم "كاهني" وأخضعوه للفحص والاختبار محاولين تفسير موهبته، فله رأيه الخاص بهم. قال في إحدى المناسبات بهذا الخصوص:

".. يا إلهي.. لا تحدثوني عن علماء النفس أرجوكم!.. إنهم أشخاص طيبين والحديث معهم لطيف وجيّد، لكن عندما أخضعتني مجموعة منهم للفحص والاختبار اضطررت للجلوس طوال الليل وأنا أراقبهم بملل كيف يتجادلون حولي. يقولون لي أن العمليات الذهنية التي أجريها بنفس الوقت يعني أنني أستخدم ١٤ وظيفة مختلفة للدماغ، وصنفوها على الشكل التالي: سماع الأسئلة، الإجابة عليها، قراءة الصحيفة، إعادة ترتيب ما قرأه، إعادة ترتيب إملاء الكتابة، الكتابة باليد اليمنى، الكتابة باليد اليسرى، الكتابة بوضعية جسدية مقلوبة، حمل ٦ أفكار مختلفة بالذهن، حفظ السؤال المطروح، حفظ الأرقام خلال جمعها، حفظ الأرقام خلال طرحها، تنسيق بين الأعمال الذهنية وتوازن الوضعية الجسدية مثل المشي،

الانحناء، تحريك الرأس.. إلى آخره.. ثم يبدؤون بإجراء قياسات لرأسي، ويخضعوني لأنواع مختلفة من الفحوصات النفسية المريبة والغريبة، وفي النهاية يختمون جلستهم السخيفة هذه بسؤالي: كيف تفعلها؟!

كان "كاهني" يصرّ دائماً بأن كل شخص مهما كان نوعه يستطيع إنجاز ما أنجزه وربما أكثر. الأمر ليس محتوم ولا مُحتكر على أحد. وتأكيداً لما يقوله، نشر كتاب رائع يحتوي على إرشادات خطو خطوة لتنمية وتطوير هذه المقدرة، بالإضافة إلى معلومات مهمة بخصوص العقل وعلاقته بها. بدأ "كاهني" في مقدمة كتابه بفكرة مهمة أعتقد بأنه من مناسبا ذكرها هنا:

إحدى أكثر الأشياء حزناً والتي يواجهها كافة أبناء هذا العصر الحديث هي حالة عدم استخدام أدمغتهم (عقولهم)! نحن نتعرّض دائماً للقصف المستمر بمتطلبات متزايدة على الدوام توحي لنا بأننا كائنات ضعيفة غير مكتملة التجهيز لمواجهتها والتعامل معها وحدنا دون اللجوء إلى وسائل خارجية (تقنية أو علمية) مؤازرة لنا. وبالتالي، غالباً ما يتجسّد الإجهاد. وهذا الإجهاد يساهم في إحداث اضطرابات جسدية ونفسية مما يؤدي إلى ظهور الأمراض والعلل. تنخفض الكفاءة والمهارة. تصبح الهفوات والحوادث أكثر قابلية للحصول.

عصر التقدم التكنولوجي يقضي على العقل

الدكتور "ألكسيس كاريل" Alexis Carrel، وهو جرّاح، عالِم، وحائز على جائزة نوبل (عام ١٩١٢م) بعد نجاحه في خياطة الأوعية الدموية وزرع الأعضاء، ومشترك في اكتشاف محلول "كاريل/داكين" Carrel-Dakin الذي قضى على "الغرغرين" بالكامل خلال فترة الحرب العالمية الأولى وبالتالي أنقذ عشارت الألوف من الأرواح. قال هذا الرجل الكبير في كتابه الذي بعنوان "الإنسان، المجهول" Man, The Unknown:

".. يبدو أن الحضارة العصرية عاجزة عن إنتاج أشخاص موهوبين بالخيال والذكاء والشجاعة. في كل بلد حول العالم هناك انخفاض مريب في المعايير

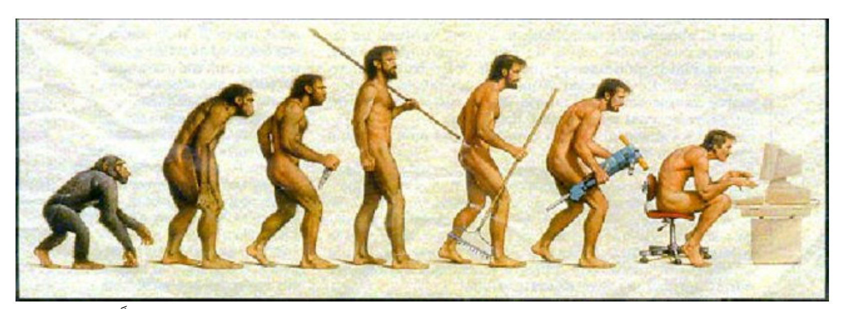
الأخلاقية والفكرية لدى اللذين يتحملون مسؤولية الشؤون العامة. المنهج التعليمي الذي تغرسه المدارس والجامعات يشمل بأغلبه على تدريب الذاكرة والعضلات، وبعض المسائل الاجتماعية المحددة، وعبادة أبطال الرياضة! هل هذه المناهج مناسبة فعلاً للإنسان العصري الذي بحاجة، أكثر من أي شيء آخر، إلى الشجاعة الأخلاقية والثبات؟.."

إن هذا التصريح هو صحيح اليوم بقدر ما كان صحيحاً وقت كتابة الدكتور "كاريل" لكتابه في الثلاثينات من القرن الماضي. أما الآن، منذ السبعينات من القرن الماضي أظهر ألمع طلابنا وأفضلهم انخفاضاً مخيفاً في فحوص القبول إلى الجامعات (نظام SAT المتبع في الولايات المتحدة)، ولا زال الأمر يزداد سوءاً. هذه المفارقة تعزّز النقاشات المضاربة التي تلوم التلفزيون، سواد عقلية الاستهتار، الخلاعة، العبث، الفسق، وأخيراً مناهج التربية والتعليم.

لكن ليس من الصعب تحديد سبب هذا الضعف الذهني الذي أصاب الأجيال الناشئة. كان المهاجرون الرواد إلى هذه البلاد (المستعمرين الأوروبيين الأوائل في القارة الأمريكية) رجالاً متعددي الجوانب، لكن نحن لسنا كذلك. كانوا بنفس الوقت صيادين، ناصبي أشراك، مستكشفين، مقاتلين، سائقي عربات خيل، صانعي زوارق أو حتى سفن، خيالين، صانعي عجلات أو مصلحوها، نجارين، نجاري أثاث، حفّاري آبار، بنائين، مزارعين، حدادين، تجار، طباخين،... كل هذه وأكثر، حِرف تخصصية ومهارات متعددة مجموعة في كل واحد منهم. لا عجب أنهم كانوا يتمتعون بـــ"توازن عقلي" و"استقرار عصبي" وغيرها من سمات أخرى ذكرها الدكتور "كاريل" في كتابه. كانوا متوازنين عقلياً لأن مهاراتهم كاملة متكاملة. كانوا مستقرين عصبياً لأنهم تمتعوا بثقة صافية بالنفس تعتمد على معرفتهم بقدرتهم على مجاراة أي مسألة قد تطرأ في عالمهم. كان لديهم حكم سليم، في القسم الأغلب، لأن عقولهم كانت متوسّعة حيث امتدت لتعانق فروع كثيرة من المعرفة والتعلّم، وبالتالي كانوا قادرين على التفكير بمستويات عديدة.

وهكذا الحال مع التاجر القديم. كان في الوقت نفسه مهندساً، مصمم متاجر، وكيل مشتريات، مدوّن سجلات، مدير تسويق، مدير بائعات، محاسب، مدبّر ساحر لشؤونه المالية. حتى الطبيب الذي عاش قبل جيل واحد فقط، كان طبيب توليد نساء، اختصاصي نسائي، طبيب أسنان، طبيب عيون، اختصاصي حنجرة،... باختصار، كان ممارس عام لكافة فروع الطب العلاجي والجراحي معاً.

اليوم، أصبح لدينا استكشافات أكثر ذكاء، زراعة أكثر تقدماً، هندسة أفضل، تسويق، محاسبة، توليد، طب أسنان وجراحة. لكن ماذا كسب الإنسان من هذا كله، الإنسان كفرد.. أنت وعائلتك رؤساءك ومرؤوسيك.. كلكم خسرتم. لقد خسرتم القدرة على التفكير العريض والواسع. أنت غير قادر، في الوقت الحالي، على التعامل مع عدة عوامل متناقضة بنفس الوقت.. موازنتها الواحدة تلو الأخرى لكن بنفس الوقت.. التوصّل مباشرة إلى قرار تعرفه في أعماقك بأنه قرار صحيح وتعمل وفقه بشكل تلقائي بشجاعة تأتي من نفس تلك الأعماق.



كاريكاتور ساخر عن حالة الإنسان العصري المتقدم تكنولوجياً

من خلال إراحة الإنسان من ضرورة التفكير، ما عدا ضمن مجال ضيّق الحدود لما اختاره كعمله في الحياة، ساهم هذا العصر المتطور تقنياً في تخدير القسم الأكبر من عقل الإنسان وجعله غبياً.

تقييم نهائي

أعتقد بأن هذه التشكيلة المختصرة من القدرات الاستثنائية تشمل ما يكفي من الظواهر الخارقة الأساسية التي تستحق البحث والدراسة (مع العلم أن هناك المزيد في الجزء الثاني). لقد حاولت بقدر ما أمكن ذكر هذه الحالات والظواهر بصيغة سرد روائي، دون التعمّق في تفسير أي منها لأننا قبل فعل ذلك سوف نمرّ على مرحلة مهمة وجوهرية في مسيرة توضيح المسألة. أما بخصوص التفسير الكامل الشامل لكافة هذه الظواهر (رغم أنها تبدو مختلفة ومتنوعة)، فسوف تجدونها في الجزء الثاني من الكتاب "طبيعتنا الاستثنائية من منظور علمي".

في كل يوم، يتقدم عدد كبير من الناس، من مختلف مشارب الحياة وكافة أرجاء الأرض، ببلاغات وتقارير عن اختبارهم أو مشاهدتهم ظواهر استثنائية، أو "شاذة" anomalous حسب ما يسميه المنطق العام، حيث القليل من هذه الظواهر الاستثنائية، إن لم نقل أيّ منها على الإطلاق، قابلة للتفسير وفق المنطق المألوف علمياً أو ثقافياً. هذه الظواهر الاستثنائية هي خارجة عن كل ما هو طبيعي ومألوف في الحياة اليومية (التقليدية) للإنسان. وفق الأبحاث التي أجريت، هذه التجارب الاستثنائية الفردية أو الجماعية تتراوح بين مجرّد صدفة عادية لا معنى لها، إلى حالات تخاطر، إدراك مُسبق، جلاء بصري (استبصار)، شفاء ذاتي (تلقائياً دون عامل خارجي)، معجزة، خروج عن الجسد، ظهور شبح، مقابلة مخلوقات من عوالم أخرى، مقابلة شخصيات دينية مقدّسة، طيف واسع من القدرات العقلية أو الجسدية الخارقة، بالإضافة إلى أشكال مختلفة من الحالات الروحانية أو الصوفية (حالات وعي بديلة) غير المألوفة. إذا أردنا النظر للأمر من الناحية الإحصائية، يبدو أن نسبة حصول هذه الحالات ملفتة للانتباه وهذه لها دلالة تستحقّ الاهتمام الجدّي، إذ أصبح من المفروض عدم تصنيفها على أنها مجرّد حالات شاذة ونادرة. وبدلاً من اعتبار هذه الظواهر الاستثنائية المختلفة بأنها تشير إلى مظاهر جليلة كامنة في جوهر الإنسان على مستوى الفصيلة البشرية

ككل، يتم تجاهلها بالكامل بالإضافة إلى معاملة كل من اختبر هذه التجربة الاستثنائية بطريقة خاصة: إما المبالغة في تكريمه (غالباً ما يصل حدّ التبجيل)، أو السخرية منه أو تجنّبه خوفاً أو تكفيراً، أو محاولة معالجته نفسياً (أو روحياً) بهدف إعادته إلى "حالته الطبيعية" لينخرط مرّة أخرى في صفوف الحشود، إلى مكانه الحقيقي داخل حدود البيئة الاجتماعية التقليدية التي حددتها الشرائع الدينية والعادات الفلكلورية وأخيراً المنطق العلمي الرسمي. وجميع هذه الجهات طبعاً ترفض (كل منها على طريقتها الخاصة) وجود هكذا ظواهر "شاذة".

لقد بُذلت جهود عديدة لمحاولة فهم واستيعاب العوامل البيئية والجسدية، وغيرها من عوامل خارجية أخرى، التي يمكن أن تلعب دور المحفزات التي تساهم في تجسيد هذه الظواهر الاستثنائية، لكن هذا المجال من البحث لم يشهد تقدماً ذو أهمية. عدد كبير من الأشخاص المتصفون بالرزانة والاستقامة يمرّون باستمرار بإحدى أشكال هذه الحالات الاستثنائية مما يجعل إصرارهم يزداد مع الوقت للحصول على معلومات ذات معنى لتساعدهم على استيعاب ما يحصل معهم، وليس معلومات ناقصة يوفرها العلم المنهجي أو العقائد والمسلمات الدينية الضيّقة.

من المهم معرفة أن هذه الحالات الاستثنائية، رغم انتشارها الواسع بين شعوب الأرض، إلا أن نسبتها تبقى قليلة بالمقارنة مع الحالات الروتينية التي يألفها الفرد في حياته اليومية. لكن رغم ذلك، يمكن لحالة واحدة من هذه الحالات الاستثنائية النادرة، ولو حصلت مرّة واحدة فقط في حياة الشخص، أن يكون لها قوة تأثير كافية لتحدث تغير جذري في طريقة تفكيره ونظرته للوجود بشكل عام. من زاوية الفرد الذي خاض هكذا تجربة (خارقة، صوفية، روحية.. أو غيرها)، فهو يعتبر أنها تأتي من خارج سياق الأحداث اليومية الروتينية التي يألفها، مما تجعله يتساءل بإلحاح عن مدى مصداقية المبادئ والقيم والمعتقدات (الدينية/العلمية) التي تحكم عقله ووجدانه والتي ساهمت في صياغة الصورة (الضيّقة) التي كوّنها عن العالم المحيط به. كيف يستطيع الفرد مثلاً إسقاط ما نشأ عليه من معلومات ومعتقدات (دينية/علمية) على الحالة الاستثنائية التي اختبرها، كحالة خروج عن الجسد مثلاً،

أو الاقتراب من الموت، أو التنبؤ بحدث مستقبلي في حلم، أو الشعور بالخطر الداهم قبل حدوثه، أو حالة نشوة روحية (بحران) أو غيرها من حالات استثنائية؟! كافة هذه الحالات تفاجئنا دائماً. غالباً ما تبدو وكأنها تأتي فجأة من لاشيء. مثل حالة وميض مفاجئ flash ثم نرى في عيوننا مشهد يصوّر حدث بعيد عن موقع وجودنا بآلاف الكيلومترات! أو يطرأ في ذهننا الحلّ المناسب لمسألة معيّنة شغلت عقولنا شهور طويلة. أو ابتكار عظيم يظهر في الحلم فجأة، دون سابق تحضير أو تخطيط. والعامل المشترك الذي يجمع هذا الصنف من الحالات الذهنية المختلفة يتمثّل بغاية واحدة فقط وهي خدمة الفرد بطريقة مميّزة واستثنائية (أي إنقاذه من ورطة أو تنبيهه عن خطر أو توفير الحلّ المناسب لمسألة تشغله.. إلى آخره) بحيث لا يمكن لهذه النتيجة الإيجابية أن تتحقّق إذا لم يتجسّد هكذا حالات ذهنية استثنائية.

هناك تاريخ حافل لهذه الحالات الفردية الاستثنائية التي ساهمت في تحويل حياة عدد كبير من الأشخاص، وغالباً ما مثّلت نقاط تحوّل في مجرى التاريخ أو الاستكشاف العلمي، أو مجال الاختراع، وبالإضافة إلى مجال الأدب والفن. وأشهر الأمثلة تتراوح بين قصة "أرخميدس" الذي صاح ".. وجدتها!.." Eureka! عندما اكتشف فجأة طريقة مجدية لقياس حجم الماء، وقصّة الفيزيائي "نيلز بوهر" Niels Bohr الذي راوده في الحلم كيف اتخذت الإلكترونات شكل أنظمة شمسية صغيرة، إلى قصة الكيميائي "فردريك كيكوليه" Friedrich Kekulé الذي راوده في الحلم أفعى تعضّ ذيلها متخذة شكل حلقة مما ساعده على استنتاج نموذج الهيكل الجزيئي للبنزين، وكذلك قصة عالِم الجراثيم "ألكسندر فلمنغ" Fleming الذي اكتشف "البنسيلين"، وكذلك قصة "إلياس هوي" Elias Howe الذي استلهم من حلمه الشهير أفضل تصميم لإبرة الخياطة حيث أحدث ثورة في الصناعة النسيجية.. وأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها. لكن لو تم تقدير هذا النوع من الحالات الملهمة التي لا تستند على شيء سوى "البصيرة" أو "الإلهام" والتي ساهمت في إحداث تغييرات جذرية بحياة الأفراد وبالإضافة إلى الأثر البالغ الذي خلفته في المجتمع ككل، وذلك من خلال تسليط الضوء على هذا الجانب الروحي لتلك

الاكتشافات، لبدا الأمر مختلفاً بالنسبة لنا ولرأيناها من زاوية مختلفة تماماً. لكن للأسف الشديد، وبشكل يدعو للعجب فعلاً، يتم التعتيم على هذا الجانب الاستثنائي من العملية وبالتالي لا نعرف عنه سوى القليل.

من وجهة النظر العلمية، تُعتبر الحالات الاستثنائية مجرّد شواذ أو انحرافات في مسار الطبيعة، وذلك لأنها لا تتوافق مع المنطق العلمي السائد (وهو منطق مادي يخضع لنموذج ميكانيكي بحت، لا يتعامل سوى مع ما هو مرئي وملموس). يتم انساب تلك الحالات "الشاذة" إلى عالم الخيال والهلوسة والوهم، أو اعتبارها بكل بساطة بأنها تمثّل أخطاء وهفوات بيولوجية، وبالتالي فالأبحاث العلمية الرسمية "المحترمة" لا تحاول أن تجهد نفسها إطلاقاً في دراستها والتحقيق بها أو أخذها على مجمل الجد، وهذا هو السبب الرئيسي في جهلنا بها أو عدم فهمنا لها. لكن من ناحية أخرى، حتى لو تناولها بعض العلماء الأكاديميين المغامرين، فسوف يفشلون في التوصّل إلى جوهر الحقيقة، وذلك لأنهم يضطرّون إلى محاولة تفسيرها بالاعتماد على المنطق العلمي السائد، فيجاهدون في إدخالها عنوةً في هيكل المعادلات والمبادئ والنظريات العلمية القائمة، فيتم تحريفها أو تشويهها خلال عملية التوافق. أي يضطرّون إلى إجراء تعديلات في أشكال وتجليات هذه الحالات الاستثنائية لكي تتوافق مع المنطق العلمي، بدلاً من إجراء تعديلات في المنطق العلمي لكي يتوافق مع الظواهر الجديدة التي تجسّدها هذه الحالات الاستثنائية، فتضيع الحقيقة من جديد بينما يتوه الباحث متشرداً في متاهات المعادلات والنظريات العلمية الواهمة.

لقد مارس عدد كبير من الأشخاص، من كافة مشارب الحياة وعبر العصور التاريخية، حالات استثنائية مختلفة المظاهر والأشكال، تشمل: حالات "إدراك متجاوز للحواس المألوفة"، حالات "التحكّم بالأشياء بواسطة الفكر"، رؤيا روحانية، معجزات، مقابلات مع كائنات من عوالم أخرى، إنجاز أعمال خارقة مختلفة المظاهر (إدراكية أو عقلية أو جسدية). هذه الحالات جعلتنا نتوقف ونتأمّل متسائلين، هل يمكن أن تكون حقيقية؟ هل يمكن إثبات صحتها؟ هل يمكن تفسيرها؟

بسبب طبيعتها الخاصة، هذه الظواهر الاستثنائية لا تتوافق بشكل مريح مع المفاهيم التي نشأنا عليها. وكما ذكرت سابقاً، كافة الجهود العلمية التي بُذلت لدراستها كانت موجّهة نحو عملية إدخالها قسراً في المنظومة العلمية السائدة بما تشمله من نظريات ومفاهيم فيزيائية تتناول مواضيع "الزمن" و"فضاء" و"السببية الخطيّة" و"الإلكترونات" و"الموجات الكهرومغناطيسية" و"النسبية العامة والخاصة" وغيرها من مفاهيم تبقى مجرّد نظريات مشكوك بصحتها أصلاً رغم احتضان العلم المنهجي لها. لهذا السبب، ورغم مرور أكثر من ١٠٠ عام على تناول هذه الظواهر من قبل كيانات علمية مختلفة (أشهرها "الباراسيكولوجيا") إلا أننا لازلنا بعيدين كل البعد عن الحقيقة.

انطلق مجال "الباراسيكولوجي" parapsychology في أواخر القرن التاسع عشر (باسم "جمعية الأبحاث الروحية") مستهدفاً في أبحاثه كافة الظواهر غير المألوفة المُبلغ عنها، بما فيها الظواهر المتجسّدة خلال "جلسات تحضير الأرواح" وظواهر خارقة متجسدة في الطبيعة، لكن التركيز كان على تلك التي يستعرضها الأفراد الموهوبين بقدرات عقلية استثنائية.

خلال أواسط القرن العشرين، تم تحقيق إنجازات لامعة في هذا المضمار على يد عالم البيولوجيا "ج.ب راين" وزوجته "ل.إي راين"، وكذلك عالم النفس "غاردنر مورفي". وفي العام ١٩٦٩م تم القبول بانضمام "رابطة الباراسيكولوجيا" Parapsychological Association إلى "الرابطة الأمريكية لتقدّم العلوم" American Association for the Advancement of Science مما جعلها تنال قسطاً (يسيراً) من المصداقية العلمية. خلال ذروة مجدها، أي بين ١٩٤٠ إلى ١٩٨٠م، تمحورت الأبحاث الباراسيكولوجية بشكل عام حول التجارب المخبرية (أي ركّزت على العمل داخل المختبرات)، وتبنّت المفاهيم السائدة لعلم النفس الأكاديمي (أي اعتمدت في تجاربها المخبرية على مبدأ "الفعل وردّ الفعل" cause-effect، كما بقيت تعتبر "العقل" بأنه "صندوق أسود" مجهول). لقد نمت الأبحاث وفق هذا المنحى عن تأثيرات بسيطة، وغالباً ما فشلت في الحصول على أي تأثير

بالمطلق. وحتى تلك التأثيرات البسيطة التي جسدتها مختبرات الباراسيكولوجيا لم تسلم من تشكيك العلماء التقليديين الذين لم يتوانوا عن دحضها بسهولة بالاعتماد على تفسيرات علمية منهجية. أما ردّ فعل الباراسيكولوجيا لهذا الهجوم الدائم من العلماء المتشككين، ومن أجل نيل رضا العالم الأكاديمي المحترم، فكان ميلها الدائم إلى تجاهل الجذور النفسية للكائن البشري بكل ما تحويه من عوامل مثل "العقل"، "الإدراك"، و"الوعي"! وكل ذلك من أجل الإبقاء على نيل الاعتراف الرسمي من العلوم الأكاديمية الأساسية، خاصة علم الفيزياء الذي يعانق النظريات والمفاهيم الفيزيائية "المادية" التي توصف الواقع من حولنا بأنه واقع "ميكانيكي" خالي من الروح والعقل.

هذا مع أن بعض العلماء الباراسيكولوجيين بدؤوا يطرحون في نظرياتهم الجديدة إمكانية وجود وعي شمولي يحكم الكون، لكن رغم ذلك، لازال معظم العلماء الآخرين في هذا المجال يتمحورون حول الإثباتات المخبرية ولم يغامروا في البحث الفلسفي في خفايا العقل ودراسة الوعي بمفهومه الأشمل. وكنتيجة لذلك، وجب اعتبار معظم علماء الباراسيكولوجيا على أنهم مجرّد علماء "بارافيزياء". خلال اجتهادهم للإبقاء على نيل مصداقية ورضا العلماء التقليديين، استمرّ علماء الباراسيكولوجيا في تجاهلهم الكامل لدراسة الطبيعة العفوية وكذلك التحفيزية للحالات الاستثنائية "الخارقة للطبيعة"، كما تجاهلوا أيضاً دراسة الأشخاص الموهوبين ذاتهم وتجربتهم الحياتية ككلّ بما فيها من حالات طبيعية واستثنائية معاً.

في هذا العصر بدأ منظور الأفراد، وكذلك المجتمعات، يتغيّر ببطء لكن بشكل جذري. خلال السنوات القليلة السابقة راح الطلب الملحّ يتزايد للحصول على معلومات صحيحة وجديرة بالثقة بخصوص هذه الحالات الاستثنائية (أو الظواهر الخارقة كما نسميها) وكذلك عن الأفراد الموهوبين بها. لقد وفّر هذا العصر المعلوماتي المتفجّر إمكانية التواصل بين عدد كبير من الناس ومشاركة تجاربهم وخبراتهم ومعلوماتهم بخصوص هذا الموضوع، وبالتالي أصبح من السهل

التعرّف على المزيد من التفاصيل المتعلقة بهذه الظواهر الاستثنائية عبر وسائل إعلامية متنوعة، بما في ذلك الشبكة العالمية "الإنترنت". المزيد من الناس بدؤوا يكتشفون بأنهم ليسو وحدهم يختبرون هذه الحالات الاستثنائية، بل هناك آخرون يشاركونهم نفس الحالات وقد تختلف أشكالها وأنواعها من حيث التجسيد والتجلّي. بالرغم من أن هذا الانتشار الإعلامي الواسع يدعو للاطمئنان، إلا أن وسائل الإعلام لازالت تتعامل مع الأفراد الموهوبين بقدرات استثنائية على أنهم غريبو الأطوار أو موهوبين مميّزين بشكل متطرّف عن غيرهم من الناس العاديين، وغالباً ما يُواجهونهم خلال مقابلاتهم الإعلامية مع رجال علم أكاديميين أو رجال دين أو غيرهم من الخبراء المتشككين الذين يدعون الإلمام التام بحكمة الحياة، فيطلبون من أولئك الأشخاص الموهوبين تقديم براهين علمية أو تفسيرات لاهوتية أو غيرها من أمور تعجيزية تعمل على إرباكهم وإظهارهم كالحمقى المساكين. لكن مهما كان الأمر، لقد ساهمت وسائل الإعلام في تعميم هذه الظواهر الاستثنائية بشكل واسع، رغم أنها عملت على إظهارها بصورة غير سوية، أي بشكل يتوافق مع النظرة الاجتماعية السائدة تجاه هكذا ظواهر، فتتعامل معها على أنها حالات شاذة، استثنائية، عجيبة، مختلفة، عصية عن التفسير علمياً.. إلى آخره.

من أجل دراسة هذه الظواهر الاستثنائية بشكل صحيح، يتطلّب الأمر عقلية جديدة ونظرة جديدة للحياة والطبيعة من حولنا. وهذا يتطلّب تغيير جذري في طريقة التفكير والوعي، إن كان على المستوى الفردي أو الجماعي. في وقتنا الحالي، لازالت النماذج السائدة التي يتبعها علم النفس الأكاديمي تنجز القليل في مساعدتنا على تحقيق هذا التحوّل الكبير في النظر للحياة. معظم الأساليب العلمية لازالت تتبع منهج "الدليل المرئي والملموس"، بينما هذا النوع من الظواهر الاستثنائية عصية عن الضبط وفق معايير محددة، أو الاستعراض حسب الطلب، أو حتى التكرار في المختبرات أكثر من مرّة أو مرتين، أو إذا تكرر تجسيدها عدة مرات فهي تتجسّد في كلّ مرّة بشكل مختلف عن السابقة. وهذه الخاصية المميّزة تجعلها غير متوافقة مع المنهج الصارم للمختبرات العلمية، والذي تم تصميمه ليعمل وفق

مراحل متسلسلة بشكل منطقي رياضياتي مستقيم، أي أنه مضبوط المعايير "النوعية" و"الكميّة" و"الزمنية".

وبالإضافة، فإن اهتمامات علم النفس الأكاديمي وممارسيه، رغم أنها واسعة ومتنوعة، لازالت ملتزمة بتناول مسائل سيكولوجية معيّنة ووفق حدود معيّنة. فمثلاً، ينصبّ المحللين النفسيين على دراسة الحالات النفسية المتجسّدة لدى أفراد ناجين من كارثة طبيعية، أو تعرّضوا لصدمة نفسية معيّنة، أو غيرها من أزمات نفسية مختلفة تسبب تغييرات جذرية في حياتهم النفسية، لكنهم يتجاهلون التحولات النفسية الجذرية التي تتجسّد نتيجة اختبار أحد الأشخاص لإحدى الحالات الاستثنائية (الخارقة للطبيعة) والتي تساهم في إحداث تغيير جذري في حياته اليومية وكذلك طريقة نظرته للحياة بشكل عام. وبالفعل، عندما يتجرّأ أحد الأفراد (وسط هذه البيئة الاجتماعية المتشككة بشكل عدواني) ويبوح بتفاصيل التجربة الاستثنائية التي مرّة بها، كحالة استشراف للمستقبل، أو حالة خروج عن الجسد، أو رؤية شبح أحد أقاربه المتوفين أو كائن ماورائي آخر، أو محاولة وصف حالة بحران مرّ بها في إحدى لحظات النشوة الروحية، أو غيرها.. ينصبّ اهتمامانا أولاً على الفرد الذي اختبر هذه الحالة الاستثنائية بينما نتجاهل النظر إلى "الحالة" ذاتها ومحاولة فهم طبيعتها وسبب تجسّدها ومن أين تأتي وكيف تأتي.

لقد بدأت الفترة الأخيرة تشهد الظهور التدريجي لما يمكن تسميته مجال "علم النفس التجاوزي" transpersonal psychology حيث أدى إلى تجسيد نوع من الصحوة التجاوزية لدى الناس. لكن رغم ذلك، فلا زال هذا المجال (شبه الأكاديمي) مقصراً كثيراً في اللحاق بركب الحقيقة الأصيلة. والسبب طبعاً يعود إلى أن كل الجهود التي يبذلها هؤلاء "الأكاديميين التجاوزيين" لازالت تتمحور حول مناهج مخبرية صارمة حيث التسلسل المنطقي ومبدأ "الفعل وردّ الفعل"، والتصنيف من خلال استخدام المصطلحات العلمية المقيّدة، والتقسيم إلى مراحل متسلسلة، وغيرها من أساليب علميّة صارمة لا تناسب تلك الظواهر. وفي غالب الأحيان، يتم اختصار أو تسخيف الحالة الاستثنائية الخاضعة للدراسة إلى مجرّد

حالة نفسية تمثّل رد فعل عكسي لحالة نفسية سابقة، أو نتيجة حتمية لحالة صدمة نفسية أو أرق نفسي محفّز للظاهرة المتجلية لاحقاً، وبالتالي تنصبّ الجهود على محاولة إعادة إدخال تلك الظاهرة الاستثنائية، عنوةً، ضمن صفوف الحالة الطبيعية السائدة. لأن الظواهر الاستثنائية تمثّل على الأغلب أحداث عفوية وتلقائية، فبالتالي يتم توصيفها وقياسها عبر النظر إلى تأثيراتها التلوية aftereffects.

طالما استمرّت مجتمعاتنا في تصنيف الحالات الاستثنائية على أنها "حالات شاذة" وتنحيها جانباً على هذا الأساس، فسوف تبقى إمكانية تعميمها على مستوى الشعوب ككل كامنة دون حراك، فتضيع الفرصة في رفع مستوى الوعي البشري بسبب حرمانه من المزيد من الأبعاد التجاوزية الرائعة. هذا ومع أن تلك الطبيعة الغامضة والمثيرة المتجلية في هذه الحالات الاستثنائية تخفي في طياتها الكوامن القادرة على إيقاضنا من سباتنا العميق ودفعنا إلى طرح أسئلة كثيرة. ومن خلال خوضنا في هذا البحث فقط سوف نجد أنفسنا منخرطين تلقائياً في عملية تجسيد هذه الحالات الاستثنائية في واقعنا اليومي. عندما يكون بحثنا مكثفاً بما يكفي، حيث تزداد معرفتنا واطلاعنا فتتوسّع معها نظرتنا، سيتراءى لنا دورنا ومسؤوليتنا كمشاركين فعليين في عملية خلق واقع جديد أرحب وأكثر شمولاً، إذ نكون فيه ليس مجرّد كيانات منفردة ومتفرّقة بل متداخلين بشكل صميمي ومنسجم مع شبكة الحياة ككلّ.. عناصر صغيرة تدخل في مكونات كائن شمولي واحد.

من خلال اجتهادنا في البحث بهذا المجال الرائع والعجيب، وإقامة التجارب والاختبارات، سوف نعمل بشكل تلقائي على إعادة بناء "واقع جديد" مع أمل متزايد في فهم أشمل وأعمق عن أنفسنا وعن عالمنا. "الحالات الإنسانية الاستثنائية" تذكرنا دائماً بهذه الحقيقة من خلال استعراضها بشكل مرئي وملموس. تذكرنا على الدوام بماضينا المفقود، تاريخنا العظيم، دربنا الأصيل الذي نسيناه قسراً. إن مسؤوليتنا كباحثين، مستشارين، معلمين، وكذلك كبشر، لا تتطلّب أكثر من أن نصحو ونولي الاهتمام الكافي بهذه الرواية الأزلية من التحدّي والاستكشاف والكشف والتطوّر البشري الحقيقي.

كيف تصبح وسيطاً..؟!

إذاً، أصبح لدينا الآن طيف واسع ومتنوّع من القدرات الإنسانية الاستثنائية التي تنتمي لتصنيفات مختلفة، مذاهب مختلفة ومجموعات بشرية مختلفة... وكل من هذه التيارات العلمية، الفلسفية، الروحية، تعرّف الإنسان وفق طريقتها الخاصة ومفاهيمها الخاصة. لكن على المقلب الآخر، نجد أشخاص فرديين تمكنوا من استعراض العديد من القدرات والظواهر الخارقة بحيث تجاوزت أحياناً تلك التي تتطلّب التدريب المنهجي الصارم. وهذا يجعلنا تائهين ومربكين وحتى عاجزين عن تكوين صورة واضحة وشاملة ونهائية عن الإنسان وطبيعته الحقيقية.

هناك الكثير من التساؤلات المتشابكة التي تشغل تفكيرنا خلال تناول هذا الموضوع. وجميعها، رغم اقترابها أحياناً من الجواب الجوهري لكنها ما تلبث أن تبتعد ثانيةً. لا يمكنها أن تصيب الهدف أبداً. والسبب هو أننا، وخلال تناول الموضوع، نعتمد على وجهة نظر مختلفة تماماً بخصوص طبيعتنا الحقيقية ككائنات بشرية. سوف تتوضّح هذه الفكرة لاحقاً عبر تعاقب الصفحات.

جميعنا نتساءل مثلاً:

ـ هل هذه القدرات محتكرة على عيّنة محددة من البشر؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا لا يتمتع كل البشر بهذه المواهب؟ لماذا الاحتكار الرباني بهذا المجال؟!

ثم نعود ونتذكّر نقطة مهمة، حيث وجود طيف واسع ومتنوع من الأنظمة التدريبية لتنمية وتطوير واستنهاض بعض أنواع القدرات الخارقة (بالإضافة إلى تلك التي تبرز تلقائياً وبالصدفة خلال وجودنا في مواقف خطيرة وداهمة) مما يجعلنا نستنتج حقيقة أن الملكات المسؤولة عنها هي كامنة لدى الجميع. لكن هذا يدفعنا إلى طرح سؤال آخر:

ـ إذا كانت الملكات المسؤولة عن تجسيد هذه القدرات الخارقة فطرية وكامنة في كل البشر دون استثناء، لماذا لا تتجسّد بشكل طبيعي دون عناء الخوض في أنظمة تدريبية صارمة؟

ثم نعود لنتذكّر حقيقة أن طريقة الحياة والمساعل التي تشغل الإنسان العصري تختلف عن الظروف البيئية التي توفّر الشروط اللازمة لاستنهاض تلك القدرات، وهذه الشروط يمكن اصطناعها عبر الأجواء التي تخلقها أنظمة التدريب. لكن بعد الاكتفاء بهذه الفرضية التي تجعلنا نشعر بالرضا، سوف يخطر لنا فجأة حقيقة مهمة فتدفعنا لطرح السؤال:

ـ إذا كان استنهاضها يتطلّب تدريبات صارمة، فلماذا إذاً تتجسّد بشكل طبيعي عند بعض الأشخاص دون أن يكلفوا أنفسهم بعناء التدريب؟

وهذا سيعيدنا إلى حيث بدأنا! دون أن نصل إلى نتيجة مجدية. لكن من ناحية أخرى، من المفروض أن لا نُحبط من هذه الدوامة عديمة الجدوى، بل وجب أن تدفعنا إلى إجراء بعض التعديلات في طريقة تفكيرنا خلال تناول الموضوع.

فنحن أصبحنا على يقين بحقيقة وجود "وسطاء طبيعيين" وأن هذه القدرات الاستثنائية المختلفة التي يستعرضونها هي موجودة أصلاً على مستوى فصيلتنا البشرية ككل، لكن المسألة تكمن في كيف ولماذا تتجسّد، وما هي العوامل المحفّزة على ظهورها بشكل تلقائي لدى هؤلاء الناس وحدهم؟

أصبح من الواضح أن مشكلة عدم ظهورها عند كافة البشر تكمن في مكان آخر، وبالتالي أصبح مبرراً اعتبار إمكانية وجود معوّقات غير مُدركة تقبع في مكان ما في جوهرنا، ويبدو أنها أقوى مما نتوقعه. وخلاصة الفكرة هي:

".. إذا عجزنا عن استنهاض هذه القدرات الاستثنائية، دعونا في البداية نتجاهل الوسائل والأساليب التي تساهم في استنهاضها ونركّز جهودنا على البحث في الأسباب التي تعيق استنهاضها.."

الموضوع التالي سوف يتناول هذه المسألة من عدة جوانب بحيث تساعدنا على استيعاب الفكرة بشكل أوضح. وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء (مستخلصة من دراسات الوسيط والباحث البارز في هذا المجال "إنغو سوان"):

الجـــزء الأوّل

تحضير العقل لاستيعاب القدرات الخارقة

الانطلاق من الصورة الصغرى إلى الصورة الكبرى

الجـــزء الثانـي

فصيلتنا العجيبة من منظور الصورة الكبرى

الجـــزء الثالث

محاولة فهم بعض الديناميكيات البنيوية للصور الصغرى

الجـــزء الأوّل

تحضير العقل لاستيعاب القدرات الخارقة

الانطلاق من الصورة الصغرى إلى الصورة الكبرى

أحد الأسئلة المطروحة باستمرار تتعلّق بـــ".. كيف يمكن للفرد أن يتعلّم ليـــصبح [وسيطاً روحياً] psychic، أو ".. كيف يمكن للفرد أن يتعلّم أن يجسّد مظهراً واحداً على الأقل من ظواهر القدرات الخارقة Psi-Superpower phenomena.."

"..***كيف يمكن***.."، هذا هو السؤال الشهير. ويبدو ظاهرياً سؤالاً منطقياً. وبالتـــالي، كإجابة مناسبة له، يتوقع الناس وجود نوع من التعاليم الإرشادية التي تحتوي على نوع من منهج تعليمي تم صياغته على شكل خطوة خطوة.

وبناء على هذا، نشأت سوق واسعة ومربحة لهكذا نوع من التعـــاليم الإرشـــادية، وكانت النتيجة أن المستثمرين والانتهازيين صمموا برامج ومناهج إرشادية جعلت الناس يستنزفون وقتهم ومالهم وجهودهم أملاً بتحقيق إنجازات خارقة معيّنة.

تختلف أنواع هذه البرامج التعليمية، وتتراوح بين دراسات طويلة الأمد وتحتـــوي على مفاهيم ميتافيزيقية وفلسفية، وبين جهود قصيرة الأمد بحيث تصل أحياناً إلى ٦ خطوات بسيطة.

تتفاوت جودة هذه التعاليم المعروضة للبيع من تعاليم رفيعة الذوق العقلي وصادقة في مسعاها، نزولاً إلى مناهج ذات جودة متدنية، وهذا لا يـــستثني الكثيـــر مـــن الخزعبلات والسخافات والشعوذات المقززة.

لازال الأمر على هذه الحال منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث تراكمت أدبيات سحرية وماورائية كثيرة، ونفس الوجوه المتعددة والمناهج المختلفة لهـذه التعـاليم بقيت كما هي. لكن مع ذلك، فهذا التاريخ الحافل والطويل لا يعترف العلم المنهجي بوجوده، حتى أن العلم لا يعترف أصلاً بوجود قدرات إنسانية خارقة.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا التاريخ مؤلف من عوامل انتقائية ومتنوعة. فتتـراوح من مناهج إرشادية وطرق محددة تم اسـتقاءها مـن الـصوفيات والروحانيـات والسحريات الغربية والشرقية. البعض الآخر تم استقائه من مـصادر ماورائيـة مّستلهمة، وهناك دراسات تنشّط الإبداع والتطوير الذاتي، وهناك مفاهيم تم وضعها من قبل معلمين إزوتيريين (غورو guru)، وهناك تعاليم سحرية متعددة المذاهب، كالقبلانية مثلاً.. وهكذا. أجزاء كبيرة من هذا التاريخ الحافل هي معقّدة جداً، بينما الأجزاء الأخرى تحتوي على سخافات تم المبالغة في تبسيطها.

وبالإضافة، كافة هذه التعاليم مزخرفة بعوامل جذب وإغـراء مفعمـة بالافتتـان والرجاء ووسائل تسويق باهرة وتوحي بتوقعات نجـاح عاليـة. هـذه العوامـل التسويقية كثيرة ومتنوعة بشكل معقّد لدرجة أنه يستحيل تحديدها وكشفها ومن ثـم تفنيدها واحدة واحدة.

لكن يمكننا القول بكل ثقة أن عدد التعاليم الإرشادية التي بـرزت علـى الـساحة يساوي عدد تلك التي تلاشت واندثرت دون أن تترك أي نتيجة عملية ملموسة في تفعيل القدرات الخارقة. أي أن كل هذا العدد من الجهود الهادفـة لتجـسيد نتـائج إيجابية لم تخلف وراءها سوى الإحباط وخيبة الأمل مما زاد من اسـتبعاد حقيقـة وجود هكذا قدرات أصلاً.

التفسير الأوّل والأكثر منطقية لهذه النسبة الكبيرة من الفشل هو أن "..العيب يكمن في التعاليم.."، وهذا قد يمثّل السبب دون شكّ في أغلب الحالات، لكن إذا حاولنـا النظر للأمر من زاوية أخرى أكثر شمولاً سوف نكتشف حقيقـة غريبـة تتمثّـل

بالارتفاع المريب في نسبة الفشل التي تستعرضها كل تلك التعاليم والإرشادات، ونطرح السؤال البديهي: لماذا هذه التعاليم تفشل في مساعدة المريدين على استنهاض قدراتهم الكامنة؟!

هناك حكمة قديمة تتحدث عن نثر البذور في أرض ذات تربة غير صالحة أو غير مناسبة فتبقى قابعة هناك عاجزة عن الإنتاش والنمو. في هذه الحالة، العيب ليس في البذور بل في الأرض التي نُثرت فيها. يمكننا إسقاط هذا المثال على حالة التعاليم والإرشادات المتعلقة باستنهاض القدرات الخارقة، حيث التعاليم هنا تلعب دور البذور ويُتوقّع منها أن تسقط في أرض صالحة توفر الظروف المناسبة لنموها وإثمارها. وبالتالي، فليس من الضروري أن يكون العيب في التعاليم، بل قد يكون في الشخص المريد.

بشكل عام، معظمنا يفترض بأن مجرّد الشروع في تعلّم شيء ما، لا بدّ من أن يحصل الشخص في النهاية على نتيجة. وإن لم يحصل على نتيجة، بطريقة أو بأخرى، فسوف يفترض بأن العيب يكمن في التعاليم. لكن في الحقيقة، وجب على التعاليم أن تسقط وتتفاعل مع ما سقطت عليه (كما حالة البذور)، وإن لم تتفاعل مع من تلقاها فسوف لن يحصل شيء. إذا لم تحصل أي نتيجة، فهذا يعني أن الأرضية التي سقطت عليها التعاليم غير صالحة أو غير مستعدة للتفاعل معها.

إحدى السمات الشائعة في المفاهيم الغربية المتعلقة بالعقل، والتي كشفت عنها الأبحاث والتجارب، هي أن العقل يتقبّل أي شيء يُقدم له على شكل نوع من "التعلّم بالتكرار" rote-learning (أي الحفظ عن ظهر قلب دون ضرورة لأن يفهم الفرد شيئاً)، وهي طريقة سهلة يمكن أن تتخذ شكل الـ"الخطوة خطوة" أو بنود متتالية.

في الحقيقة، ليس هناك شكّ بأن هذه الوسيلة المنهجية في التعليم أثبتت جدواها في مجالات كثيرة (وهي متبعة اليوم في المدارسة والمؤسسات التعليمية بشكل عام). لكن من ناحية أخرى، وبما يخصّ موضوعنا، فهي تشبه عملية تلوين لوحة فنيّة

مرقّمة (أي الصورة موجودة مسبقاً وينقصها التلوين)، وهـذه العمليـة لا تـساعد التلميذ على احتراف مهنة الرسم ولا تستنهض فيه الإبداع الفني الخـلاق الكـامن بداخله. هناك فرق بين عملية "تلوين لوحة فنيّة موجودة مـسبقاً" وعمليـة "رسـم وتلوين صورة فنية معبرة نابعة من خيال الفنان".

في أي حالة من الحالات، "الأرضية العقلية" التي يُتوقع منها تقبّل التعاليم المنثورة عليها تُمثّل سمة مخفية خلف أنواع كثيرة من التعاليم والإرشادات، وغالباً ما تكمن وراء قدرة الاستيعاب لدى التلميذ أيضاً. من المؤكّد أن هذا الأمر لا يجعل اللـوم يقع بالضرورة على "الأرضية العقلية" لهذا الشخص أو ذاك، بل ذكـرت الفكـرة السابقة لكي أوضّح حالة قائمة بخصوص عملية تفعيل القوى الخارقة والتي بقيـت مهملة دون أن تخضع للبحث أو الاهتمام بالمقارنة مع مدى أهميتها. وفي الحقيقـة فإن هذه الحالة ليست نادرة لكي تتعرض لهذا الإهمال المريب. وبالفعـل، فهنـاك مجالات كثيرة تتعلّق بعملية تفعيل القدرات الكامنة تتطلّب بـنفس الوقـت عمليـة تحضير مكثّف للعقل من أجل استيعابها والتفاعل معها، وبعدها فقط تبدأ القـدرات بالتفعيل والتجسّد.

إذا استوعبنا ما سبق بشكل سهل وبسيط، لا بد أن يبرز عندنا السؤال التلقائي حول ما يمكن أن يتألف منه العقل المحضّر مـسبقاً لتقبّـل واسـتيعاب هـذه التعـاليم والإرشادات الهادفة لاستنهاض القدرات الخارقة. وللإجابة علـى هـذا الـسؤال الكبير، فالأمر ليس بهذه البساطة التي يمكن توفيرها هنا بسهولة أو علـى شـكل خطوة خطوة. لكن من السهل جداً توفير الجواب على كيفية جعـل العقـل "غيـر محضّر" لتقبّل أو استيعاب هذا الأمر بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى، أو جعلـه "غير محضّر" لاستيعاب أي شيء إطلاقاً.

في هذه العملية الأخيرة، كل ما يحتاجه الأمر هو إيجاد طريقـة مجديـة لإربـاك العقل، أو قولبته بحيث يعمل بمعدّل أدنى من الطبيعي، وهذا ما يفعله بالذات عندما يتعلّق الأمر بعنصرين اجتماعيين قائمين منذ الزمن الأوّل، يُشار إليهما بشكل عام

بـ"النموذج الاجتماعي العام" social norms و"الذكاء المتوسّط" average intelligence. هنا نستطيع العثور على دليل رئيسي يساعدنا في حل الكثير من الألغاز خلال بحثنا في مسألة تحضير العقل لاستنهاض والتفاعل مع القدرات الخارقة.

يُقصد بـ"النموذج الاجتماعي العام" بأنه مجموعة من المعايير والنُظم والقوانين المفروضة على أفراد المجتمع (عادات، تقاليد، محرمات، مسلّمات معتقدات.. إلى آخره). أما "الذكاء المتوسّط" فيقصد منه "جودة متدنية في العقلية والتفكير" ويسهل توضيح الفكرة من خلال الأطروحة التالية: إذا كنت مسيطراً على مجتمع معيّن (بطريقة أو بأخرى) لا أعتقد بأنك ستفضّل مجتمع يتمتع بالحيوية الذهنية والنشاط الفكري العالي (وهي سمات لا تخلق سوى أرواح متمرّدة) على مجتمع من الخرفان الخانعة والمطيعة (أذهان بليدة ومعنويات منخفضة). ومن أجل توفير الشروط المناسبة لخلق مجتمع من النوع الأخير، وجب اتخاذ إجراءات معيّنة. من بين العوامل التي استُهدفت خلال اتخاذ هذه الإجراءات المعيّنة نجد تلك التي توفّر للعقل الشروط المناسبة لاستنهاض القدرات العقلية الخارقة.

خلال تفحّص هذا الدليل، من المهم الاعتراف بأن المفاهيم المتعلقة بـ"النموذج الاجتماعي" و"الذكاء المتوسّط" تُعتبر عناصر مهمة جداً في ما يتعلّق بتماسك وبقاء البنية الاجتماعية، حيث أن هذان العنصران يلعبان دوراً مهماً في إيجاد الشريحة الاجتماعية البائسة التي يعتمد عليها استقرار البنية الاجتماعية وانضباطها تحت سيطرة مجموعة من النخبة المحلية (ومن ثم النخبة العالمية بالتسلسل).

لكن، وكما فعل بعض علماء الاجتماع، يمكن استعراض حقيقة أن عنصري "النموذج الاجتماعي" و"الذكاء المتوسّط" اعتُمد في تأسيسهما على "صور صغرى" للواقع، أو بعبارة أخرى: "حقائق صغرى" (معتقدات تحكم العقول وتمثّل نظرة ضيّقة للوجود).

لكي أوضّح الفكرة الرئيسية بشكل جيّد: كافة شعوب الأرض مؤلفة من مجتمعــات مختلفة (حظائر اجتماعية متنوعة) وكل مجتمع مــن هــذه المجتمعــات يخــضع لــ"نموذج اجتماعي" معيّن ويتصف أفراده بــ"ذكاء متوسّط"، وبنفس الوقت، كــل من هذه المجتمعات المختلفة يعتنق عقيدة معيّنة تنظر للوجود من زاوية مختلفة عن الآخر، أي أنه يكوّن صورة صغرى عن الواقع وليس صورة شاملة لكل الواقــع. (الهندوسي ينظر للوجود من حوله بطريقة تختلف عن المسيحي أو المسلم مــثلاً. ومن ناحية أخرى، العلماني ينظر إلى الوجود من حوله بطريقــة تختلــف عــن المتديّن،.. وهكذا. كل من هؤلاء كوّن لنفسه واقعاً خاصاً به وبالتالي فمن المنطقي الاستنتاج بأن هذه الوقائع المختلفة التي كوّنها كل منهم تمثّل "صور صــغرى" ولا تمثّل الواقع بشموليته أو "الصورة الكبرى" للوجود.

طبعاً، كلنا دون استثناء نتعامل مع الواقع ونتفاعل معه وفق الــصور الــصُغرى وبالاعتماد عليها (حسب منطق المجتمع الذي ننتمي إليه). هذه الصور الــصغرى مغروسة في وجداننا بعمق وما من عيب في الاعتراف بذلك. لكن الأمر المهم هو أن هذه "الصور الصُغرى" قد تم هندستها اجتماعياً، عن سابق تــدبير وتخطــيط، وهذه هي الحقيقة الأليمة، حيث تشكّلت بطريقة تجعلها تستبعد، أو حتى تحرّم، أي تواصل مع "الصورة الكبرى" أو "الواقع الأشمل"، خاصة بمــا يتعلّــق بالطبيعــة الأصيلة للإنسان.

الدليل الرئيسي المُشار إليه سابقاً يتمحور حول فكرة أنه إذا كانت القدرات الخارقة تنتمي إلى مقام "الصورة الكبرى"، فبالتالي تلعب "الصور الصغرى" دور الحواجز المعوّقة لتفعيلها في الفرد. وإذا كانت هكذا الحال، فبالنسبة للعقــول التــي نــشأت ضمن حدود "الصور الصغرى" ***الأمر يتطلّب إدخال عناصر من سياق "الــصورة الكبرى" من أجل توفير تربة مناسبة لنمو "البذور" (التعاليم) التــي تــساهم فــي تفعيل القدرات الخارقة*** لدى الفرد.

كل ما سبق قد يبدو مبالغة خارج عن سياق الموضوع الرئيسي، لكن المثال التالي يثبت مدى أهمية هذه النقطة ويساعدنا على استيعاب جوهر الفكرة بشكل جيّد. إحدى الهفوات التي طالما عانت منها الباراسيكولوجيا على المدى البعيد هي أن "الإدراك المتجاوز للحواس" ESP والتخاطر وغيرها من الظواهر التي تخضعها لأبحاثها، تفشل في أحيان كثير بالتجسّد في المختبرات مهما حاولوا جاهدين لتوفير الظروف المناسبة لظهورها. لكن مع ذلك، فهذه الظواهر الخارقة لا تتردد في التجسّد بشكل تلقائي خلال مواقف حقيقية للأفراد في حياتهم اليومية الطبيعية.

فالمختبرات تمثّل حالات "صور صغرى"، بينما الحالات التي يمرّ بها الأفراد في الحياة اليومية تحوز دائماً على مضامين تنتمي للصورة الكبرى. القصد من هذا الطرح هو أن العالِم الباراسيكولوجي قد يكون ملماً بالكثير عن الوسائل العلمية المُتبعة في المختبرات خلال البحث في الظواهر الخارقة، لكنه بنفس الوقت يجهل الكثير عن ظواهر الطبيعة المتجسّدة في الحياة اليومية الحقيقية (كمعرفة التأثيرات الفلكية والطاقات الخفية الأخرى التي تحفّز هذه الظواهر الاستثنائية في الأشخاص). لذلك، فإن التفاعل مع الظواهر المتجسدة في الحياة اليومية خارج جدران المختبرات قد يساهم بشكل فعال في تحفيز العقل على تفعيل القدرات الكامنة.

بالنسبة للفوارق بين سيناريوهات الصور الصغرى والكبرى، من الواضح أن هناك الكثير من الطبقات الفاصلة بينها. لذلك، هناك الكثير من التعقيدات التي ستطرأ خلال مناقشتها. لكن بشكل عام، يمكن بشكل أوّلي اعتبار ***عناصر "الصورة الكبرى" بأنها تمثّل كل ما يمكنه الإشارة إلى العوامل والسمات المشتركة التي تتمتع بها الفصيلة البشرية ككلّ. بينما حالات "الصور الصغرى" تمثّل ما هو محلّي (غير معمّم على مستوى الفصيلة البشرية) حيث هي سمات مقتصرة على مجموعات بشرية محددة*** وبالتالي تمثّل أجزاء مجزّئة من الفصيلة البشرية ككلّ، أي أنها صور جزئية للصورة الكبرى.

أعتقد أنه من خلال الاطلاع على ما سبق، بالإضافة إلى ما سيأتي لاحقاً، أصبح يمكننا الجزم بحقيقة أن ***القدرات الخارقة للعقل الحيوي البشري تمثّل سمة معممة على كامل الفصيلة البشرية***. وهذه الحقيقة مدعومة بعدد لا متناهي من الدلائل الثابتة التي تكشف عن تجسيد الظواهر الخارقة بشكل تلقائي في كافة الحضارات والأعراق البشرية، وعبر العصور التاريخية الطويلة، وبين كافة الأجيال. وبالتالي، فالملكات الذهنية المسؤولة عن القدرات الخارقة تتجاوز كل ما سبق من عوامل (عبر التاريخ وكلّ البشر)، مما يجعلنا نستنتج ونجزم بأنها ***لا تستطيع التجسّد في كل هذه الحالات المذكورة إن لم تكن داخلة في الموروثات الأساسية لفصيلتنا البشرية والتي تشمل كل البشر***.

هناك طبعاً الكثير من الأفكار حول القدرات الخارقة والتي تشكّلت ونشأت لدى مجتمعات وثقافات مختلفة حيث تم وضع مناهج تدريبية خاصة لاستنهاضها، لكن هذه حالات محدودة بالمقارنة مع الثقافات الأخرى حول العالم. الأمر الذي يجعلنا نجزم بحقيقة أن هذه القدرات الخارقة تمثّل سمات أساسية لفصيلتنا البشرية ككلّ هو أنها تتجسّد تلقائياً في كافة المجتمعات وكافة الثقافات، وحتى في المجتمعات التي تقمع هذه الظواهر أو تستبعد وجودها أصلاً.

إذا كان الكلام السابق صحيحاً، هذا يعني أن ***إخضاع الأرضية العقلية للفرد لأفكار ومعتقدات وخرافات محلية قد لا يخدم العملية كثيراً بخصوص استنهاض القوى الكامنة لديه***. سوف ينتهي به الأمر غائصاً في متاهات الخرافات والمعتقدات المحلية المعقدة فيبتعد كل البعد عن هدفه الأساسي والمتمثّل باستنهاض القدرة الكامنة التي يبتغيها. ففي هذه الحالة، تكون آلية تفعيل القدرة الكامنة التي ينشدها متشابكة مع الأفكار والمعتقدات المحلية مما يجعله عاجزاً عن التمييز بينها فيخطئ في التصويب نحو هدفه المنشود.

طبعاً أنا لا أقصد هنا انتقاد الصور الصغرى (التي تكونها التقاليد والمعتقدات الاجتماعية المحلية والتي لها دور إيجابي كبير في المجتمع) بل أهدف إلى توضيح

المسألة من زاوية تفعيل القدرات الخارقة، حيث من المهم معرفة ***أن محاولة فهم واستيعاب القدرات الخارقة انطلاقاً من مفاهيم تستند على صورة الصغرى قد لا تساعد كثيراً في تحضير العقل للاندماج ومن ثم التفاعل مع القوى الخارقة والتي تستند بدورها على منظور أوسع ينتمي للصورة الكبرى لكي تتجلى بأبهى حلتها***.

الحل الوحيد هنا هو محاولة التعرّف على، ومن ثم تقييم، العناصر المنتمية للصورة الكبرى، وإلا فالعقل المُحضّر للتفاعل فقط مع الصور الصغرى لا يستطيع التأثير على المحفزات والمكونات المطلوبة لإجراء تحولات ديناميكية من وظائف متعلقة بصور صغرى إلى تلك المندمجة مع الصورة كبرى.

انتهى الجزء الأول

الجــزء الثانـي

فصيلتنا العجيبة من منظور الصورة الكبرى

العامل المشترك بين "جمعية الأبحاث الروحية" و"الباراسيكولوجيا"، رغم الفارق الكبير في نظرتهما ومفاهيمهما المتناولة للقدرات الإنسانية الخارقة، هو أن الباحثين العاملين ضمن هذين الكيانين العلميين لا يظهرون أي اهتمام بشخصيات الوسطاء الموهوبين الذين يخضعونهم لاختباراتهم وأبحاثهم، حيث الاهتمام الأوّل كان ولا زال منصباً على الظواهر الخارقة وليس الأشخاص الذين يجسدونها.

أما الذريعة الرئيسية لهذا الإهمال فهي أن هؤلاء الوسطاء الموهوبين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم بشكل جيّد خلال وصف نظرتهم الخاصة للحياة، وبالتالي يستحيل فهم الأمور التي يتكلمون عنها. لكن أليس من واجب الباحث أن يخترق حاجز الألفاظ والتعبيرات السطحية وغير المجدية محاولاً الوصول إلى الشخص الحقيقي القابع خلفها؟

على أية حال، مهما ادعى الباحثون في مجال الخوارق بأن شخصيات الوسطاء تختلف بشكل كبير بين الفرد والآخر وبالتالي ما من جدوى لصنع مسألة من هذا الموضوع، إلا أن هناك عامل واحد مشترك بين كافة هؤلاء الموهوبين وجب تسليط الضوء عليه، ومجرّد أن تم تحديده سوف لن نواجه مشكلة بعدها في التعرّف عليها.

جميعهم يستعرضون نظرة واسعة وشاملة للأشياء، وكل منهم على طريقته الخاصة طبعاً، لكن هذا لا يمنع أن "العامل المشترك" هذا حاضر في كل فرد منهم وبالتالي يستحق أن يصنفهم في مجموعة منفصلة قائمة بذاتها.

الأمر المهم هنا هو أن هذه النظرة الواسعة والشاملة للحياة قد تكون مرتبطة بطريقة أو بأخرى بآلية تفعيل قدراتهم الاستثنائية، وبالإضافة إلى ذلك، قد تساهم أيضاً في فهم السبب الذي يجعلهم منعزلين، بطريقة ما، عن مظاهر كثيرة من العالم المحيط بهم. وقد تبيّن فيما بعد أن التدقيق في هذا المظهر "الانعزالي" سهّل الأمور كثيراً بدلاً من تعقيدها، حيث تم ربطها بعدد من المصادر البحثية المحترمة التي تتناول حالة "الانعزال الاجتماعي" social alienation التي تتصف بها نوعية معيّنة من الأشخاص.

أحد هذه المصادر، والذي يُعتبر أفضلها على الإطلاق، هو الكتاب الرائع لـــ"كولن ولسون" Colin Wilson الذي يحمل عنوان "اللامنتمي" THE OUTSIDER (١٩٥٦م). في هذا الكتاب (الذي لا يضاهى من حيث التعبير الأنيق والتفصيل الممتاز)، أجرى "ولسون" تشريح عام للشخص "اللامنتمي".

لكنه يفعل ذلك ليس فقط من وجهة النظر القائلة بأن "اللامنتمي" يمثّل الفكرة التقليدية التي تتناول الشخص "الغير منسجم مع محيطه" misfit، بل تجاوز ذلك ليتناول ما يعجز "اللامنتمي" عن، أو لا يرغب في، الانسجام معه.

إذا أردنا ترجمة فكرة "ولسون" بطريقة تناسب ما نتناوله هنا، يمكننا القول أن المسألة الرئيسية التي يعاني منها "اللامنتمي" هي أن نظرته العامة تجاه الأشياء هي أكبر من الصور الاجتماعية الصُغرى التي فُرض عليه الانسجام معها.

قدّر "ولسون"، بدرجة كبيرة من الدقّة، بأن معظم البيئات الاجتماعية لا تحتوي على أشياء كثيرة تناسب العناصر الحالمة. وصف هذا النقص في العناصر الحالمة بأنه تم ترسيخه أصلاً بفعل إحجام المنطق الاجتماعي السائد عن التعامل مع عوامل يمكنها أن تزعج التوازنات الاجتماعية التقليدية. و"الحالمين" visionaries الذين تناولهم "ولسون" يعجزون عن، أو لا يرغبون في، الانسجام مع هذه التقاليد السائدة، وبالتالي صُنفوا بمنزلة "اللامنتمي".

كان كتاب "ولسون" أحد الأوائل التي سلّطت الضوء، ليس على ما نسميه "عدم التوافق النفسي" للحالمين فحسب، بل أيضاً على التأثير السلبي لهذا "الانعدام في التوافق النفسي" في المجتمعات البشرية ودوره في الحدّ من بروز العديد من النشاطات الكامنة في الفرد.

بالرغم من أن "ولسون" لم يستخدم مفاهيم تتعلّق بـــ"الصورة الصغرى" و"الصورة الكبرى"، لكن من الواضح أنها تتطابق مع مفهومي "الحالمين" و"غير الحالمين" التي استخدمهما في كتابه. وبالإضافة إلى ذلك، رغم أن الخصائص المتعلقة بمفهوم كل من "الحالم" و"الوسيط الروحي" قد لا تكون متطابقة، لكن يمكن استخدامهما في نفس السياق دون أن تتشوّه الفكرة. والسبب هو أن كلا الشخصين "الحالم" visionary و"الوسيط الروحي" psychic يعانيان من نفس المسائل المتعلقة بالصور الصغرى والصور الكبرى.

إذاً، تم هنا الكشف عن تشويشات خفية تتعلّق بكل من:
[١] ماذا ينسجم أو لا ينسجم مع ماذا، و[٢] الفوارق بين الصور الكبرى والصور الصغرى، وما يترتب عنهما من تناقضات.

لقد تم الكشف مؤخراً عن خلل كبير في المفاهيم العصرية المتعلّقة بالظواهر الروحية Psi. الكثير من علماء البراسيكولوجيا أدركوا بأن التطوّر العصري لمفاهيم الظواهر الروحية أو القدرات الخارقة أو غيرها..، أدى إلى تصنيفها أو تقسيمها إلى خانات ضيّقة جداً لدرجة أنها عزلتها عن سياق المجريات الواقعية للحياة الطبيعية.

يمكننا ترجمة هذه الحالة بطريقة أخرى، إذ كأننا نقول بأن عملية التصنيف هذه أدّت إلى صناعة صور صغرى ــ وهي في الحقيقة صور صغيرة جداً، لدرجة أن نسبة الفشل الذي أظهرته في استنهاض القدرات الكامنة أصبح يزداد وضوحها مع الوقت.

على أية حال، بعد ذكر كل ما سبق، يمكننا استنباط فكرة رئيسية هنا: إذا حاول أحدهم أن يستخدم منظومة "صورة صغرى" في منهج تدريبي يهدف إلى تطوير شيء يحتاج أصلاً إلى منظومة "صورة كبرى"، بإمكاننا أن ندعو له بالتوفيق لكن التنبؤ بالنتيجة مسبقاً هو.. الفشل الذريع.

من أجل توضيح الفكرة بشكل جيّد سوف أذكر مثال بسيط له صلة بموضوعنا. في الثقافة الغربية، تم التعامل مع عوامل "القدرات الخارقة" على أنها مجرّد "قدرات عقلية لأشخاص موهوبين". وبالتالي، كافة المحاولات في تصميم مناهج تدريبية لاستنهاض أو تفعيل هذه "القدرات العقلية" لم تنجح كثيراً، أو لم تنجح إطلاقاً.

بما أن هذه الجهود لاقت نسبة كبيرة من الفشل، فليس هناك مانع لجعلنا نجزم بأن عوامل "الظواهر الخارقة" هي ليست مجرّد "قدرات عقلية" mental abilities، بل هي في الحقيقة "وظائف أنظمة تتعلّق بمديولات خاصة للوعي" systems functions regarding modules of awareness.

إذا كان الأمر كذلك، فالحالة إذاً لها علاقة بعملية "تحديد ومن ثم تفعيل مديول الوعي المناسب". (القصد هنا من كلمة "مديول" module هو منظومة فرعية أو فرع خاص للوعي. وهذه الفكرة تستند على حقيقة أنه مجرّد ما تعرّف الشخص على حقائق جديدة كان يجهلها سابقاً عن نفسه أو العالم من حوله، يحصل تغيير في وعيه، وهذا ما نسميه "صحوة"، وهذا بالتالي يؤدّي إلى حصول تغييرات في الأداء الوظيفي لمنظومته العقلية/البيولوجية. الهدف إذاً من التدريب على استنهاض القوى الخارقة يتعلّق بتعريف الفرد على حقائق محددة تساهم في تكوين "وعي" خاص [صحوة] يعمل تلقائياً على توفير العناصر المناسبة لاستنهاض تلك القوى).

من المؤكّد أن القدرات العقلية لا تستطيع صنع نتائج تصدر من "الوعي" أصلاً بينما هذه الأخيرة ليس لها وجود أو اعتبار بين المفاهيم التي يستخدمها منهج "القدرات العقلية" التقليدي الذي وصفته سابقاً.

يمكن وضع الفكرة في سياق آخر. طبعاً القدرات العقلية هي رائعة، لكن الأمر الواضح هو أن هذه القدرات وكذلك منتوجاتها تستند أساساً على نماذج وعي خاصة. ففي النهاية، القدرات العقلية لا تستطيع إنتاج سوى ما سمحت به نماذج الوعي التي تم تفعيلها. بينما نماذج الوعي التي لم يتم تفعيلها، أو تعرّضت للقمع أو الإخماد بطريقة ما، لا تستطيع المساهمة بأي شيء على الإطلاق.

إن كل ما تم مناقشته في الفقرات السابقة يهدف إلى المساعدة في بناء صورة كبرى بخصوص القدرات الخارقة، وهي الصورة التي وجب ترسيخها في المقام الأوّل قبل اتخاذ أي خطوة في المنهج التدريبي الهادف لاستنهاضها. هذا طبعاً إذا كان مصمّم المنهج التدريبي صادقاً في سعيه للخروج بنتائج ناجحة.

بالعودة إلى موضوع "الوسطاء الطبيعيين"، سبق وأشرنا إلى أنهم يميلون إلى رؤية الأمور من منظور أوسع وأكثر شمولاً. وهذا بالذات ما وجدوا صعوبة في التعبير عنه، خاصة وأنه كان عليهم فعل ذلك من خلال الالتزام بقيود المفاهيم والمصطلحات اللغوية التابعة لمجال البراسيكولوجيا وغيرها من كيانات علمية تبحث في القدرات الخارقة والماورائيات بشكل عام. وفي الحقيقة، حتى هذه اللحظة، ليس هناك باحث واحد طلب من أحد الوسطاء أن يكتب معبراً عن نظرته الخاصة للحياة.

هناك مظهر مثير للاهتمام في هذه النظرة الخاصة للوسيط الروحي. معظم الوسطاء عبروا عن شعورهم بأن ملكات القدرات الخارقة موجودة عند كل فرد، لكنها لم تتطوّر لدرجة التفعيل سوى عند البعض فقط.

هذا ليس استعراض لمدى ديمقراطيتهم أو غيرها من أمور لها علاقة بالمجاملة، بل إنهم يشعرون أو يتحسّسون هذه الحالة في كل من يقابلونهم. إن قناعاتهم في هذا السياق تبرز من منظورهم الواسع للعالم، وليس من قناعات فكرية مزروعة بفعل التلقين الاجتماعي ضيّق الأفق.

عندما قالوا "كل فرد" لم يقصدوا بذلك مجموعة بشرية أو نسبة كبيرة من البشر، بل كانوا يقصدون فصيلتنا البشرية بالكامل. وبالتالي، بما أن كل فرد يحوز على هذه الملكات، إما خامدة أو مُفعّلة، فهذا يعني أنها كامنة فطرياً على مستوى فصيلتنا ككلّ.

وهكذا فإنه في المقام الأكبر لفصيلتنا نستطيع إيجاد الجهاز الشمال المسؤول عن ملكات القدرات الخارقة بصورتها الكبرى، وليس على مستوى مذهب علمي أو روحي أو منهج تدريبي محدود الأفق يمثّل صورة صغرى.

وهنا نصل أخيراً إلى الموضوع الرئيسي في هذا القسم حيث سننظر للإنسان من منظور الصورة الكبرى، وذلك من خلال إلقاء نظرة فاحصة على فصيلتنا البشرية ككلّ.

فصيلتنا البشرية

ربما معظمنا تمتلكهم قناعة تامة بأنه تم استكشاف وفهم نسبة كبيرة مما يتعلق بفصيلتنا البشرية. لكن في الحقيقة، إن ما لم يُفهم أو يُستكشف بعد لازال يلوح في الأفق كغيمة ضبابية عملاقة مليئة بالغوامض العصية عن التفسير.

ولأسباب عديدة، يتم تقليص حجم تلك الغيمة الضبابية أو التقليل من أهميتها. وأحد تلك الأسباب تتمثّل في أن الناس لا يحبذون التفكير وفق مفاهيم ضبابية، مهما بلغت التعقيدات التي قد تصدر من ذلك الضباب والنتائج الملموسة التي تخلفها.

من أجل أن نتمكّن من اختراق هذه الضباب لمسافة قصيرة على الأقل، يمكننا تحديد ثلاثة أسباب أولية تحفّزنا على محاولتنا للقيام بذلك:
١ـ السبب الأوّل مزدوج:

(أ): هل يمكن إيجاد فهم معزّز للقدرات الخارقة (ووظائفها) ضمن سياق الصور الصغرى.
(ب): هل تنتمي القدرات الخارقة إلى سياق صورة كبرى تكون واسعة بما يكفي لتشمل كافة مظاهر وسمات الفصيلة البشرية ككلّ.

٢ــ من السهولة ملاحظة أنه لم يتم إدماج [فكرة وجود القدرات الخارقة وظواهرها] بشكل رسمي في المفاهيم والمصطلحات العصرية لفصيلتنا البشرية.

وبالفعل، نستطيع بسهولة إدراك حقيقة أن القوى المسيطرة التي تعمل على صياغة وتعديل المفاهيم العامة للشعوب (المؤسسات دينية والعلمية مثلاً) تعمل ليس على تقليل المعرفة الوظيفية للقدرات الخارقة فحسب، بل تعمل أيضاً على حرمانها حقاً شرعياً كسمة مميّزة تتمتع بها فصيلتنا البشرية.

٣ــ كما ذُكر سابقاً، المفاهيم العصرية تركّز بشكل كبير على المظاهر والسمات الفظيعة والمقزّزة والتعيسة لفصيلتنا البشرية (يمكن استنباط ذلك من خلال التعريف العلمي الرسمي للإنسان والوارد في بداية الكتاب)، وكنتيجة لذلك، يتم المبالغة في التشديد على هذه السمات حصراً مما يؤدّي إلى انتشار واسع لفهم خاطئ ومشوّه عن ما تتمتع به فصيلتنا البشرية في حقيقة الأمر.

صحيح أن بعض الأدبيات تشير إلى السمات الراقية المذهلة لفصيلتنا البشرية لكن بطريقة مثالية (أسطورية) فحسب، إلا أن محاولة تعزيزها على أرض الواقع يبقى نادر الوجود في تلك الأدبيات. السبب الواضح للتساهل مع الجانب "المثالي" هو أن هذه العملية مقبولة طالما أنها لا تستند بشكل كامل أو فعّال على الإجراءات الحقيقية التي تتطلّب استنهاضها عبر تفعيل وظائفها الفعلية.

بعد اعتبار الكلام السابق، أصبح بإمكاننا معرفة السبب وراء حقيقة أن كافة الجهود المبذولة لوصف فصيلتنا البشرية كانت ولازالت تنطلق من مفاهيم ضيّقة متوافقة

مع ما هو مألوف ومعروف. والذي هو مألوف ومعروف بخصوص طبيعة الإنسان وقدراته الحقيقية هو ضئيل جداً مما ترك الجانب الأكبر، وهو الأهم، مجهولاً تماماً.

وبطبيعة الحال، إذا أردنا تعريف أو تحديد الجانب غير المفهوم من فصيلتنا البشرية، فسوف يحتلّ مساحة كبيرة جداً بالمقارنة مع ما نعرفه ونألفه. وبالتالي ما هو معروف يمثّل مفاهيم ضيّقة لا يمكن أن ترقى إلى المستوى الحقيقي لطبيعة الإنسان الاستثنائية.

يمكن استيعاب الفكرة السابقة، ومن زوايا مختلفة، بعد اعتبار ما يلي:

أحد العوامل الفريدة لفصيلتنا البشرية هو أنها تحوز على قدرات "عقلية" intelligence و"ذهنية" mental كافية لأن تقوم باجتهادات، ليس فقط للتعبير عن نفسها، بل للتعبير عن، وتفسير الوجود من حولها أيضاً.

ربما يعجز الكثيرون عن استيعاب عظمة هذا العامل الفريد الذي تتمتع به الفصيلة البشرية، خاصة إذا كان إدراكهم العام محصور ضمن مستويات دنيا حيث لا يوجد تقدير حقيقي لمعنى الفكرة السابقة.

حسبما عرفناه عن الكائنات الأرضية الأخرى، يبدو أن فصيلتنا هي الوحيدة التي تحوز على هذه الميزة الاستثنائية، وهي تحوزها على مستوى الفصيلة بالكامل (كافة الأعراق البشرية).

وبالإضافة، فصيلتنا هي الوحيدة التي شيّدت صروح تنظيمية اجتماعية وثقافية وعمرانية مذهلة بالمقارنة مع الفصائل الأرضية الأخرى.

هذا العامل الفريد أيضاً يمثّل حقيقة أكثر إذهالاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة التالية: صحيح أن أصولنا الحقيقية وسبب وجودنا غير مفهومة بعد، لكن فصيلتنا البشرية شرعت إلى اختراع أو تخيّل سيناريوهات تشرح هذه الألغاز، وقبل بها الكائن البشري كحقائق ثابتة.

هذه السيناريوهات المُبتكرة بشرياً والتي تفسّر سبب وطبيعة وجودنا هي عديدة ومتنوعة، وبالتالي، كل مجموعة بشرية تتخذ أحد هذه السيناريوهات وتؤمن به على أنه يمثّل الحقيقة. وبالتالي، بما أن السيناريوهات مختلفة ومتنوعة وتمثّل مجموعات بشرية محددة وليس كامل الفصيلة البشرية، فهذا يعني أن تلك السيناريوهات هي مجرّد صور صُغرى مجزّأة ولا ترقى لمستوى الصورة الكبرى التي من المفروض أن تشمل كامل الفصيلة البشرية.

كافة السيناريوهات المُبتكرة بشرياً، والمتعلقة بالطبيعة الحقيقية لفصيلتنا، تركّز دائماً على الجانب الجسدي (المادي) للكائن البشري، مهما تمادت في مزاعمها وادعاءاتها الروحانية غير الدنيوية.

ليس هناك أدنى شكّ بأن الأجساد البيولوجية البشرية تمثّل إنجاز هندسي بيولوجي مذهل وعجيب، إن كان هذا الإنجاز طبيعي، ناتج من عامل الصدفة، اصطناعي، إلهي..أو غيرها من "سيناريوهات نشوء" تأخذ بها المذاهب العلمية والفكرية المختلفة.

لكن بالإضافة إلى الجانب الجسدي، هناك الجانب المذهل الآخر الذي نادراً ما يتم مناقشته أو تعريفه أو استكشافه، مع أنه يحوز على إجابات كثيرة بخصوص الأصول الحقيقية للكائن البشري (وبنفس الوقت، يدحض بكل السيناريوهات الضيّقة المُبتكرة بشرياً). هذا الجانب يكشف عن حقيقة مذهلة أخرى يمكن تلخيصها بما يلي:

إن فصيلتنا البشرية مجهّزة بعناصر واستعدادات وقدرات تتجاوز، بأشواط عديدة، ما تتطلّبه عملية البقاء على كوكب الأرض!

أي بمعنى آخر، ومن الناحية الاستراتيجية، إن التجهيزات التي مُنحت لفصيلتنا البشرية تتجاوز حدود الهدف البدائي الذي نسميه "الصراع للبقاء" survival. وهذه السمة وحدها ترفع بفصيلتنا إلى مستويات أرقى بكثير من الكائنات الأرضية الأخرى والتي يبدو واضحاً أنها مُصممة لمهمات بدائية لا تتجاوز حدود "الصراع للبقاء".

هذا العامل وحده يثبت حقيقة وجود مسافة شاسعة جداً بين فصيلتنا وباقي الفصائل الأرضية الأخرى. وهذا يمهّد الطريق لبروز السؤال الكبير حول الأصول الحقيقية للفصيلة البشرية.

طبعاً، وكما ذكرت سابقاً، فقد تم توفير الكثير من التفسيرات (السيناريوهات المُبتكرة بشرياً) التي تجيب على هذا السؤال الكبير، لكن جميعها تعبّر عن صور صُغرى ولا ترقى إلى مستوى صورة واحدة كُبرى، ويبدو أن جميعها تجاهلت حقيقة مهمة جداً وهي وجود مسافة هائلة بين فصيلتنا والفصائل الأخرى.

وتوضيحاً للفكرة السابقة، يمكن القول بأن كافة الجهود المبذولة لفهم واستيعاب فصيلتنا البشرية ركّزت على تشابهنا مع الفصائل الأخرى، وليس على الاختلافات الكبيرة التي تفصلنا عنها.

وكإثبات على حوزتنا لقدرات وخواص تتجاوز حدود مهمة "البقاء"، هو أن فصيلتنا البشرية تملك الكثير من القدرات الاستثنائية الكامنة التي لا تُستخدم إطلاقاً. لكنها مع ذلك تقبع في جوهر الكائن البشري جيلاً بعد جيل، إلى أن تشاء الأقدار لأحد هذه القدرات الاستثنائية أن تبرز تلقائياً لدى أحد الأفراد بطريقة غير متوقعة أو

محسوبة، وغالباً ما يكون تجاوباً لظرف معيّن فُرض عليه. حينها فقط يعلم الإنسان بأنه أكثر مما هو عليه بكثير.

هذه القدرات البشرية الاستثنائية ليست فقط مجهولة (بحيث لا تُدرك سوى بعد ظهورها تلقائياً وبالصدفة)، بل هناك الكثير من الثقافات الاجتماعية (المُبتكرة بشرياً) التي تشرع إلى وضع مثبطات لمنع ظهورها، واعتبارها من المظاهر غير المرغوبة اجتماعياً، وإجراءات أخرى تشجّع على قمعها ومحاولة إلغاء استخدامها في الحياة اليومية للبشر.

إحدى الأفكار الشائعة التي يمكن ذكرها لمساعدتنا على فهم الفكرة السابقة تقول بأن الكائن البشري لا يستخدم سوى ١٠% من قواه العقلية. وأعتقد بأن هذه ليست مجرّد فكرة نظرية بل قريبة جداً من الواقع، حيث يبدو واضحاً أن القوانين الاجتماعية التي تفرضها سلطات مختلفة (دينية، سياسية، علمية.. إلى آخره) لا تشجّع الفرد على استخدام أكثر من هذه النسبة المئوية الضئيلة من قدراته العقلية!

وهذه الحقيقة وحدها تضعنا أمام أحد أكبر الألغاز المتعلّقة بالإنسان:
ــ لماذا تحوز فصيلة معيّنة على قدرات استثنائية عديدة، لكنها لا تستخدمها؟
ــ بمعنى آخر، لماذا تم تجهيز هذه الفصيلة بكل تلك القدرات الاستثنائية إذا لم يكن مخططاً تفعيلها واستخدامها أصلاً؟

وجب الانتباه هنا إلى أن النظرة العامة لما سبق، وكذلك حدودها، صعبة التوضيح والتحديد ، لأن فصيلتنا الرائعة هذه تمتلك عدد من السمات المؤثّرة "المنتجة للصور صغرى" بحيث تعيق سبيلنا.

فمثلاً، تأمّل في الولع القائم لترسيخ العوامل الاجتماعية الثلاث: التبسيط reductionism، التماثل uniformism، والامتثال conformity. وبالإضافة، وجب التأمّل في آليات الموازنة الاجتماعية والتي لها علاقة بتشييد حدود بين

أشكال لائقة وغير لائقة فيما يتعلّق بالوعي، الصحوة، الاختبار والتفكير. كافة هذه الأشكال الزائفة طبعاً تشير إلى كيف وجب إدارة "العقل" البشري ضمن إطار هذه الصورة الصغرى أو تلك.

الفكرة السابقة كما هي تخدم بطريقة ما كمقدمة مختصرة لما يُعتبر أحد العناصر الرئيسية والمحورية لفصيلتنا البشرية. هذا العنصر المحوري يتعلّق بحقيقة غامضة بعض الشيء والقائلة بأن فصيلتنا الموهوبة بسخاء تعيش فقط على الجانب الأرضي من الوجود (الجانب الدنيوي). لكنها في الحقيقة تعيش بشكل أساسي ودون شكّ ليس كمجرّد "كائن بولوجي" biological organism فحسب، بل تعيش بشكل مؤكّد وحاسم "كمنظومة عقلية" intelligence-system رائعة واستثنائية.

وبالفعل، إذا تم استئصال هذا المظهر العقلي من تلك الأجساد العضوية الرائعة، ليس فقط بقاء هذه الأخيرة يصبح مشكوك بأمره، بل يمكننا التساؤل عن ما سيبقى أصلاً بعد إجراء هذا الاستئصال.

وصدّق أو لا تصدّق، هناك بعض الدلالات على ما يمكن أن يبقى.. إذا ضاعفت تلك الأنظمة الاجتماعية جهودها خلال انكبابها على تفتيت وقمع "العقل" البشري.. قد يتكوّن لدينا رؤية جزئية عن ما يمكن أن يبقى.

هناك بالطبع بعض الإرباك حول أي من "المنظومة الجسدية" أو "المنظومة العقلية" تمثّل العامل الرئيسي للفصيلة البشرية. فالمنظومة الجسدية البشرية هي مذهلة دون شكّ، وصحيح أن عناصرها ومزاياها مصقولة بشكل أوضح من المنظومة العقلية البشرية. لكن الأمر الواضح أيضاً هو أن هاتين المنظومتين تندمجان مع بعضهما البعض، وهذا العامل يتمتع بنوع أساسي من الأهمية.

من ناحية ثانية، إن طبيعة الاندماج هذه لا يمكن أن تتحقق عبر المبالغة في التركيز على المنظومة الجسدية على حساب المنظومة العقلية. حتى لو توسّع التركيز على الجانب الجسدي لأقصى درجة، فسوف لن ينتج من ذلك سوى تكوين صورة جزئية، والصورة الجزئية هي بكل تأكيد أصغر من الصورة بالكامل.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك دلائل قوية تؤكّد أن الفصل بين المنظومة الجسدية والمنظومة العقلية يترك الأولى تتخبّط عشوائياً هنا وهناك وغالباً ما تكون بطريقة يائسة، محزنة، ومثيرة للاشمئزاز. وبالتالي، من الممكن افتراض أن خصائص المنظومة العقلية لفصيلتنا تشكّل عناصر أساسية فيها.

لكن هنا نواجه أوّل حالة من سلسلة مسائل رئيسية، حيث أن تاريخنا يكشف بأنه من الصعب تحديد، حتى بالمقاربة، ما تتألف منه المنظومة العقلية التابعة لعقلنا العضوي.

قبل الخوض في هذا الموضوع، من الضروري التمييز بين:
١ــ الوجود الفطري للمنظومة العقلية البشرية ذاتها
٢ــ ما يتحدّر منها من منتجات فكرية

قمنا بهذا التمييز بهدف القول بأن المنظومة العقلية البشرية هي عبارة عن ***شيء مُفكّر*** بحيث ينتج منها أشياء فكرية. وبالتالي وفق هذا المفهوم نستنتج بأن المنظومة العقلية هي أكبر مما تنتجه، مهما تمتعت هذه المنتجات الفكرية من أهمية واحترام.

هناك عامل مهم وجب ذكره بخصوص ما سبق، وهو أنه تم رسم الكثير من الخرائط للأشياء التي أنتجتها المنظومة العقلية. لكن الطبيعة الفعلية والهيئة الأساسية لهذه المنظومة العقلية بقيت غير مُستكشفة وبالتالي يتعذّر رسم خريطة لها.

بعد سيرنا بخفّة عبر المستنقعات المذكورة في الأعلى، أصبح من المهم الآن إجراء تمييز ضمن فصيلتنا حيث لم يسبق إجراءه في الماضي بهذه الدرجة من الوضوح. هذا التمييز هو دقيق وله علاقة بالفرق بين:

١ــ ما هي فصيلتنا

٢ــ مما تتألف فصيلتنا

بالرغم من أن ١ و٢ يمكن دمجهما ببعضهما بحيث يُعتبران بأنهما يمثلان ذات المعنى، لكن في الحقيقة يبقى هناك فوارق دقيقة بينهما.

كبداية، كان مفهوم فصيلتنا يُفترض في الماضي بأنه يتألف من، ويُعرّف من خلال، كل الأجسام العضوية التي يمكن أن تتناسل مع بعضها.. أو على الأقل لها إمكانية فعل ذلك إذا غابت الرغبة في فعل ذلك. أي وكأننا نقول بأن كافة الأجسام البشرية تمثّل فصيلتنا بمفهومها الشمولي.

لكن هناك فارق صغير دخل مؤخراً إلى الصورة مما أدى إلى إحداث تغيير طفيف في هذا المفهوم، وذلك نتيجة التقدم الذي شهدته العلوم الجينية genetic sciences.

وبعدها، لم تعد فصيلتنا تُعتبر مؤلفة من مجرّد أجسام بشرية فحسب، بل من حوض جيني genetic pool تنبثق منه كافة نماذج الأجسام البشرية على أنواعها المختلفة.

يمكن طرح الفكرة بطريقة أخرى. فصيلتنا تمثّل الحوض الجيني (أي "الجينوم" GENOME) لفصيلتنا، بحيث يتجسّد كل فرد انطلاقاً منها، محملاً منظومة عقلية مُعلّبة، وكذلك كامل المزايا والسمات الخاصة بصيغتها الأولية (الفطرية). يُشار إلى هذه الصيغة الأولية بـــ"النمط الجيني" GENOTYPE، الكامن في "الجينوم" (ألذي يمثّل كامل الحوض الجيني للفصيلة).

إذا أردنا وصف موضوع "الجينوم" تقنياً، نقول أن كل فرد بشري واحد يمثّل جزءاً صغيراً بالنسبة لـــ"الكلّ الجيني" الذي يشمل المليارات من الأجزاء الصغيرة.

وهذه الفكرة طبعاً سوف تجرح كبرياء الكثير من الذين لا يحبذون اعتبار أنفسهم جزءاً صغيراً من "جينوم" genome بشري كبير يشمل الجميع. وفي الحقيقة، هذه الحالة النفسية قد تفسّر السبب الذي تجعل الكثير من النماذج الفردية من أعضاء فصيلتنا نادراً ما يأبهون أو يفكرون بالإنسانية ككل. وبالفعل، يمكننا تأكيد هذه الحقيقة وبكل ثقة، حيث أن مفهوم "الإنسانية" كما هو شائع استخدامه تقليدياً كان دائماً ولا يزال يمثّل مفهوم مثالي ومجرّد أكثر من كونه ذو معنى وظيفي تطبيقي على أرض الواقع.

أحد الأسباب المفهومة لهذه الحالة هو أن العناصر البشرية التي تنحدر من هذا "الجينوم" العام لفصيلتنا ليسوا نُسخاً طبق الأصل لبعضهم البعض. كل فرد بشري يختلف عن الآخر في المظهر الخارجي، ويتدرّج هذا الاختلاف في المظهر ابتداء من درجة كبيرة إلى درجة أقل في الاختلاف.

هذه الاختلافات differences هي أكثر وضوحاً من مظاهر التشابه sameness، حيث أن التشابهات (على امتدادها) هي محجوبة خلف قشرة الاختلافات.

على مدى التاريخ البشري المكتوب، عدد قليل من المراقبين الأذكياء فقط لاحظوا أن "التشابهات" الكامنة في العمق هي أكثر أهمية من الاختلافات السطحية.. وهذه "التشابهات" أكثر ثباتاً وتتجاوز كل الأجيال المتعاقبة رغم أنها مستترة وغير محسوسة.

لكن الاختلافات هي التي يتعامل معها الناس في حياتهم اليومية، إن كان ضمن صيغ "طبيعية" (غريزية) أو "اصطناعية" تم ترسيخها عبر السلوك الاجتماعي.

ولهذا السبب، ليس مبالغة القول بأنه تم رفع مسألة "الاختلافات" (أو تضخيمها) لمستويات عالية جداً من الأهمية الفلسفية، اللاهوتية، العلمية والاجتماعية.

الكثير من العلماء المرموقين يؤمنون بهذا التوجّه فعلاً، فقالوا أن دراسة "الاختلافات" هو الدرب الرئيسي للتقدم السريع نحو فهم إطار كينونة الإنسان، أما دراسة "التشابهات"، فهو مجرّد بحث في حواشي زائدة، أو ما يمكن اعتباره فضلات.

من الواضح أن للاختلافات معنى وأهمية معيّنة. لكن هذا ليس سبب كافي لقمع أو تهميش الدراسات المتعمّقة في "التشابهات" التي تمثّل العمود الفقري الحقيقي لفصيلتنا البشرية.

وهنا أيضاً نجد أنفسنا أمام موضوعنا الأساسي. فمن خلال التشديد على مسألة "الاختلافات" فقط، نكون حينها نتعامل مع جزء من الصورة الإنسانية. وبكل تأكيد، فإن الصورة الجزئية هي مجرّد "صورة صغرى" بالنسبة لكامل القضية التي تمثّل "الصورة الكبرى".

لكن مع ذلك كله، هناك سبب مستتر يقبع خارج الأضواء بخصوص التشديد على أهمية "الاختلافات". مُعظم البُنى الاجتماعية تعتمد على "الاختلافات" لعوامل متعددة. فمثلاً، "الاختلافات" تساهم في ترسيخ النظام الطبقي بشكل سهل وميسّر. قد يكون هذا أحد الأسباب وراء تهميش عوامل "التشابهات" إذا لم نقل تجاهلها تماماً.

إذا تعمّق أحدنا في عوامل "التشابه" لفصيلتنا البشرية، سوف يسهل عليه استيعاب حقيقة أن عوامل "الاختلاف" تشبه طبقة الكريم التي تزيّن قالب الحلوى cake، بينما عوامل "التشابه" تمثّل قالب الحلوى بالكامل.

على المستوى الفردي، سوف نتوقّع وجود أشكال متنوعة من الزينة التي يبرّجون بها قالب الحلوى. لكن كلما تعمّقنا أكثر في عوامل "التشابه" سوف نبدأ باكتشاف الأطر المركزية التي بنيت عليها فصيلتنا، وتتقاسمها كافة النماذج المنتمية للفصيلة البشرية.

هناك دليل مركزي لهذا اللغز، وهو أن عوامل "التشابه" قابلة لأن تختلف وتتمايز إلى أنواع مختلفة من "الاختلافات". لكنها تفعل ذلك لسبب واحد لا غير: التربية الاجتماعية/الثقافية، وليس بسبب عامل طبيعي. هناك مقولة شهيرة يتم ترددادها دائماً: *".. الطبيعة تزوّد، لكن الإنسان يضع حدوداً لما تم تزويده.."*

هناك دليل آخر يتمثّل في أنه عندما يبدأ أحدنا بزيادة إلمامه عن عوامل التشابه لفصيلتنا، سوف يصبح ممكناً استيعابه لحقيقة أن تلك العوامل تنزع نحو الروعة، نحو المهابة والدهشة والعظمة بكلّ ما في الكلمة من معنى.

كمثال واحد رائع على ذلك، كافة نماذج فصيلتنا البشرية خُلقت مجهّزة بعامل اللغة language factor. و"عامل اللغة" هذا هو مُفعّل وجاهز للعمل منذ الولادة، ويبدأ الأطفال يكافحون منذ فترة مبكرة جداً للتعامل معه.

يُعتبر "تكلّم اللغة" أمراً بسيطاً بشكل عام، وغالباً ما يمثّل هذا العامل أحد زوائد "التشابهات" التي لا أهمية لها.

على أي حال، هذا العامل (اللغة) هو من الموروثات الكامنة في كافة نماذج فصيلتنا البشرية. وذلك وجب اعتباره ممثلاً لأحد العواميد الرئيسية لفصيلتنا والذي يضيف دليلاً على كبر المسافة بيننا وبين الفصائل الأخرى.

من أجل المزيد من التوضيح، ضمن كافة البيئات الاجتماعية، مهما كانت مختلفة ومتباينة، يُعرّف عامل "اللغة" بشكل عام بأنه "القدرة على التواصل".

من الواضح أن الأمر هو كذلك، لكن مع نقطة واحدة مهمة: إن هذه "القدرة على التواصل" مُشتقّة أصلاً من عامل "اللغة" ولا تمثّل عاملاً قائماً بذاته، وأصبحت هذه الحقيقة مفهومة جيداً علمياً ومتجاوزة لأي شكّ.

هناك قصة رائعة تتعلّق بهذا الأمر. لكن القليل منها يستند على ما تم فهمه بخصوص "اللغات". في إصدار شهر تموز (يوليو) من العام ١٩٩٣م لمجلة LIFE، وردت دراسة مثيرة تتناول *"العقول العجيبة للأطفال"*. وقد كُتب على واجهة المجلّة بالخطّ العريض: *"الأطفال هم أكثر ذكاءً مما تظنوه.. يستطيعون إجراء عملية جمع قبل أن يتعلموا التعداد.. يستطيعون فهم مئة كلمة قبل أن يتعلموا الكلام.. وفي سن ثلاثة شهور، تتجاوز قوة الذاكرة لديهم ما يمكن أن نتصوّره.."*

احتوت المقالة على مطالعة مقتضبة على ما تم اكتشافه عن الأطفال الرُضّع خلال أبحاث أجريت مؤخراً تتناول مجال الذاكرة، الرياضيات، اللغة، والفيزياء.

كانت المقالة قصيرة لكنها مفعمة بالحقائق المثيرة للدهشة. فمثلاً، فيما يخص الجانب الفيزيائي من الموضوع، وجد الباحثة في جامعة "كورنيل" "أليزابيث سبيلكي" Elizabeth Spelke بأن ".. الأطفال بصِغر الشهر الرابع من عمرهم لديهم معرفة أولية عن طريقة عمل العالم من حولهم.. أو كيف وجب أن يعمل.." وبالإضافة، ".. يعتقد الباحثون أنه حتى قبل الولادة، يتعلّم الأطفال كيف تتصرّف الأشياء المادية، وذلك من خلال طريقة تحريك أجزاء مختلفة من أجسادهم.." والدكتورة "سبيلكي" تعتقد بأن هذه المعرفة هي "معرفة فطرية" innate knowledge.

لقد تم لمس الوجود المسبق لهذه "المعرفة الفطرية" في الأطفال في كافة الأبحاث التي أجريت بهذا الخصوص، أي في كل من مجال الذاكرة، الرياضيات، اللغة، والفيزياء. هذا مع أن الفكرة العصرية حول "المعرفة" بشكل عام تشير إلى أنها لا

يمكن أن تتجسّد سوى بعد مرحلة من التعلّم والخبرة يمرّ بها الطفل بعد الولادة، وفقط عبر التفكير والاستنتاج المنطقي الذي يبدأ بالنمو تدريجياً لدى الطفل بعد سنوات من ولادته.

وبالفعل، ووفق الثقافة العصرية، التعريف السائد للـ"معرفة" KNOWLEDGE هو كما يلي: ".. حالة التعرّف على شيء عبر ألفته أو فهمه بعد الخبرة أو التخالط.."

وبالتالي فهناك تعارض بين كل من:

١ـ تعريف "المعرفة" على أنها تُكتسب عبر الخبرة أو التخالط

٢ـ مفهوم "المعرفة الفطرية"

والتناقض يتمحور حول تعريف كلمة "فطري"، ولهذه الكلمة تعريفين شائعين:

١ـ "الفطري" هو الشيء الخلقي، أي ينتمي للطبيعة الجوهرية للشيء.

٢ـ "الفطري" هو ما يُنتج أو يُشتقّ من العقل أو البنية الفكرية للكائن بدلاً من اكتسابه عبر الخبرة أو التخالط. كالغريزة مثلاً.

يمكن تقسيم الأهمية المستترة في هذا التناقض إلى جزأين، وكلاهما قد يكونا واضحين بالنسبة للذين عاصروا حالة الإنكار العدواني لمفهوم "المعرفة الفطرية" خلال القرن العشرين العصري. فخلال تلك الفترة، تم أحياناً الاعتراف، على مضض وبالإكراه، بإمكانية وجود "غريزة فطرية". أما مفهوم "المعرفة الفطرية"، فكان يمثّل موضوع مُحرّم وصُنف بنفس مرتبة مواضيع مثل "الاستبصار"، "التخاطر"، "المعرفة الباطنية".. وهكذا، مع العلم أن كل هذه الأمور تتجسّد في غياب أي خبرة سابقة أو تخالط، وحتى في غياب التفكير والمنطق.

ثانياً، لقد أثار مفهوم "المعرفة الفطرية" مسألة معقّدة بشكل كبير، تتمثّل في "..كيف ولماذا وجب على المعرفة أن تُزرع أصلاً بشكل فطري في فصيلتنا البشرية.."

بالعودة إلى المقالة في مجلة LIFE، كانت الحقيقة المدهشة المتعلّقة بعامل "اللغة" قصيرة لكن معبرة بشكل واضح.

لكن وجب أولاً معرفة أن أصول اللغات الإنسانية كانت ولازالت تمثّل لغزاً كبيراً. وأثناء الفترة العلمية العصرية، صُوّر بأن اللغة تأصّلت من نعير وإيماءات سكان الكهوف في العصر الحجري فتطوّرت عبر العصور وتفرّعت وتباينت في المناطق المختلفة حول العالم إلى أن اتخذت هيئات وأشكال متنوعة من اللغات المختلفة.

لكن وفقاً للمقالة في مجلة LIFE، هناك عامل آخر داخل في العملية والذي يمكنه تبديل كامل الصورة التي يسوّقها العلم حول تطوّر اللغات. هذا "العامل الآخر" هو ما أشار إليه عالِمة النفس "باتريسيا كوهل" Patricia Kuhl من جامعة "واشنطن" في سياتل، ويتمثّل في حقيقة أنه منذ الولادة حتى الشهر الرابع من العمر، أظهر الأطفال بأنهم "لغوين عالميون" أي لديهم قدرة على تمييز كل صوت من بين الأصوات المائة والخمسين التي تشكّل كامل الأحاديث الإنسانية.

خلال هذه الفترة الأولى (أربعة شهور) من عمره، وقبل أن يبدأ بتعلّم الكلمات، يكون الطفل مشغول بإجراء عملية فرز وتصنيف لخلطة الأصوات المائة وخمسين محاولاً إيجاد تلك التي لها معنى في البيئة التي وُلد فيها. وعند بلوغ سن ستة شهور، يكون قد تحوّل إلى خبير قادر على تمييز الأصوات التابعة للغته المحلية.

عندما نتكلم عن إجراء عملية فرز وتصنيف لخلطة مؤلفة من ١٥٠ صوت، هذا يعني أننا نتحدث عن عملية "تحليل لغات" أو "فكّ شيفرة رموز" وليس مجرّد عملية تعلّم لغة.

من أجل التوصّل إلى النقطة المهمة في الفكرة السابقة نحن بحاجة إلى النظر إلى ما يلي بانتباه. بخصوص حقيقة أن كافة اللغات الإنسانية هي مؤلفة من ١٥٠

صوت فقد تم تأكيدها واستيعابها جيداً منذ فترة من الزمن. وقسم من مجموع هذه الأصوات تُستخدم لبناء أصوات الكلام المألوف في منظومة لغة محلية معيّنة.

الاعتقاد السائد منذ زمن بعيد يقول أن الطفل يتعلّم (يكتسب) الأصوات عبر الممارسة والتكرار فيبدأ بتقليدها. وبالتالي ينظرون إلى الطفل بأنه يتعلّم من مصادر لغوية محلية، وبناء عليه، استنتجوا أن اللغات تمثّل شؤون محلية.

والآن، من وجهة نظر ظاهرية، هذا يفسّر السبب وراء وجود أنواع مختلفة من اللغات المحلية. لكن هذا لا يفسّر لماذا "اللغة" هي قاعدة عامة لدى كافة النماذج المنتمية للفصيلة البشرية. اللغات المحلية المختلفة تشكّل مظاهر "صور صُغرى" لتلك النزعة العظيمة والرائعة التي تتمتع بها فصيلتنا البشرية وهي استخدام "اللغة". المعلومة القائلة بأن كل اللغات مؤلفة من ١٥٠ صوت تساعد في تكبير الصورة. وهكذا، إذا كانت هيئات اللغة مختلفة فعلاً في قطاعات مختلفة، فالأصوات التي تتألف منها تمثّل عامل لغة عالمي هو ذاته لدى كامل فصيلتنا.

إن حوزة كل الأطفال على نظام خاص يستطيع التمييز بين كل من الأصوات الـــ١٥٠ يعني أن الأطفال لا يتعلمون اللغة من مصادر خارجية، بل بدلاً من ذلك كل ما يفعلونه هو تصنيف الترتيبات الصوتية التي تُستخدم في البيئة التي وُلدوا فيها.

هذا وكأننا نقول بأن الأطفال لا يتعلمون اللغة، بل كل ما يفعلونه هو التعرّف على أي اللغات المُستخدمة في محيطهم!

يمكن بالتالي وصف عامل اللغة ضمن كامل فصيلتنا البشرية بأنه "نظام تمييز أصوات" وهو مأشوب (مهندَس جينياً) ليتعامل مع ١٥٠ صوت مختلف يشكّل كل الكلام المنطوق لدى فصيلتنا البشرية.



الأطفال لا يجتهدون في تعلّم اللغة بل في تمييز أي اللغات المُستخدمة في البيئة الاجتماعية التي وُلدوا فيها.

وجب التشديد على أنه بالرغم من اختلاف اللغات، كل نموذج بشري يحوز على أحد هذه الأنظمة المميّزة للصوت. وبالإضافة، يكون هذا النظام لدى كل نموج بشري مُفعّل تلقائياً منذ الولادة، وربما قبل ذلك (كما بدأ يقترحه بعض الباحثين).

يمكن طرح الفكرة بطريقة أخرى سهلة الاستيعاب، حيث يمكن اعتبار كل لغة محلية بأنها "برنامج إلكتروني" software program يتم تحميله إلى جهاز الكمبيوتر فيندمج مع البرنامج الأساسي الكامن في القرص الصلب للجهاز hard drive والذي يمثّل المنظومة اللغوية المزروعة فطرياً في كل فرد. فمنظومة اللغة الكامنة في القرص الصلب هي ذاتها عند كل البشر، وما يختلف هو "البرنامج الإلكتروني" [ممثّلاً باللغة المحلية] الذي يتم تحميله لاحقاً بعد الولادة.

من أجل توضيح الفكرة بحيث تتناسب مع سياق الموضوع الرئيسي هنا، يمكننا القول بأن "البرامج الإلكترونية" التي يتم تحميلها للجهاز تمثّل "صورة صغرى"،

بينما البرنامج الأساسي الكامن في "القرص الصلب" للجهاز يمثّل "الصورة الكبرى" نوعاً ما.

هناك نظرة مشاكسة أخرى تتعلّق بهذا كله، حيث وجب تأكيد حقيقة أن كل الأنظمة الاجتماعية تلقّن أفرادها بأن يفكروا وفق مفاهيم لغوية تناسب "صورها الصغيرة" (برامج إلكترونية)، وبالتالي من السهل عليهم إغفال الطبيعة المهيبة للقدرات التي تكمن مستترة دون حراك في "القرص الصلب" التابع للكائن البشري.

وبالإضافة إلى ذلك، وجب فهم حقيقة أن "الصور الصغرى" هي صغيرة ليس بسبب ما تحتويه، بل بسبب ما لا تحتويه.

إن عامل "اللغة العامة" لفصيلتنا البشرية يمثّل عبرة وجب الامتثال بها، حيث تبيّن أن كل فصيلتنا قادرة على احتواء والتعامل مع كل اللغات البشرية (بما فيها اللهجات المحلية) التي هي كثيرة وتبلغ عدة آلاف. هذه اللغات تمثّل مكونات "صور صغرى" للمنظومة اللغوية العامة الممثلة للصورة الكبرى.

على أي حال، وتماشياً مع سياق الموضوع الرئيسي، من الواضح أن فصيلتنا، وفق مفهوم "القرص الصلب"، مؤلفة عموماً من "منظومة عقلية"، والتي تعمل بدورها بترادف مع منظومة لغوية عامة تشمل كامل فصيلتنا البشرية.

لكن من ناحية ثانية، إذا ألقينا نظرة استدلالية إلى "المنظومة العقلية" بهدف استيعابها، من الممكن استنتاج بأننا بحاجة إلى منظومتين منفصلتين في القرص الصلب على الأقلّ من أجل أن تعمل بشكل كامل: أولها تتمثّل بمنظومة "آليات إدراكية"، والأخرى تتمثّل بمنظومة "تمييز المعاني".

لا يمكن لهاتين المنظومتين الإضافيتين أن تتألفان فقط من "برامج إلكترونية" تم تحميلها محلياً، بل في الحقيقة، وجب أن تحتويان على عوامل صادرة من "القرص

الصلب" التي تدمج الفصيلة البشرية ككلّ مع نماذجها الفردية التي يتم تحميلها محلياً.

لقد تم اكتشاف الوجود الفعلي لهذا العامل العام (في القرص الصلب) الممثّل بالقدرة على تمييز المعاني من خلال الدراسات التي أجريت على موضوع اللغة عند الأطفال. فقد أشارت عالِمة النفس "باتريسيا كوهل" Patricia Kuhl في مجلة LIFE إلى أنه: ".. قبل أن يبدأ الأطفال بتعلّم الكلمات بزمن طويل، يستطيعون الفرز، من بين مجموعة ملخبطة من الأصوات المنطوقة، تلك التي لها معنى.."

أما آلية عمل هذا "التمييز للمعاني" بالمستوى ما قبل النطقي pre-verbal فلم يتم استيعابه بعد. وكأننا نقول أنه بينما اللغات قد تتألف من ١٥٠ صوت، لا نستطيع حسم الأمر بخصوص كل المعاني.

لكن على أي حال، الفكرة هي أن كل نموذج من فصيلتنا البشرية يملك نوع من منظومة عامة لـــ"تعريف المعاني" تنتمي للقرص الصلب العائد لكامل الفصيلة. وهذه المنظومة تعمل بتوافق وترادف مع "المنظومة العقلية" و"منظومة الآلية الإدراكية" و"منظومة اللغة" والتي تنتمي جميعاً للقرص الصلب العائد لكامل الفصيلة. كافة هذه المنظومات الخارقة الأربعة supersystems (وهي خارقة فعلاً) هي معمّمة على كافة الفصيلة، وكل فرد يولد مجهزاً بها. وهذه تعتبر "متشابهات" مدهشة بالفعل.

كل ما سبق هو مذهل فعلاً إذا استطعنا استيعابها وجدانياً. لكن هذا النوع من الاستيعاب قد يتعذّر حصوله لسبب واحد لا غير: التشويش الذي تحدثه الأنماط الفكرية المتداخلة للصورة الصغرى التابعة للبيئة الاجتماعية المحلية التي نشأنا وسطها. فهذه الأنماط الفكرية المحدودة ليست قابعة مترصّدة في كل مكان من قناعاتنا المزروعة اجتماعياً فحسب، بل نعتبرها بالخطأ أحياناً على أنها تمثّل "صور كبرى" قائمة بذاتها، حتى لو كان ذلك لا إرادياً.

القدرة الفطرية على الغطس والسباحة

يمكننا اللجوء إلى مثال آخر بخصوص "الصورة الصغرى" (البرنامج الإلكتروني المُحمّل محلياً) و"الصورة الكبرى" (القرص الصلب المعمّم على كامل الفصيلة)، وذلك من خلال ذكر تلك الظاهرة الاستثنائية التي كشفتها الدراسات مؤخراً على الأطفال. لقد تبيّن أن القدرة على السباحة والغطس هي فطرية، أي تُعتبر برنامج أساسي يدخل في القرص الصلب للفصيلة البشرية وليس مجرّد برنامج إلكتروني مُحمّل لاحقاً بعد الولادة!



الطفل غطاس ماهر بالفطرة

هناك حركة لا إرادية أصبحت معروفة جيداً علمياً وتُسمى "إرتكاسة الغطس" DIVING REFLEX، وهي عبارة عن ردّ فعل لاإرادي يستعرضه الكائن عندما يتم تغطيسه تحت الماء. التعريف العلمي هو كما يلي:

عبارة عن استجابة عكسية لحالة الغطس والتي استعرضتها الكثير من الثديات والطيور المائية aquatic، وتتميّز بتغييرات فيزيولوجية تساهم في تخفيض استهلاك الأكسيجين، مثل انخفاض وتيرة ضربات القلب وبطء في جريان الدم إلى الأعضاء البطنية والعضلات، ويبقى الأمر كذلك إلى أن يستأنف جهاز التنفس عمله من جديد. لكن هناك حقيقة قليلاً ما يُعلن عنها بسبب عدم أهميتها ربما،وهي أن هذه الاستجابة العكسية لحالة الغطس تحصل أيضاً عند بعض الكائنات غير المائية nonaquatic، بما فيها الكائنات البشرية، وذلك بعد غطسهم في الماء.

إذا كان هذا هو التعريف العلمي لما نسميه "إرتكاسة الغطس"، فهو لا يشبه أبداً ما تم اكتشافه عند الأطفال وخصوصاً المواليد الجدد. فبالإضافة إلى هذه الحركة اللاإرادية التي يستعرضها الطفل، هناك المزيد من الحركات الأخرى. فمثلاً، قبل بلوغه الشهر السادس من عمره، إذا غمرت الطفل في الماء بوضعية البطن للأسفل، فسوف يبدأ بتحريك يديه ورجليه بطريقة مطابقة تماماً لحركة السباحة المحترفة! هذه ليست "ارتكاسة الغطس" التي يعرفها العلم بل "ارتكاسة سباحة"! وإذا غمرت الطفل بالكامل تحت الماء سوف يستعرض الحالتين معاً، أي استجابة لاإرادية للغطس والسباحة معاً.

فمثلاً، وجد باحثين سويديين، درسوا "ارتكاسة الغطس" لدى ٢١ طفل تتراوح أعمارهم بين ٤ و١٢ شهر، بأن أحدهم لم يتشردق أو يشرق أي ماء خلال تغطيسه تحت الماء. حتى أنهم لاحظوا بأن الأطفال لم يمتعضوا إطلاقاً عندما أعادوا تغطيسهم مرة أخرى، حيث أبدوا رغبة متحمّسة للغطس مرّة أخرى!



صحيح أن تغطيس الأطفال يتطلّب برامج خاصة يقيمها الخبراء، لكن الاعتماد يبقى أولاً وأخيراً على ردود فعلهم العكسية أثناء الغطس والتي هي آلية ذاتية.



استعراض واضح لـــ"ارتكاسة الغطس" التي يستعرضها الطفل أوّل ما يغطس تحت الماء. حيث يفتح عينيه ويضع لسانه في قمّة الفم فيغلق مجرى الهواء إلى الرئتين. ثم بعد لحظات يعود إلى حالته الطبيعية ليتابع استكشاف العالم تحت المائي وكأن شيئاً لم يكن.



إذا غمرت الطفل في الماء بوضعية البطن للأسفل، فسوف يبدأ بتحريك يديه ورجليه بطريقة مطابقة تماماً لحركة السباحة!

هل نحن كائنات برمائية؟!

أما الظاهرة العجيبة التي استعرضها المواليد الجدد في تصرفاتهم تحت الماء فتكشف جانباً مهماً وأساسياً من طبيعتنا الاستثنائية. أشهر تلك الأبحاث الموثّقة (ومنشورة على شكل أفلام وثائقية) جرت في مركز أبحاث يقع على ساحل البحر الأسود في روسيا منذ الثمانينات من القرن الماضي من قبل الباحث "إيغور تشاركوفسكي" Igor Tcharkovsky. لقد نُشرت كتب كثيرة حول هذه الظاهرة المذهلة وصُورت أفلام وثائقية تبيّن كيف تتم الولادة تحت الماء، وأحياناً بمؤازرة الدلافين التي أبدت قدراً بالغاً من الحنان والرقة في تعاملها مع المواليد الجدد. إنه أمراً رائعاً يستحق المشاهدة فعلاً. في بعض الأفلام يمكنك مشاهدة المولود الجديد وهو يفتح عينيه تحت الماء، ويبدو مرتاحاً تماماً في هذه الوضعية، يسبح قليلاً، ثم يدور متجهاً للأعلى ويحدّق إلى الأشخاص الحاضرين فوق الماء، مبتسماً وجاهز للانطلاق إلى الحياة. والأمر المثير هو أنه صاحي تماماً لما يجري حوله. وطبعاً

يخرج في النهاية من الماء فيتنفس لأوّل مرّة لكن براحة كبيرة، ثم يُعطونه لأمه. إنها عملية بسيطة ومباشرة.




البيئة المائية هي الأنسب للمولود الجديد الخارج تواً للعالم، إنها لا تشكّل أي خطر عليه لأنه مجهز بعرفة فطرية تمكنه من التعامل معها.

يصرّ الكثير من الباحثين، من بينهم عالِم البيولوجيا العصبية، والمتخصّص في الأطفال والولادة، البروفيسور "مايكل هايسون" Michael Hyson على أن التصنيف العلمي للأطفال بأنهم من النوع "غير الناضج" altricial عند الولادة هو تصنيف خاطئ. بل هو من نوع "الناضج" precocious وهناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى ذلك رغم تجاهل العلم لها.

ملاحظة: الكائن الذي يُصنف مولوده بـــ"غير ناضج" altricial هو الذي يحتاج لمزيد من التطور بعد ولادته بسبب عدم اكتمال نموه بعد، مثل حيوان "الأبوسوم" possum (حيوان ذات الجراب) الذي يبدو بعد ولادته كالجنين غير المكتمل فيتطلّب فترة زمنية قبل أن يفتح عينيه وينمو عليه الشعر. هذا النوع من الكائنات يتطلّب رعاية إضافية قبل أن يكتمل نموه. أما الكائن الذي يُصنف مولوده بـــ"الناضج" precocious، فهو من النوع الذي يولد مكتمل النمو، مفتوح العينين وجاهز للتعامل مع البيئة المحيطة. ومثال على الحالة المتطرّفة لهذا الصنف هو مولود الحصان مثلاً الذي يستطيع الوقوف على قدميه منذ الولادة.

يتابع البروفيسور "هايسون" تعليقه، منوهاً للأبحاث الجارية على الولادة تحت الماء، فيقول: إذا استطاع المولود الجديد أن يسبح تحت الماء في لحظة الولادة، وعيناه تعملان، وأذناه تعملان، وهو يبتسم.. وكل ذلك الذي شاهدناه، هذا يعني أننا لسنا من صنف الكائنات "غير الناضجة" عند الولادة altricial، بل كائنات "ناضجة" precocious. ولا نستطيع التعبير عن نضوجنا سوى إذا تم ولادتنا في البيئة المناسبة وهي "تحت الماء". فعندما نخرج إلى العالم ونحن نسبح في الماء سوف نتمتع بحرية الحركة مباشرة، بدلاً من انتظار من يحملنا وينقلنا من يد إلى أخرى. القاعدة الأساسية تتمثّل في أننا لسنا مواليد "غير ناضجة" بل تم ولادتنا في بيئة غير مناسبة. والبيئة الأنسب للولادة هي تحت الماء!

وبالفعل، أشارت الدراسات التي أجراها كل من "مايكل أودنت" و"تشاركوفسكي" و"جاك مايول" (مؤلف كتاب الإنسان المائي Homo Aquaticus) إلى أنه إذا سُمح للأطفال لأن يقضوا وقتهم الكافي في بيئة مائية، فسوف تتطور لديهم الاستعدادات الكامنة على الغطس والسباحة فيصبحوا قادرين على ممارسة هذه القدرة منذ سن مبكرة جداً تبدأ من مرحلة الحبو.

هل يُعقل أن مُعظم الناس على وجه الأرض وُلدوا في بيئة غير مناسبة؟ هل يُعقل أننا ننتمي لنوع من فصيلة الثديات البرمائية؟ هذا سؤال كبير ويتطلّب بحث خاص لكن في مكان آخر.

بالعودة إلى موضوعنا، فالطفل إذاً قادر على التعامل مع البيئة المائية بطريقة سليمة منذ اللحظات الأولى لولادته. والسؤال هو كيف تعلّم هذه العملية التي لازلنا نعتبرها مجرّد "رياضة" بدنية لا أكثر؟

الجواب واضح وصريح: إنها معرفة باطنية ولدت معنا منذ البداية. القاعدة السائدة تقول أن الطفل لا يستطيع السباحة دون تدريب مسبق على ذلك. وطبعاً نحن نتكلم عن أطفال تجاوزوا السنة الرابعة أو الخامسة قبل أن نجرؤ على التفكير بالأمر

قبل هذا السن خوفاً منا على أطفالنا. لكن يبدو أن هذه القدرة تمثّل برنامج أساسي ينتمي للقرص الصلب لفصيلتنا البشرية. إنه ليس برنامج إلكتروني مُحمّل لاحقاً (عبر التدريب). لقد أثبتت هذه القدرة الرائعة بأنها تنتمي لإحدى قدراتنا المستترة فطرياً في خفايا طبيعتنا الاستثنائية.



كشفت الدراسات أن الولادة تحت الماء مفيدة من نواحي كثيرة بالنسبة للمولود الجديد، خاصة النفسية والصحية.

لقد أثبت "ديكارت" بأنه مخطئ مرّة أخرى. فالأطفال لا يولدون بعقل مُفرغ كالصفيحة البيضاء tabula rasa كما قال يوماً، ولا زالت مقولته تفعل فعلها في الوسط العلمي حتى اليوم. إن فكرة أنهم "بالكاد يستطيعون القيام بأي شيء عند ولادتهم" هي فكرة خاطئة تماماً. وكما يوصفهم الدكتور "جاك شيلنغر" Jack Schillinger من مركز تطوّر الأطفال في جامعة "مايامي"، والذي أجرى العديد من الأبحاث المثيرة حول الأطفال: ".. الأطفال أكثر ذكاء من البالغين، إنهم قادرين على التعلّم أكثر منهم بعشر مرات.. قدرتهم الإدراكية تكون مكتملة تماماً منذ لحظة الولادة.. قدرتهم البصرية على الكشف التجسيمي stereoscopic vision تتفعّل بعد عشرين دقيقة.. نحن أمام أطفال متنبهين تماماً لكل ما يجري حولهم منذ اللحظة الأولى.. لكن الذي يخدعنا هو ضعف عضلاتهم غير المكتملة

مما تجعلهم غير قادرين عن التعبير عن أنفسهم، فيقبعون هامدين في مكان واحد ولا نلاحظ منهم سوى الصراخ.."

في الحقيقة، إن الحديث عن الأطفال لا ينتهي أبداً. هناك الكثير من المظاهر العجيبة التي استعرضها الأطفال والتي أثبتت انتماءها للقرص الصلب للفصيلة البشرية ككل، لكن ما أن بدأ ينمو وينخرط رويداً رويداً في البيئة الاجتماعية المحلية (الصورة الصغرى) تختفي تلك المظاهر وكأنها لم تكن أصلاً فتبقى عناصرها كامنة مستترة في جوهره، فتبقى خاملة دون حراك وربما إلى الأبد.

بالعودة إلى التشويش الذي تحدثه الأنماط الفكرية المتداخلة للصورة الصغرى التابعة للبيئة الاجتماعية المحلية التي نشأنا وسطها، فأقول، إذا كان أحدنا مهتماً بالتعلّم وتطوير نفسه، من الطبيعي الافتراض بأن أي عامل تشويش يمكن أن يتدخّل في العملية لإعاقتها وجب تشريحه والتخلّص منه في الحال.

وبالفعل، إذا كانت القدرات الخارقة للعقل الحيوي تنتمي إلى منظومات خارقة معممة على مستوى الفصيلة ككل وليست مجرّد مفاهيم محليّة تنتمي لسياق "صورة صغرى"، فوجب على الفرد أن يتحمّل الصعوبات المترتبة نتيجة إبطال أو تدمير هذه الأخيرة إذا أراد النجاح في مسعاه.

لكن هناك مشكلة مهمة بهذا الخصوص. إن رفض التعامل مع صورة صغرى يُعدّ ظاهرة تنتمي لصورة صغرى أيضاً. قد يشعر البعض بالإرباك من هذا الكلام، لكن من السهولة استعراض حقيقة أنه يمكن تمييز الصور الصغرى عموماً من خلال ما ترفضه، ما لا تشمله، ما تحذفه، ما تتجاوزه، ما تعقلنه، أو بكل بساطة من خلال ما هو مجهول ضمن مفاهيمها.

بمعنى آخر، إنه من الصعب تحقيق الوعي على مستوى "صورة كبرى" عبر إتباع مسارات تؤدّي إلى بناء صور صغرى. فمثلاً، إذا قرّرت الانتماء إلى إحدى مدارس التدريب الروحي كتعلّم إحدى فروع فلسفة "اليوغا" مثلاً، ظناً منك أنك ستنطلق من الصورة الصغرى إلى الصورة الكبرى، فهذا العمل قد يساعدك على تطوير بعض القدرات الذهنية لكنه بشكل عام لا يجدي نفعاً بخصوص الارتقاء بالوعي لديك إلى مستوى الصورة الكبرى. فأنت بهذه العملية لم تفعل شيئاً جديداً سوى الانتقال من صورة صغرى إلى صورة صغرى أخرى، لأن أدبيات الفلسفة اليوغية رغم أنها راقية روحياً بحيث تتناول مواضيع كونية وروحية وغيرها من مفاهيم لها صلة بالصورة الكبرى إلا أنها بنفس الوقت محكومة بمسلمات فلسفية/لاهوتية، وحتى دينية في بعض الأحيان، مما يجعلها حكماً "صورة صغرى" قائمة بذاتها.

وهنا نواجه مظهر مثير لكنه غريب بنفس الوقت بخصوص فصيلتنا. فصيلتنا مغمورة حتى الأذنين بصور صغرى، والكثير منها معقّدة ومتشابكة ببعضها البعض. وهكذا يحاول الكثيرون عبثاً بذل جهود مضنية للتخلّص من كل ما يعتبرونه منتمي للصورة الصغرى.

والغرابة هنا هي أن عملية التخلّص من الصور الصغرى قد تشابه عملية الصراع مع الطواحين، هذا إذا لم يكن الفرد ملماً بالمعايير البنيوية للصور الصغرى. أي التعرّف على ما الذي يجعل "الصور الصغرى" صوراً صغرى، وكيف يمكن التعرّف على صورة صغرى وتمييزها بأنها صورة صغرى. ففي نهاية الأمر، إذا أراد الفرد أن يهرب من شيء ما، وجب عليه أولاً معرفة ما الذي يرغب الهروب منه.

الجــزء الثالث

محاولة فهم بعض الديناميكيات البنيوية للصور الصغرى

إذا كان على أحدنا أن يستوعب أي نوع من التعاليم أو المناهج التدريبية المتعلقة بتفعيل ملكات القوى الخارقة، وجب عليه الأخذ بعين الاعتبار منذ البداية بأن العملية ستشمل إجراء "تغييرات في النظر للواقع" reality shifts.

يوجد هناك افتراضين مختلفين لهذا الخصوص، وكلاهما بقي مهملاً دون معالجة وبالتالي بقيا عصيان عن الفهم بشكل صحيح.

ــ الافتراض الأوّل يتمحور حول فكرة أنه يُقدم للطالب معلومات منظّمة بخصوص القدرات الخارقة، ثم تحدث حالة "التغيير في النظر للواقع" reality shifts في سياق عملية التعلّم بالتتابع.
ــ الافتراض الثاني يتعلق بفكرة أنه إذا لم يحصل أي "تغيير في النظر للواقع"، فالصعوبة إذاً تكمن في استجابة الطالب.

في الحقيقة، يمكن للافتراضين أن يكونان صحيحين في معظم الحالات لكن بشرط أن:
١ــ تُعتبر عملية "تقديم المعلومات المنظّمة" هي بذاتها الخطوة الأساسية والموضوع الرئيسي لمنهج التدريب.
٢ــ إذا كانت "طريقة تنظيم المعلومات" تناسب أولاً وحصراً العوامل الخارجية بالنسبة للطالب.

أي بمعنى آخر، سوف يحصل، بطريقة ما، تعديلات وملائمات معيّنة في العالم الداخلي للطالب (بما في ذلك التجهيزات الذهنية) إذا اندمج فعلاً مع المعلومات

المنظّمة التي يتلقاها بخصوص العوامل الخارجية. أما حالة "التغيير في النظر للواقع"، فيمكنها أن تحصل أيضاً دون جهد يُذكر.

إن كامل هذا المفهوم يتمحور حول فكرة أن عملية تلقي المعلومات وحدها سوف تُنتج ما نعرفه بـ"التعلّم" learning. وكما ذكرت سابقاً في هذا الكتاب، هذه الطريقة في التعليم أثبتت جدواها وفعاليتها. ويمكن استخدام هذه الطريقة وحدها في التدريب لكن بشرط أن تتوافق مع المعايير المذكورة في الفقرات السابقة. لكن هذا ليس أمراً سهلاً.

هذا هو المفهوم السائد بخصوص التعليم في الثقافات العصرية، وهي تشمل ثلاثة مظاهر: [١] المعلّم، [٢] توصيل معلومات منظّمة حول عوامل خارجية، [٣] الطالب.

لكن من ناحية ثانية، وبما يخصّ عملية تفعيل ملكات القوى الخارقة، فإن القاعدة الأساسية التي تتمحور حولها عملية التدريب ليست موجودة خارج الطالب بل داخله. أي، في الوقت الذي يتم فيه تجاهل وتقليص أهمية العالم الداخلي للطالب في مفاهيم التعليم العصرية (الغربية)، نجد أن هذه العوالم الداخلية للطالب تنال حصتها من الأهمية في عملية التدريب، بل تمثّل الغاية الأساسية التي ينشدها المنهج التدريبي أصلاً.

بمعنى آخر، الهدف الرئيسي في عملية تفعيل ملكات القوى الخارقة يتمثّل في "تنشيط" أو "استنهاض" الملكات التي هي موجودة أصلاً في العالم الداخلي للطالب، لكنها تقبع كامنة أو خامدة، وبالتالي فهي خارج هوامش "نظرة العالم" الخاصة لدى الطالب مما يجعله محروماً من اختبارها أو استخدامها. كيف يمكنه استخدام شيء، أو يحاول تفعيله، بينما يجهل أنه موجود أصلاً؟

تبقى تلك الملكات كامنة أو خامدة لأن الحدود الخارجية لوعي الفرد ونظرته الخاصة للواقع، وكذلك عالمه الداخلي، هي مبنية ومهيأة بطريقة تمنعه من التواصل الإدراكي معها. وطالما بقي هذا البناء الحاجز قائماً، فسوف لن تخدم المعلومات المنظّمة حول القدرات الخارقة في شيء، مهما كانت مكثّفة وغزيرة.

وجب معرفة أن هناك اختلافات استراتيجية بين مفهوم "اليقظة الداخلية" inner awakening ومفهوم "التعلّم بالتكرار" rote-learning بخصوص المعلومات المنظّمة المتناولة لعوامل خارجية.

وجب أيضاً معرفة أن كل فرد لديه بنيته الخاصة من العالم الداخلي المتبلور بطريقة محددة، وحتى من خلال نظرة ظاهرية يمكننا ملاحظة أن بنية العالم الداخلي لدى كل فرد تختلف عن الآخر. وكما سنكتشف أجلاً أم عاجلاً، كل فرد يميل إلى التعلّق بعالمه الخاص مهما كلّف الثمن.

المعنى المباشر للفكرة السابقة يتجلى في أن كل فرد يعالج المعلومات التي يتلقاها عبر شبكة معالجة المعلومات الذهنية الموجودة لديه. وبالتالي، فالمعلومات مهما كان نوعها، خارجية أو داخلية، سوف يُعاد ترتيبها بطريقة تناسب هذه الشبكة الخاصة، وكل ما لا يتلاءم معها سوف يتعرّض للتصفية أو إعادة الصياغة بطرق مختلفة ومتنوعة.

قد نعتبر ما سبق بأنه غريب على كل المفاهيم المتعلقة بعمليات التعليم البشرية. لكنها في الحقيقة تمثّل حالة كانت معروفة جيداً منذ عصور غابرة. إنها علاقة "الغورو ــ تشيلا" guru-chela، والتي يمكن ترجمتها باللغة العربية بعلاقة "المعلّم ــ الطالب".

لكن يمكن ترجمتها بشكل أوضح على الشكل التالي، "الغورور الذي يوقظ"، و"التشيلا الذي يتم إيقاظه". الديناميكية المتفاعلة بينهما بُنيت على فهم حقيقة أنه من

الصعب على "التشيلا" أن يوقظ نفسه بنفسه طالما بقي هذا الأخير محبوساً ضمن حدود عالمه الخاص المتبلور داخلياً.

هكذا عوالم متبلورة داخلياً تشمل أنواع مختلفة من ***آليات التصفية*** التي تعطّل الإدراك لما يقبع خارج حدود آليات التصفية هذه. وطالما بقيت هذه الآليات في مكانها، ما يبقى خارجها سيبقى غير قابل للاختبار وبالتالي يكون خفياً.

في مناهج التعليم الشرقية تلك، تنقسم الوظيفة الرئيسية للمعلِّم (الغورور الذي يوقظ) إلى مهمتين:

ــ توفير المعلومات التي تشرح ماهية "آليات التصفية الداخلية" عند المريد (التشيلا الذي يتم إيقاظه)
ــ ومساعدته لأن يصبح مدركاً تماماً لآليات التصفية الداخلية لديه ومن ثم تجاوزها.

وبهذا المعنى، يبقى هناك دائماً علاقة واحد لواحد، وأحياناً تطول مدتها كثيراً، بين "الغورو" و"التشيلا". إذاً، فتقديم المعلومات بأعداد كبيرة ليستهلكها الطالب (كما الطريقة المألوفة في المدارس العصرية) ليس لها أي جدوى عملية في هذا السياق، رغم أن هكذا معلومات تعمل على توسيع دائرة المعارف لدى الفرد فتخدم كخلفية ثقافية فحسب.

هناك عامل واحد يُعتبر مهماً بهذا الخصوص وهو أن "الغورو" يدرك جيداً الأهمية، والقيمة، والمعنى الفعلي لحقيقة أن "التشيلا" هو فرد قادر كلياً على "اليقظة" (الصحوة) فيتوسّع الوعي لديه يتجاوز الحدود الضيقة التي كانت تقيّده.

الغاية من ذلك هي تمكين "التشيلا" من استيعاب، والمشاركة في، مجالات أكبر وأوسع للواقع، مع الشرط المهم المتمثّل بأنه إذا لم يتم تمييز عوامل التصفية

الذهنية ومن ثم تجاوزها فهذا يعني أن أي "معرفة" جديدة عن المجالات الأكبر للواقع تبقى مجرّد معلومات عامة تزيد من ثقافة المريد لكنها لم تفعّل شيء بداخله. بعد قراءة ما سبق سوف يطرأ لدينا سؤال تلقائي ومباشرة: أين وكيف نجد ونميّز "عوامل التصفية" هذه؟

إن دراسة دقيقة للأدبيات الشرقية حول هذا الخصوص تكشف بأن المصدر الرئيسي لـ"عوامل التصفية" تتمثّل في ***التكييف الذهني مع عوامل اجتماعية محليّة***، وهذه العوامل الاجتماعية لا تدرك، أو تعير أي انتباه للمجالات الأكبر المتعلقة بالواقع.

يمكن ترجمة خلاصة هذه الحقيقة إلى مفهوم "الصور الصغرى والصور الكبرى" حيث إذا كان الفرد موجهاً بشكل أساسي وفق سياق الصور الصغرى فالعقل لديه ليس محضراً بالتالي لأن يتعامل مع صور كبرى.

يمكن تمييز الصورة الصغرى من خلال ما تصفّيه وتستبعده، وبالتالي ليس عجباً أن الأفراد الذين يتكيّفون معها يشيّدون عوامل تصفية ذهنية داخلية تتوافق مع عوامل التصفية الاجتماعية لتلك الصورة الصغرى بعينها.

تعريف "الصورة"

من أجل التعمّق أكثر في هذا الموضوع، من الأفضل إيجاد تعريفاً مناسباً ودقيقاً لكلمة "صورة" بالمعنى الذي أقصده في السياق الذي أتناوله، وهو طبعاً يتجاوز المعنى المألوف. هناك عدة معاني شائعة لكلمة "صورة" ويمكن استقاء أمثلة من خلال الاطلاع على القاموس. بعض القواميس قدمت المعاني التالية:

ــ "الصورة" بصيغة [اسم]: وصف تصويري واضح مفعم بالحياة، كالإيحاء بصورة ذهنية أو تكوين فكرة عن شيء.

ــ "الصورة" بصيغة [فعل]: أن يكوّن صورة ذهنية أو تشكيل مفهوم ذهني معيّن.

ـ ومن الملاحظة أيضاً أن عبارة "تصوير منظراني" PICTURESQUE تُعرّف بأنها عملية "استحضار صور ذهنية".
ـ وكلمة "استحضار" EVOKE بدورها تُعرّف بأنها "استدعاء أو استجماع، أي إعادة الخلق خيالياً".

إذا تجاوزنا هذه التعريفات التقليدية (من القواميس)، سوف نجد أن "الصورة" تمثّل أيضاً "صيغة مرجعية" FRAME OF REFERENCE، والتي معناها الرسمي هو "مجموعة، هيئة، صياغة أو نظام (من الأفكار والحقائق) يخدم في توجيه أو تقديم معنى محدّد".

و"الصيغة المرجعية" لديها أيضاً ما نعتبره "إطار عمل" FRAMEWORK، ويعرّف هذا الأخير على أنه: تركيبة أساسية (للأفكار)، أو هيكل، أو بنية هيكلية.

مثال على "صورة كبرى" عامة

إن أي تقييم أولي للقدرات الخارقة حول العالم لا بد من أن يخرج بنتيجة تقرّ بأن ملكاتها موجودة في كل مكان على مستوى العالم ومستوى الفصيلة البشرية ككل، وبالتالي لديها قواعد متجاوزة لكافة الثقافات البشرية.

هذه القواعد المتجاوزة لكافة الثقافات البشرية تثبت حقيقة أن القدرات الخارقة موجودة بالمعنى العالمي والشمولي. وبالفعل، من خلال دراسات مقارنة أجريت على الثقافات، تأكّد بعض الباحثين والكتاب من هذه الحقيقة (الشمولية) للقدرات الخارقة وراحوا يتعاملون معها على هذا الأساس.

المفهوم "عالمي" أو "عمومي" أو "شامل" يحمل دلالة مهمة لكن يبدو أنها تتعرّض للتجاهل. القصد من هذا المفهوم (المُعبّر عنه بعدة كلمات كالمذكورة سابقاً) هو الإشارة إلى "صورة كبرى" أو حتى "الصورة الأكبر". فبالتالي المعنى الضمني لها

هو أن "القواعد الوظيفية للقوى الخارقة تنتمي على ما يبدو إلى الصورة الكبرى للفصيلة البشرية".

الانحدار من صور كبرى إلى صور صغرى

سوف يبدو العنوان من الوهلة الأولى بأنه كلام غير مفهوم، إلى أن يتضح لاحقاً بأن الشيء الذي ينتمي ديناميكياً وجوهرياً إلى سياق صورة كبرى قد لا يتجسّد جيداً، أو إطلاقاً، في سياقات صور صغرى.

أحد الأسباب المنطقية لهذا الأمر قد يكون أن مجال عمل الصورة الصغرى لا يحتاج إلى ظواهر تنتمي إلى صورة كبرى. وهذا السبب له عدد كبير من الدلائل التي تدعمه. وهكذا، كما سوف نلاحظه لاحقاً، يمكن إثبات حقيقة أن الظواهر المنتمية للصورة الكبرى غالباً ما يتم تصفيتها واستبعادها من سياقات الصور الصغرى، وذلك بهدف حماية استقرار وتماسك هذه السياقات والوقائع الصُغرى.

معايير الصور الصغرى والكبرى للوعي واليقظة

في كافة الأحوال، يمكن للفرد أن يتأمّل، مثلاً، كيف يمكن للقدرات الخارقة أن تتفعّل أو تؤدي وظيفتها داخل كل من العقل، اليقظة، والوعي بينما جميع هذه الكيانات الأخيرة مقولبة أو محبوسة ضمن سياقات صور صغرى.

هذا الأمر له علاقة بعقل الفرد الذي تم تهيئته أو تحضيره لأداء مهمة محددة أو التفكير بطريقة محددة. ومن هذه العملية خرجت فكرة "العقلية" MINDSET (أي طريقة تفكير معيّنة)، والتي تشير إلى عقل أو مجموعة عقول مقولبة أو محبوسة ضمن سياق صورة معيّنة تختلف عن صورة أخرى تحبس ضمن سياقها مجموعة عقول أخرى.

وجب معرفة أن مفهوم "العقلية" له معاني إيجابية بالإضافة إلى تلك السلبية المحبطة منها. وهذا يعتمد غالباً على "عقلية" الفرد الذي يفحص تلك العقلية الأخرى، فيخرج بالحكم الذي يناسب "عقليته".

والآن، يمكن القول بأن فصيلتنا، بالإضافة إلى عجائبها الرائعة والمدهشة، تتمتع بقدرة بارعة ومميّزة على صياغة وتشييد وتعزيز أنواع مختلفة من "العقليات" الصغيرة ومحدودة الأفق.

صحيح أنها متصلة ببعضها البعض بطريقة أو بأخرى، لكن درجة هذه الصلة تبقى صغيرة ومحدودة، والنتيجة هي صعوبة إدماج أي "مفاهيم عمومية" في أي منها.

إذا توسّعنا قليلاً، ومن منظور علم اجتماعي، فإن توالد وتكاثر هذه "العقليات" المحليّة، المحدودة أو الصغرى، يعود سببه إلى الإقطاع الثقافي لفصيلتنا. وهذا الإقطاع الثقافي بدوره، يعود سببه إلى المعايير الاجتماعية المختلفة والمتنوعة، والتي غالباً ما تكون متنازعة، وهي منتشرة جداً ومنغلقة جداً لدرجة أنك تلاحظها بوضوح مجرّد أن انتقلت من بلد إلى بلد، أو حتى من حارة إلى حارة.

كافة النماذج المختلفة لفصيلتنا البشرية تعيش ضمن معايير اجتماعية معيّنة، بينما هذه المعايير الاجتماعية لها علاقة مباشرة بتشكيل طريقة تفكير الفرد، وتحديد هوامش الوعي لديه، وضبط مستوى يقظته، وتهيئة مكونات العقل لديه ليعمل باتجاه محدد. فتعمل وظائفه الذهنية والعقلية بشكل كامل وفق هذه المنظومة من المعايير والضوابط التي تم صياغتها (وغالباً ما يُشار إلى هذه العملية بشكل عام بـــ"البرمجة العقلية").

طبيعة منظومة المعايير الاجتماعية المنتمية للصورة الصغرى

بشكل عام، فإن منظومة المعايير الاجتماعية ستبدو بأنها تشكّل "صورة كبرى" إذا نُظر إليها من الداخل، أيمن ضمن المجتمع الذي تحكمه. لكن يمكن بسهولة إثبات أن كل من هذه المعايير الاجتماعية مقولبة ضمن وقائع محلية بدلاً من وقائع عمومية شاملة. فبالتالي هذه المعايير تتمحور في العادة حول إعدادات اجتماعية محلية وعوامل بيئية محلية بلاً من كونها على مستوى الفصيلة ككلّ أو غيرها من عموميات تشمل الكلّ.

وبالفعل، هناك عدد كبير من الكيانات الاجتماعية الموجّهة ذات السمعة السيئة في شطب وإخماد كل ما يتعلّق بالعموميات التي تشمل الفصيلة ككلّ والتي لا تناسب معاييرها وضوابطها المحلية الخاصة.

إذا تمهّل أحدنا وتفكّر ملياً بالتعليق السابق، سوف يبدو أن فصيلتنا تحوز على قدرة حديدية (عمومية على مستوى الفصيلة) في صياغة منظومات مختلفة من المعايير الاجتماعية المحلية، لكن تلك المعايير تمثّل اختزالات انتقائية مما ينبعث من هذه القدرات العمومية على مستوى الفصيلة.

أي بمعنى آخر، هذه الاختزالات تمثّل صوراً صغرى محليّة تم صياغتها "بفضل" و"ضمن سياق" القدرة العجيبة على "صياغة الصور" التي تتمتع بها الفصيلة ككل.

وبالفعل، فقد أثبتت الأبحاث الأنثروبولوجية والأثرية حقيقة أن فصيلتنا البشرية، طوال تاريخ وجودها على هذا الكوكب، قامت بصياغة مئات الآلاف من "منظومات معايير اجتماعية" تتمحور حول "صور صغرى".

معظمها جاء وذهب، ازدهر ثم اندثر، وهناك ما هو سائد ونشط ويفعل فعله بالشعوب كما هي الحال اليوم. لكن في النهاية، فالمظهر الأزلي الوحيد من هذا

كله هو فصيلتنا، والتي لازالت تتمتع بقدرة عجيبة على صياغة، وفرض، والتخلّص من، الكثير من الصور الاجتماعية الصغرى.

إذا وضعنا الفكرة ضمن صيغة أخرى، يمكننا القول أن كل شخص لديه القدرة على صناعة أو تشييد "صورة صغرى". والأسباب وراء صياغة هذه الصور الصغرى قد تكون كثيرة، وقد تكون ضرورية أحياناً. لكنها في النهاية تبقى صغيرة، والصغير هو صغير.

ومن خلال هذه العملية يتم تنشئة النماذج الفردية من فصيلتنا بطريقة تناسب أو تندمج مع منظومة المعايير الاجتماعية المحلية (لكل مجتمع على حداه)، وليس مع واقع أكبر وأوسع بحيث يشمل كامل الفصيلة البشرية.

أحد المظاهر الاجتماعية لصناعة الصور

الطريقة المعتادة، أو النموذجية، ي التعامل مع الصور هو محاولة بلورة تلك المرغوبة، والتخلّص من تلك غير المرغوبة، وعادة ما يتم الأمر بأي وسيلة ممكنة.

لكن الطرق المتبعة في البلورة أو الطرح جانباً، غالباً ما هي محمودة وتنال الثناء من قبل "العقليات" المحبوسة ضمن الصور المعنية. لكن إذا نظرت إليها من مستوى أرقى وأشمل، ستجد أن هذه الطرق تكشف عن نزعة كائنات صغيرة تهيم وتتجرف عشوائياً وعبثاً في وسط اجتماعي متعفّن يسوده الأوهام العقيمة من المستوى الوضيع. وبالفعل، وكما اكتشف (أو سيكتشف) الكثيرون أخيراً، فإن كل قناعة أو اعتقاد تعانقه وتكرّسه أي صورة صغرى لفترة طويلة من الزمن هو مجرّد وهم.

صياغة الصور الصغرى

توصّلت الدراسات بعد سنوات من تناول هذه المسألة بتأنّي وتفكّر إلى أن الهروب من حدود سجن "الصور الصغرى" لا يعني أبداً تجنّبها أو تحاشيها. وبدلاً من ذلك، يعود سبب الوقوع في شرك الصورة الصغرى إلى عدم استيعاب الفرد لماهية الصورة الصغرى وما تحتويه بالمعنى البنيوي.

وفي النهاية، إذا أراد أحدهم أن يهرب من "سجن" وجب عليه أولاً إدراك بأنه "سجن"، ومن ثم التعرّف على تصميمه الهندسي، طريقة بناءه، ووسائله وأساليبه، وقد يرغب في معرفة السبب من وجوده أصلاً وكيف تم إيجاده.

وعلى أي حال، ليس هناك أي دراسة تتناول الموضوع الذي قد يحمل عنوان: "تمييز خصائص الصورة الصغرى". فكيف لنا أن نعلم بوجود هكذا أمور أصلاً؟

يمكن إيجاد بعض الخواص والمظاهر التي يسهل فهمها دون أي مجهود ذهني في الصفحات التالية. لكن قبل الانتقال إلى تناولها، هناك عامل مهم وجب الإشارة إليه ولو بشكل صريح ومقتضب.

بشكل عام، معظم الناس لديهم فكرة معيّنة حول القدرات الخارقة، لكن هذه الأفكار هي بكل تأكيد مشتقّة من مفاهيم ضيّقة تعود لإحدى الصور الصغرى المحلية.

بعض الخواص البنيوية للصورة الصغرى

من السهل جداً توثيق وجود "وسطاء طبيعيين" natural psychics كما نسميهم، أو ما أشرنا إليه سابقاً بالتجربة الإنسانية الاستثنائية التي قد يختبرها عدد كبير من الناس ولو مرّة واحدة في حياتهم.

لكن المسألة تكمن في كيف ولماذا تتجسّد، وما هي العوامل المحفّزة على ظهور هذه القدرات الاستثنائية لدى هؤلاء الناس؟ وهذه الأسئلة لم تجد الإجابة الشافية رغم الجهود الهائلة التي بُذلت لتحقيق ذلك في العصر الحديث، وذلك في خمسة دول كبرى على الأقل وبالإضافة إلى عدة دول صغرى حول العالم.

مع أن الفكرة السائدة التي تقول بأن ".. هكذا محاولات للبحث في هذا المجال الاستثنائي لم تحصل أبداً.." هي فكرة غير صحيحة ــ وفي الحقيقة سوف تبقى غير صحيحة طالما بقي القابعين وراء الستار واثقون بأن هكذا "قدرات كامنة" موجودة فعلاً في جوهر فصيلتنا البشرية، مع أنها مستترة وغير ظاهرة في الحالة الطبيعية.

ربما كونا فكرة معيّنة في القسم الأوّل عن طبيعة ما يستعرضه هؤلاء الوسطاء الطبيعيين من قدرات مختلفة ومتنوعة مع التفاوت في مستوى هذه القدرات. لكن على الجانب الآخر يمكن للمسائل الاجتماعية التي تطرأ بسبب وجود هكذا نوعية من البشر الموهوبين أن تشكّل موضوع مهمّ يستحقّ التوقف، خاصة بما يتعلّق بالتسامح الاجتماعي أو عدم التسامح لوجودهم، وما يمثلونه في وجهة نظر المجتمع بسبب تميّزهم بهذه المواهب الاستثنائية. (رأينا أمثلة متنوعة عن هذا التجاوب الاجتماعي، والذي كان سلبياً على الأغلب، بطريقة أو بأخرى).

بعد تسليمنا بوجود "وسطاء طبيعيين" وأن هذه القدرات الاستثنائية المختلفة التي يستعرضونها هي موجودة أصلاً على مستوى فصيلتنا البشرية ككل، وبعد تعرّفنا

على حقيقة أن التعاليم الإرشادية وحدها لا تساعدنا كثيراً في استنهاض هذه القدرات الكامنة، أصبح من الواضح أن مشكلة عدم ظهورها عند كافة البشر تكمن في مكان آخر، وبالتالي أصبح مبرراً اعتبار إمكانية وجود معوّقات غير مُدركة تقبع في مكان ما في جوهرنا، ويبدو أنها أقوى مما نتوقعه.

الفكرة الرئيسية هنا تتمثّل بأنه إذا تم تحديد هذه العوامل المعيقة وإزالتها، من المفروض أن نصبح قادرين على تمييز العناصر الأساسية المسؤولة عن ظهور هذه القدرات الاستثنائية. أي بمعنى آخر: إذا عجزنا عن استنهاض هذه القدرات الاستثنائية، دعونا نركّز جهودنا على البحث في الأسباب التي تعيق استنهاضها.

بعد إجراء البحوث والدراسات اللازمة، تبيّن بوضوح أن نسبة كبيرة من العوامل المعيقة هي اجتماعية في الأصل. فمثلاً، إحدى مظاهر هذه العوامل المعوّقة تكمن في "المنطق العام" الذي يحكم طريقة تفكير المجتمعات ويحدد خصائص ومقومات البيئة الاجتماعية التي نشأ ضمنها الأفراد واعتادوا عليها.

يُعرّف "المنطق العام"، بأنه كلُّ ما اتفق عليه مجموعة كبيرة من الناس وآمنوا به على أنه يمثل الحقيقة. يتجسد "الواقع العام" عندما يتفق الجميع حول مفاهيم ومعتقادات معيّنة وتصوّرات محددة للواقع. يشار إليه باللغة الإنكليزية بـــ:CONSENSUSREALITY (الترجمة الحرفيَّة هي: الواقع المُجمع عليه). المنطق العام، أو"المنطق المألوف"، لا يمثّل سوى طريقة محددة في النظر للواقع وليس الواقع بحد ذاته، حيث قد يكون هذا الأخير مختلفاً تماماً.

جميعنا نعاني من سيطرة "المنطق العام" على طريقة تفكيرنا ونظرتنا للأمور بشكل عام. ما من أحد يستطيع أن يفلت من سطوة تأثيره مهما حاول بأي شكل من الأشكال. والسبب هو أنه خلال محاولته الخروج من دائرة تأثيره سوف يجد نفسه عائداً إليه قبل إدراكه بذلك.

على أي حال، سوف نتعرّف على تفاصيل هذه الحالة الميئوس منها في الفقرات التالية، لكن بخصوص موضوعنا الأساسي وجب العلم بأن ***"المنطق العام"، بكل ما يشمله من أفكار ومعتقدات ونماذج ومفاهيم ومصطلحات، يُعتبر أكبر العوائق المانعة لتفعيل القدرات الخارقة.***

ربما يعتقد البعض بأنه أصبح لديهم فكرة عن القصد من "المنطق العام"، على الأقل من وجهة نظرهم الخاصة. لكن مهما كان الأمر، فإن الفكرة الجوهرية تبقى مبهمة وضبابية، ولهذا السبب لازال الكثير من الناس يظنّون بأنهم متحررون من تأثير "المنطق العام".

قد يعتقد البعض الذين يعتبرون أنفسهم متحررين فكرياً بأن المعنى الفعلي "للمنطق العام" يتمثّل بأن أكثرية الناس يواجهون صعوبة في التفكير بنفسهم ولنفسهم، فينخرطون في توجهات فكرية معيّنة ويذهبون إلى تقليد بعضهم البعض في طريقة تفكير محددة تم وضعها من قبل جهة أو سلطة فكرية معيّنة. أما نحن المتحررين فكرياً فلسنا هكذا إطلاقاً، وحتى لو تعرّضنا لتأثيرات "المنطق العام" فنستطيع الإفلات منه متما شئنا.

إلى هذه النوعية من الأشخاص "المنفتحين فكرياً" أرغب في توجيه سؤال مهم: كيف يستطيع الفرد أن يعتبر نفسه متحرراً من تأثير "المنطق العام" في الوقت الذي يستخدم فيه اللغة التي تتمحور كامل مصطلحاتها ومفاهيمها وصورها البيانية والمجازية وتعبيراتها ومواضيعها حول هذا "المنطق العام"؟! وطالما بقي ملتزماً باستخدام ذات اللغة (كوسيلة تواصل تمكنه من التفاعل مع البيئة الاجتماعية التي نشأ ويعيش وسطها) فهو بالتالي لازال يشارك فعلياً في تكريس هذا المنطق العام.

الشخص الذي يعتبر نفسه متحرراً من أي تأثير أيديولوجي أو ثيولوجي أو غيرها من عقائد ومذاهب فكرية بحيث يشعر أنه يتمتع بحريّة الاختيار، يستطيع الخلاص

من قيود المذهب الفكري مهما كانت قوية.. لكنه لا يستطيع التحرر من قيود المنطق العام. هناك فرق كبير بين "المذهب الفكري" وبين "المنطق العام".

وجب الانتباه إلى نقطة مهمة هي أن القصد من طرح هذا الموضوع ليس لانتقاد أو التقليل من شأن "المنطق العام" بشكل عام، حيث أن صناعة "منطقاً عاماً" تُعتبر عملية أو حرفة تدخل في تركيبة الكائن البشري منذ بداية نشوء التجمعات البشرية، ووجودها ضروري من أجل صنع نماذج فكرية معيّنة تساعد على تماسك المجتمع. لذلك فصناعة "المنطق العام" هي ليست عملية ضرورية فحسب، بل هي موجودة لتبقى طالما بقي الكائن البشري يعيش في مجموعات ومجتمعات اعتمد أفرادها على بعضهم البعض من أجل البقاء.

سوف تتوضّح لاحقاً في الصفحات القادمة حقيقة أن "المنطق العام" له طبيعة اجتماعية، وأنه قد يحتوي على عوامل تساهم في تعزيز مجموعة واسعة من النشاطات. لكنها بنفس الوقت تمنع أو تعيق ظهور نشاطات كثيرة أخرى. قد تكون هذه العوامل المعيقة ظاهرة وواضحة، أو يمكنها أن تكون مُبطّنة ومخفية. وكذلك يمكن لهذه العوامل المعيقة أن تنبعث من المفاهيم الخاطئة دون أن توحي بذلك.

يعود سبب استمرارية "المنطق العام" إلى حقن مفاهيمه الأساسية للآخرين عبر قنوات تواصل مختلفة، مثلاً: عبر التعليم، التكيّف، الإقناع، الدعاية.. إلى آخره. لكن الوسيلة الوحيدة والفعّالة لعملية الحقن هذه هي التي لا يتصوّرها أحد أو يفطن لها أبداً وتتمثّل بـــ"اللغة"، حيث عندما يتعلّم أحدنا "اللغة"، يتعلّم معها المصطلحات المصحوبة بالمعاني التي حددها "المنطق العام" وقرّر مغزاها وماهيتها.

في علم الاجتماع، يشير المنطق العام الاجتماعي إلى ما يظنه عدد كبير من الناس (الأغلبية) بأنه يمثّل الحقيقة. وجب التمييز بين المنطق العام وما نعرفه بـــ"العقلية" (طريقة التفكير)، حيث أن المنطق العام قد يحتوي على عدة "عقليات" ابتداء من

تلك التي على مستوى مجموعة بشرية بكاملها ونزولاً إلى مستوى الفرد الذي قد يتمتع بعقلية خاصة به.

من المرجّح إيجاد "العقليات" بين تجمعات اجتماعية مؤلفة من أفراد ينسجمون مع ذات الميول والنزعات. يمكن لهذا النوع من المجموعات المشتركين بعقلية واحدة أن يشكّلوا "منطق عام" خاص بهم، لكنه سيبقى "منطق محلّي" ونادراً ما يحرز المرتبة العالمية.

فمجال الباراسيكولوجيا مثلاً، ورغم أن العلم المنهجي يعتبره مرتعاً للحمقى والأغبياء، إلا أنه يحوز على "منطق عام" خاص به. لكن بنفس الوقت، يتألف من مجموعات مختلفة لكل منها "عقليتها" الخاصة.

هذا الترتيب الاجتماعي موجود في كل مكان وينطبق على كافة المجالات، إن كانت علمية، دينية، اجتماعية.. إلى آخره.

النتيجة المعتادة لتشكيل "منطقاً عاماً" هي أن ما يعتبر هذا المنطق بأنه صحيحاً يصبح ثابتاً نوعاً ما، فيرسخ دعائمه بقوة مع الوقت لدرجة يستحيل زحزحته، فيصبح غير قابل للمناقشة أو التشكيك، وأخيراً تنمو لديه مناعة حديدية بحيث يصعب تغييره أو إجراء أي تعديلات فيه.

حتى لو كانت الأمور غير مستقرّة مع هذا المنطق العام، لكن مهما كانت الأوهام والخرافات التي تشوبه إلا أنها تخدم غاية مهمة جداً وهي جعل تماسك المجتمع ممكناً وتحفظ بقاءه. وإذا كان هناك خيار آخر غير ذلك فهو ما يشير إليه الناس بـــ"الفوضى". فبالتالي، من الأفضل التوحّد حول أفكار معيّنة مهما كانت واهمة وخرافية، لأنها تبقى أفضل من خيار "الفوضى" الذي لا يرغب به أحد، خصوصاً سلطة هذا التجمّع البشري مهما كان نوعها.

يبدو أن مهنة تشكيل "منطق عام" تُعتبر من السمات المهمة لفصيلتنا البشرية ككل، حيث أنه يُصنع في كل مكان وكل زمان. وعادة ما يُحاولون تخليده حتى الرمق الأخير، خاصة إذا أصبح من النوع المسيطر والسائد على مستوى واسع. والمشكلة تزداد في أنه كلما زاد سواده ورسوخه كلما عزّز الوهم بصحته ومدى أهليته.

يمكن الحديث كثيراً عن صناعة "المنطق العام"، لكن عادة ما نصل إلى طرق مسدودة على المدى البعيد. إذا تناولنا أحد الجوانب الحسنة، من الواضح أن صناعة "المنطق العام" تُعتبر من الركائز الأساسية للمحافظة على التماسك الاجتماعي.

أما من ناحية السلبيات، والتي هي كثيرة طبعاً، فأهمها هو أن كل "منطق عام" اجتماعي قد استُخدم عبر التاريخ لهدف محاربة والقضاء على "المنطق العام" الاجتماعي العائد لمجموعات بشرية أخرى. وغالباً ما تكون النتائج وخيمة ومفجعة، حيث كل من الفريقين، الموهومين بأفكار "منطقهم العام" البعيدة أصلاً عن الواقع، يعامل الآخر بطريقة بائسة، مجرمة، وعديمة الرحمة.

في الحقيقة، إن تشكيلات وتفرّعات ومتاهات موضوع "المنطق العام" معقدة جداً لدرجة أنني أفضّل رفع مجال القدرات الخارقة منها واصطفاءها بذاتها، لكن هذا مستحيل، لأسباب كثيرة سوف تتوضّح بالتتابع عبر الفقرات التالية.

لكن كمعلومة أولية، وجب العلم بأن المنطق العام الذي يسود كل من المجتمعات المعاصرة، إن كان من الناحية الدينية أو العلمية، يحتوي على عوامل معوّقة ومثبّطة لعملية تجسيد القدرات الخارقة.

يمكن اعتبار أن معظم العوامل المعوّقة تمثّل ما يمكن وصفه بفيروسات تنخر في منظومة معالجة المعلومات الكامنة في جوهر أفراد مجتمع معيّن، أو مجموعة بشرية معيّنة، وبالتالي تعمل على تحريف أو تشويه أو إبطال عملية معالجة المعلومات الذهنية لدى كل فرد.

أغلب الظنّ أن "الوسطاء الطبيعيين" يفلتون بطريقة أو بأخرى من هذه العوامل الاجتماعية المعوّقة، مهما كانت قوية ومؤثّرة، ويبدو واضحاً أنهم يكتشفون قدراتهم الاستثنائية بالصدفة في وقت مبكر في حياتهم، وذلك من خلال مرورهم بمرحلة تحوّل نتيجة صدمة نفسية أو جسدية معيّنة أو ما شابه، ويُشار إلى هذه الحالات التحوّلية بالكلمة الإغريقية "ميتانويا" Metanoia، أي يمكن وصفها بحالة تغيير مفاجئ للعقل/الدماغ فينتقل للعمل من وتيرة متدنية إلى وتيرة مرتفعة.

بعد إجراء دراسات تهدف إلى تمييز العوامل المعوّقة بحيث أصبحت واضحة ومفهومة، نتج من ذلك تطورات غير متوقعة. أهم هذه التطورات هو أن الملكات المسؤولة عن القدرات الخارقة بدأت، وبشكل أوتوماتيكي، تبدي أداء أفضل. ودرجة هذا الأداء ارتبط بدرجة إزالة العوامل المعوّقة التي تم تمييزها وفهمها.

هذه الحالة تشير بوضوح إلى أنه مجرّد ما تم فهم وتمييز هوية وأصول الفيروسات الفكرية المعشعشة في منظومة معالجة المعلومات الذهنية لدى الفرد، سوف تتوقّف فوراً عن عملها المعيق الذي تمتدّ سطوة تأثيره لتشمل كافة المراكز العصبية/الحسية.

لقد توضّح أن كامل الأنظمة العصبية/الحسية تخضع لتغييرات ميكروية MICRO-CHANGES جذرية مجرّد أن تم إبطال مفعول تلك الفيروسات الفكرية. وحالة التحوّل هذه مشابهة للحالة التي أشار إليها الإغريق القدامى بـــ"الميتانويا" Metanoia.

في كافة الأحوال، إنه من المنطقي والعقلاني أن نفترض بأنه عندما يتم إبطال مفعول الفيروسات المعلوماتية في أي منظومة معالجة معلوماتية، سوف نتوقّع حصول شيء ما في أداء هذه المنظومة المعالجة للمعلومات. وطبعاً الأداء سوف يتحسّن بشكل جذري لأن المنظومة عادت للعمل بشكلها الطبيعي الذي كان مشوهاً سابقاً بفعل وجود الفيروسات.

العقل العضوي البشري يمثّل بكل تأكيد منظومة معالجة معلومات، وليس هذا فحسب، بل يمثّل مجموعة واسعة ومتسلسلة من أنظمة معالجة معلوماتية. والوسيلة الوحيدة والأكثر فعالية لإبطال مفعول الفيروسات المعلوماتية المعوّقة هو ببساطة ضربها حتى الموت، وهذا لسببين رئيسيين:

ــ مجرّد ما انتقلت الفيروسات المعلوماتية إلى الأفراد واستوطنت في كيانهم الفكري، سوف تبدي مناعة كبيرة ضدّ التغيير أو التحوّل أو التعديل بأي شكل من الأشكال.

ــ هي مخفيّة عميقاً داخل الأنظمة المعرفية التي تحتويها، وبالتالي يصعب تمييزها وتحديدها بدقّة خلال عملية الاستكشاف الذاتي أو التأمّل الباطني الذي يجريه الفرد لنفسه بحثاً عن مكامن المعوّقات.

الوسيلة الوحيدة والفعالة لضرب هذا النوع من الفيروسات المعلوماتية حتى الموت هو التوقّف عن معالجة المعلومات عبرها، أو العمل على إنشاء ممرات جديدة تلتفّ حولها.

من أجل استيعاب القصد من الكلام السابق وتوضيح الفكرة بشكل جيّد سأذكر مثال واحد يمثّل إجراء بسيط لكنه فعّال جداً في إحداث تغيير جذري في منظومة معالجة المعلومات لدينا:

بدلاً من القول: *".. كيف أستطيع التعلّم لأن أصبح وسيطاً روحياً.."*، سوف نستبدلها بعبارة أخرى أكثر فعاليةً ووقعاً: *"..كيف أستطيع تفعيل عناصر القدرات الخارقة للعقل العضوي البشري.."*

وجب العلم بأن الكلمة "وسيط روحي" psychic تمثّل مفهوم غامض وذو طبيعة زئبقية بحيث يصعب تحديد معناه بشكل دقيق، ورغم ذلك نحن نستخدمه دائماً خلال تناول هذه المواضيع. هذا المفهوم يمثّل فيروس قائم بذاته لازال يعشعش في منظومة معالجة المعلومات لدينا ويعمل على تعطيل الكثير من العناصر المساعدة على استنهاض قدراتنا الخارقة.

وبشكل مماثل، وجب إجراء تعديل جذري في كافة المصطلحات والأسماء التي نستخدمها للإشارة إلى أي موضوع يتعلّق بهذا المجال حيث نستبدلها بمصطلحات أكثر وقعاً وفعالية، وأكثر انتماءً للصورة الكبرى لطبيعة الكائن البشري.

ملاحظة: كلمة وسيط روحي psychic تمثّل في الحقيقة أشياء كثيرة حيث يستخدمون هذا المصطلح للإشارة إلى الشامانيين، السحرة، المستبصرين، المتصوفيين، محضّري الأرواح.. وغيرهم من أشخاص يستعرضون قدرات استثنائية بأشكال وطرق وطقوس مختلفة ووفق مفاهيم مختلفة، لكن كل منهم ينتمي لصورة صغرى قائمة بذاتها وتنفصل بشكل كلّي عن الصور الأخرى.

سوف أستمرّ في استخدام هذا الاسم (وسيط psychic) للإشارة للأشخاص الموهوبين لسهولة استيعاب الأفكار وتجنباً للتعقيد، حيث أن هذا الاسم هو المألوف لدى أغلبية الناس.

لقد أثبتت القدرات الخارقة وجودها ليس عبر الوسطاء الروحيين فحسب بل عبر مجموعة واسعة من القدرات المُفعّلة تلقائياً لدى عدد كبير من الأشخاص الذين لا يؤمنون بأنهم "وسطاء" أصلاً. يمكن لهذا التجسيد أن يكون مؤقتاً كما هو الحال في

أغالب الأحيان، لكنه يشير بوضوح إلى أن العناصر المساعدة على تجسيد هذه القدرات هي موجودة على المستوى الفصيلة البشرية ككل.

إذا أردنا التعبير عن الموضوع إحصائياً يمكننا القول بأن منظومة معالجة المعلومات التابعة لنسبة قليلة فقط من الكائنات البشرية هي مهيّئة ومنظّمة بطريقة تجعلها تسمح بتجسيد هذه القدرة أو تلك. وهذا ما يتميّز به "الوسطاء الطبيعيين" عن غيرهم من البشر. لكن حتى في حالة هؤلاء الوسطاء الطبيعيين، فإن قدراتهم الخارقة، مهما أبدته من عجائب ومعجزات، تبقى محدودة جداً بالمقارنة مع الطيف الواسع من القدرات التي يمكن أن يستعرضها الكائن البشري. هناك الكثير من القدرات التي لم يتم اكتشافها أو تخيّل وجودها أصلاً بسبب محدودية الواقع الذي نشأ الإنسان على إدراكه.

حوالي ٩٠% من البشر يختبرون بشكل متواتر، أو مرّة واحدة على الأقل في حياتهم، إحدى تجسيدات أو مظاهر قدرة خارقة. وهذا يجعلنا نفترض نظرياً بأن عناصر القدرات الخارقة تكمن في فصيلتنا ككل، حيث تجسيداتها العفوية تحصل على نطاق واسع، في كل الحضارات والثقافات، وعلى مدى تاريخ فصيلتنا البشرية. إن ما جعلنا نفترض بأن القدرات الخارقة هي قديمة بقدم فصيلتنا على هذه الأرض هو استمرارية الحضور التاريخي لتجسّد هذه الملكات الخارقة بأشكالها المختلفة والمتنوعة.

إذاً، فوجودها يسبق أي معالجة اجتماعية لها، وكذلك يسبق المعالجات الثقافية التي برزت واندثرت عبر القرون، وبالتالي تسبق كافة المكتنفات الاجتماعية التي برزت واندثرت عبر العصور.

هذا يفسّر إحدى الظواهر الثابتة المتعلقة بتجلّي القدرات الخارقة بشكل بارز عند الأطفال قبل أن ينخرطون بشكل كلّي في نظام البرمجة لبيئتهم الاجتماعية حيث تنتقل إليهم الفيروسات المعوّقة خلال عملية البرمجة الاجتماعية تلك.

وفقاً لذلك، أصبح بإمكاننا الافتراض بأن الطريقة الأكثر فعالية في تفعيل ملكات القوى الخارقة تتمثّل بدراسة الطبيعة الفعلية لتلك الملكات على مستوى الفصيلة البشرية ككلّ وليس على المستوى الفردي أو على مستوى اجتماعي معيّن أو ثقافة معيّنة.

السبب العملي لهذا التحوّل في بؤرة التركيز يتمثّل في أنه يتم معالجة القدرات الخارقة والنظر إليها بطرق مختلفة إن كان على مستوى اختلاف الأفراد أو المجموعات البشرية المختلفة أو الثقافات أو الأوطان والأمم أو حتى الكيانات العلمية أو التعليمية أو الفكرية... وهكذا إلى لا نهاية. والقليل من هذه الطرق المختلفة تنسجم أو تتوافق مع بعضها.

على أي حال، فهذه الطرق المختلفة لمعالجة القدرات الخارقة تتشكّل على الأغلب نتيجة معايير اجتماعية، ومعظم هذه المعايير تساهم بشكل فعال في تحريف (أو تدمير) الجانب الإدراكي/الذهني المسؤول عن استنهاض تلك القدرات.

عند هذه النقطة بالذات أصبح من الضروري الحديث عن المعضلة المتمثلة بالتسامح أو عدم التسامح الاجتماعي مع القدرات الخارقة ومدى تأثير هذا العامل على تجسيد تلك القدرات.

الدلائل الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية تشير بقوة إلى وجود درجة كبيرة من التساهل لدى الحضارات القديمة مع القدرات الخارقة (إن كان من ناحية الاعتراف بها، أو عدم تكفيرها). ولا بد من أن هذا التسامح يستند على إلمام واسع وعميق بالقدرات الخارقة. كان التوقّع شائعاً في حينها بإمكانية تجلّي القدرات الخارقة لدى نسبة معتبرة من الناس، ولهذا السبب تم تصميم مناهج تدريبية خاصة لاستنهاضها بشكل منظّم.

هذه المعرفة (المنهج التدريبي)، مهما كانت تحتويه من مفاهيم ومبادئ، أصبحت اليوم مفقودة، محرّفة، فاسدة، تحوّلت إلى أساطير، أو تم تبسيطها لدرجة السخافة. والعامل الأهم الذي ضاع مع هذه المعرفة هو "المنطق العام" الذي ساد في تلك الفترات القديمة واحتضن تلك المعرفة وعزّزها. إنه المنطق ذاته الذي أصبحنا نعتبره الآن "خرافي" أو "متخلّف" أو "ماورائي" أو "كافر" أو غيرها من نعوت مختلفة.

بما أن "المنطق العام" الذي يسود اليوم هو منطق علماني "مادي" لا يؤمن سوى بكل ما هو مرئي وملموس، أو منطق ديني لا يتسامح مع أي شيء ماورائي سوى الماورائيات الدينية، فسوف لن نستفيد من تلك المعرفة القديمة حتى لو توفّرت اليوم كاملة متكاملة وبأبهى حلّتها، والسبب هو غياب المنطق العام الذي يعزّزها ويدعمها.

إذاً، يبدو أننا في هذه الحالة أصبحنا وحدنا، إلا إذا ابتكرنا مفاهيم معاصرة توازي تلك المفاهيم القديمة. لكن المسألة هنا تكمن في أن الأسماء والمصطلحات التي سنستخدمها لتمثّل المفاهيم المعاصرة قد تختلف جوهرياً وتعجز عن إصابة الهدف الحقيقي من وضع المفاهيم القديمة أصلاً.

على أي حال، كان توقّع تفعيل القدرات الخارقة (بشكل معيّن) في الثقافات القديمة مستساغاً عندما تتجسّد، وكثرة حدوث هكذا حالات في تلك الفترة غالباً ما تطلّب معايير مؤسساتية لإدارتها، مثل المناهج الخاصة بالاستبصار التي كانت سائدة في كل من مصر القديمة، الهند، اليونان، فارس، الصين، والحضارات الأمريكيتين.. إلى آخره.

وهكذا فإن الحضارات القديمة لفصيلتنا البشرية مشبعة فعلياً بالدلائل المشيرة إلى حقيقة أنه إذا ساد التسامح والتساهل مع تجلّي القدرات الخارقة في المجتمعات، فسوف تتجسّد بأعداد كبيرة ودرجة عالية من التواتر.

ومن ناحية أخرى، فإن الضوابط الاجتماعية التي لا تتساهل مع القدرات الخارقة ليست فقط مسؤولة عن قمع تواتر تجسيد هذه القدرات، بل مسؤولة أيضاً عن إحداث حالة تشويش وخلط وإرباك في الشؤون المتعلقة بالعملية بحيث يصبح التفعيل الإرادي لهذه القدرات صعباً أو حتى مستحيلاً.

لكن حتى لو كان الأمر كذلك، هكذا ضوابط اجتماعية صارمة لا تستطيع محو أو إزالة القدرات ذاتها، طالما أنها تعتبر ملكات كامنة في جوهر الفصيلة البشرية ككل وبالتالي ترتقي بمستواها فوق أي ضوابط أو معايير اجتماعية.

وهكذا فإن أنواع وأشكال مختلفة من القدرات الخارقة تستمرّ في البروز بشكل تلقائي بين الحين والأخرى حتى ضمن بيئات اجتماعية لا تتساهل مع هذه القدرات أصلاً.

الأشخاص الذين، ولسبب ما، اكتسبوا أنواع مختلفة من التفاعل الإدراكي مع ملكات قدراتهم الخارقة يُشار إليهم باسم "وسيط" psychic. طبعاً هذه الكلمة لا تمثّل المعنى الحقيقي للأمر لكنه مصطلح شائع وأصبح يعبّر عن هذه الحالة بشكل عام. لكن في الحقيقة هناك عدد كبير من الأسماء التي تُستخدم إلى هذا النوع من الأشخاص حسب اختلاف نوع الحضارة أو الثقافة أو المجتمع.

النقطة المهمة هنا والتي قد لا نفطن لها تتمثّل في أن ***الإشارة إليهم بأسماء مختلفة يعني أنه تم تعريفهم وفق مفاهيم وتصوّرات مختلفة.*** وهنا بالذات نصطدم بمسألة كبرى لم نفطن لها أبداً رغم أنها تمثّل إحدى أهم المسائل المتعلقة بفهمنا الحقيقي، ليس فقط لملكات القدرات الخارقة التي تتمتع بها فصيلتنا البشرية، بل كافة الملكات الذهنية الأخرى بما فيها تلك التي تنتج "الإبداع".

من أجل تفسير طبيعة هذه المسألة الكبرى، وجب التعرّف على حقيقة أن ***التصوّرات والمفاهيم المختلفة التي يُنظر من خلالها إلى هذا المجال تؤدّي إلى***

تجسيد مظاهر مختلفة ونتائج مختلفة، بينما هناك تصوّرات ومفاهيم معيّنة لا تؤدي إلى أي نتيجة بالمطلق إذا كانت خارجة عن السياق تماماً خلال النظر إلى الموضوع.

حتى أن التصوّرات والمفاهيم المختلفة تؤدي إلى توقعات مختلفة وتقديرات مختلفة. كما أنها تؤدي إلى تكهنات مختلفة، لا تتعلّق بالنتيجة فحسب، بل تتعلّق أيضاً بما يتطلّبه الأمر أو لا يتطلبه من أجل الحصول على نتيجة.

المفهوم أو التصوّر conceptualization هو ***صيغة*** يستخدمها الناس كأساس لأدائهم الفكري، وتُستخدم أيضاً لتفسير والحكم على الأشياء. مع العلم أن كل مجتمع أو حضارة أو ثقافة لديها ***صيغتها*** الخاصة للنظر إلى الأشياء.

نستنتج من ذلك حقيقة أن ***مجموعات مختلفة من فصيلتنا البشرية***، والتي تأقلمت مع تصورات ومفاهيم مختلفة، ***تعمل على فهم، وتفسير، وتقدير، والحكم على ظاهرة خارقة معيّنة بطرق مختلفة تماماً***. وهذا يجعله من الصعب جداً إيجاد صلات وصل أو تشابهات بين الصيغ المختلفة التي تستخدمها مجموعات بشرية مختلفة خلال نظرها لظاهرة واحدة.

وبالتالي، إذا سعينا للنظر إلى ملكات القدرات الخارقة من خلال ***الصيغ والمفاهيم*** المصنوعة محلياً، فسوف نحقق ما تسمح به هذه المفاهيم فقط. ومهما كان هذا الشيء الذي تسمح به، فربما لا يتوافق مع الصيغ والمفاهيم المصنوعة في مكان آخر.

ما أحاول قوله في ما سبق هو أن المفاهيم الفردية والاجتماعية تتحكّم بالعدسات البصرية العقلية التي نحكم من خلالها على ما يتجسّد أمام أنظارنا من هذه الظواهر الخارقة.

من المهم هنا التشديد على أنه من الصعب أن "يرى" أحدهم الظاهرة الخارقة بشكل مباشر ومجرّد، إذا صحّ التعبير. ما يتم رؤيته فعلياً هو:

[١] الظاهرة

[٢] المفاهيم التي ننظر من خلالها إلى الظاهرة، وبالتالي يتم ترشيحها لينتج من ذلك ما نعتبره [٣] الذي هو ناتج من [١]+[٢].

إذاً، ما نراه من الظاهرة الخارقة المتجسّدة أمامنا هو [١]+[٢]=[٣] مهما كانت تمثّله هذه الأخيرة. مع العلم أن [٣] تتألف على الأرجح مما تمثّله [٢] أكثر من ما تمثّل [١].

من المؤكّد أن الظاهرة سوف تُختصر أو تُعدّل لتلاءم العدسات البصرية للمفاهيم التي يتم النظر أو الحكم أو الاستيعاب من خلالها. وهناك العديد من الأدلة التجريبية المباشرة التي تراكمت عبر السنوات وتشير جميعاً إلى أن تفعيل القدرات الخارقة يتوافق مع [٢] أكثر من [١].

المصطلح "وسيط" psychic يُعتبر مفهوم صعب وضبابي على الأغلب لأن الذين يستخدمونه خلال حديثهم يفعلون ذلك باعتباره تصنيف أو اسم شائع، دون أن يدركوا بأن الاسم ذاته لا يكشف الكثير عن الوظائف الكامنة وراءه، هذا إذا لم يشيروا إلى تلك الوظائف بأنها "وسيطية" وهذا بالتالي يزيد من المشكلة لأنه يعيدنا إلى مسألة التصنيف السطحي للموضوع.

الأمر ذاته ينطبق على المصطلحات الأخرى الشائعة في المجتمعات البشرية المختلفة، مثل: عرّاف، بصّار، شامان، متنبّئ، روحاني، ساحر، مشعوذ.. وهكذا إلى آخره.

بمعنى آخر، الطريقة التي نشير بها إلى الشخص الذي يستعرض أحد أنواع القدرات الخارقة لا تكشف لنا شيئاً عن إجراءات التفعيل الداخلة في العملية.

المفهوم الذي يستخدم مصطلحات شائعة لكنها فارغة المضمون (مثل كلمة "وسيط") يعمل كأداة تصنيف سطحية، حتى لو أشارت إلى أمور تتجاوز الشخص ذاته. إن ما يقبع وراء ***المفهوم التصنيفي*** قد يختفي تماماً حتى لو كنا نعلم عما نتكلّم خلال استخدام هذا المفهوم. قد يقول أحدهم: ".. هذا الشخص يمتلك قدرات وسيطية أو روحية.."، لكن إذا سألته عن تفاصيل ما يتحدث عنه سوف ينجرف إلى حالة غموض والتباس وإرباك شديد.

إذاً، خلال قيام مجموعات بشرية مختلفة، حضارات مختلفة، ثقافات مختلفة، أمم مختلفة.. إلى آخره، باستخدام "اسم" أو "تصنيف" معيّن للإشارة إلى أشخاص يستعرضون هذه القدرة الخارقة أو تلك، فما يقومون به هو عمل "انتقاصي" reductionist وليس عمل "استقصائي" investigative للظاهرة.

إحدى أهم الأمور التي تكشف لنا عن حقيقة أن ملكات القدرات الخارقة تشمل كامل فصيلتنا البشرية تتمثّل في أن الأشخاص الذين يختبرونها بشكل تلقائي ويبلّغون عن تجربتهم، يميلون إلى وصف تفاصيل ما اختبروه بشكل متشابه أو متطابق أحياناً، مهما اختلفت الثقافة أو البيئة الاجتماعية التي ينتمون إليها.

لكن كل ما يقولونه عن ما اختبروه يخضع لصيغة المفاهيم الاجتماعية المحلية، بما فيها من مصطلحات وتسميات خاصّة للإشارة لما اختبروه. فبالتالي تضيع نسبة كبيرة من تفاصيل ما اختبره الشخص لأنه لا يجد مصطلحات دقيقة للتعبير عنها، أو أنه لا يجد مصطلحات أصلاً للكثير من الأمور التي يرغب في التعبير عنها. فبالتالي، يتلقى المستمعون هذه الرواية بصيغة منقوصة (أي تم هضم وإقصاء الكثير من تفاصيلها دون قصد من الراوي) لكنهم يظنون بأنهم سمعوا الرواية كاملاً وبكل تفاصيلها وتعرّفوا على كل ما اختبره الراوي بالتفصيل.

وهكذا فالبيانات أو التفسيرات المتناولة للتجربة الحقيقية تذهب مع الرياح ويتم تناقل الرواية بالاستناد على ما استوعبه المستمعون من الراوي المختبِر.

والذين يتلقفوا الرواية لاحقاً، شفهياً أو عن طريق القراءة، بما أنهم ينظرون للأمور وفق صيغة المفاهيم الاجتماعية المحلية وما تشمله من مصطلحات وتسميات خاصّة، يظنون بأنهم فهموا جيداً ما اختبره الشخص. وبعدها، يقرّر بعضهم أنه بإمكانهم "تطوير" القدرات ذاتها التي استعرضها الراوي الأوّل، فيستخدمون النسخة المنقولة من الرواية كإرشاد أوّلي لعملهم، فيُصابون بالإحباط في نهاية الأمر لأن تلك "الرواية الإرشادية" لم تفلح في مساعدتهم.

الفكرة الأساسية هنا واضحة جداً، وتتجلى في أن مجموعة المفاهيم/المصطلحات المتعلقة بالعناصر المطلوبة لتفعيل القدرات الخارقة، إذا كانت تحتوي على مفاهيم مغلوطة وخاطئة فسوف تؤدي إلى، ليس الفشل في عملية التفعيل فحسب، بل أيضاً إلى تعطيل مفعول المفاهيم الصحيحة التي تتناول تلك العناصر.

إذاً، فالمعلومات المُعالجة ذهنياً بالاعتماد على ***مفاهيم خاطئة*** سوف تؤدي حتماً إلى حدوث حالة انحراف في مكان ما خلال مسيرة التفعيل، فتتعطّل العملية بالكامل.

كما رأينا سابقاً، يُعتبر عامل "المفاهيم" مهم جداً في عملية تفعيل القدرات الخارقة. إنه يمثّل تحدّي حقيقي، خاصة بعد يقيننا بأن هكذا قدرات موجودة بالفعل، لكنها تمتنع عن النهوض والتجلّي.. وكل هذا بسبب استخدام ***مفاهيم خاطئة*** خلال محاولات تفعيلها.

كل هذا وفي الوقت ذاته، نجد أن التاريخ البشري الطويل شهد تجسيدات تلقائية لأنواع مختلفة من هذه القدرات الاستثنائية. الكثير من الظواهر الموثّقة التي تعود للوراء ٦ آلاف سنة على الأقلّ. والكثير من المناهج التدريبية الهادفة لتطوير هذه القدرات برزت واندثرت عبر توالي القرون.

لكن النتيجة النهائية والواضحة هي أن فصيلتنا البشرية، رغم امتلاكها لهذه الملكات، لازالت اليوم محرومة منها بصيغتها المفعّلة.

الآن حان وقت توضيح كافة الأفكار المطروحة في كل المواضيع التي وردت في الصفحات السابقة. سوف أفعل ذلك من خلال تناول موضوع واحد بعينه لتحقيق هذا الغرض. سوف نتناول نموذج واحدة فقط من القدرات الخارقة لكي نتجنّب التعقيد الذي سينتج من تناولها جميعاً. هذه القدرة هي الأكثر شيوعاً والمعروفة بشكل عام بـــ"الاستبصار" أو "الجلاء البصري" أو "الرؤية البعيدة".



الرؤية البعيدة أو الاستبصار



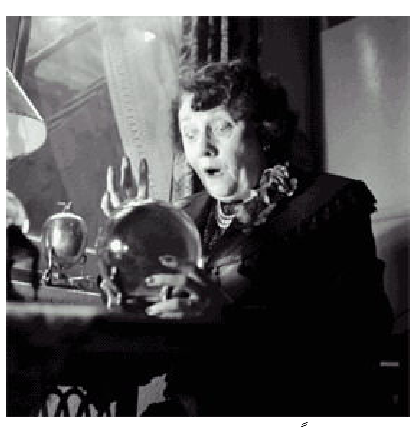
لقد استخدم الإنسان عبر التاريخ وسائط وأساليب عديدة ليسخّر من خلالها قواه الإدراكية الكامنة بحيث يتسنى له استكشاف عالم الغيب الغامض واللامحدود. استخدموا أدوات ووسائط مختلفة تلعب دور وسائل استشارة وقد عمل بها العرافون لغاية واحدة هي إزالة الحجاب عن عالم الغيب وسبر أسراره.

من بين هذه الأدوات وأكثرها شهرة هي "البلورة" أو "الكرة الكريستالية". رغم تعدد مكوناتها وأشكالها وطرق استخدامها إلا أن المبدأ واحد والنتيجة واحدة. المستلزم الأساسي لممارسة هذا النوع من القدرات العقلية يتمثّل في أي سطح مصقول لدرجة اللمعان بحيث يمكن للمستبصر أن يحدّق إليه بإمعان، كالمرآة العادية مثلاً، أو كرة من الرصاص أو الحديد المصقول، أو كرة زجاجية مفرغة مملوءة بالزئبق أو الحبر، وهناك من يحدّق إلى سطح الماء الساكن أو بقعة من الحبر، وجميعها أثبتت جدواها بنفس درجة الكرة الكريستالية الشائعة الاستخدام.

يُقال بأن الفرس هم أوّل من برع في استخدام الكرة الكريستالية المصقولة. أما الإغريق فاستخدموا مرآة صافية، وهذه الطريقة بقيت منتشرة في أوروبا حتى بدايات القرون الوسطى. وقبيلة الهويلشي في أمريكا الجنوبية استخدمت الحجر البازلتي الأسود المصقول حتى اللمعان. وقد تحدث المستشرق "أدوارد لاين" في إحدى كتاباته عن رحلته إلى مصر عن استخدام بقعة من الحبر حيث يُستخدم أحد

الأطفال للتحديق إليها وتبليغ ما يراه للشيخ. وهناك من استخدم حفرة في الأرض مملوءة بالماء كما هي الحال في الجزر الجنوبية للمحيط الهادي. وهناك من يستخدم زجاجة مملوءة بالماء مع إضافة بعض من الملح. وجميع هذه الوسائط طبعاً تستخدم مُرفقة بطقوس معيّنة تختلف حسب اختلاف البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها الممارس، كتلاوة بعض الترتيلات أو الأقسام وإشعال البخور ورسم الطلاسم والدوائر السحرية وغيرها من إجراءات أثبتت التجربة عدم جدواها أو ضرورتها، لأن السرّ يكمن في الممارس وليس الوسائط أو الطقوس.





الكرة الكريستالية هي أكثر الوسائط شيوعاً بين المستبصرين

لقد اقترب المفكّر والفيلسوف ابن خلدون من الحقيقة حين ذكرها في أحد أعماله واصفاً الظاهرة المرفقة مع عملية الاستبصار عبر التحديق إلى "المرآة السحرية". فكتب يقول:

".. البعض يعتقد بأن الصورة المدركة بهذه الطريقة تتخذ لنفسها شكلاً على سطح المرآة، لكنهم مخطؤون. البصّار ينظر إلى هذا السطح بإمعان حتى يختفي السطح تماماً من مجال نظره، فيظهر محله ستاراً ضبابياً وكأنه يتوسّط بين المرآة وبين البصار. وفوق هذا الستار الضبابي تظهر الأشكال التي يرغب في رؤيتها، وهذا يسمح له بتقديم دلالات، إما بالإيجاب أو السلب، فيما يتعلّق بالمسألة التي سُئل

عنها. ثم يوصف الرؤيا التي استلمها كما تتجلى له. خلال وجود البصارين في هذه الحالة، هم لا يرون ما وجب رؤيته عبر المرآة، إنها نوع آخر من الرؤية وتولد معهم بالفطرة، وهي لا تُدرك بالعين بل عبر الروح.."

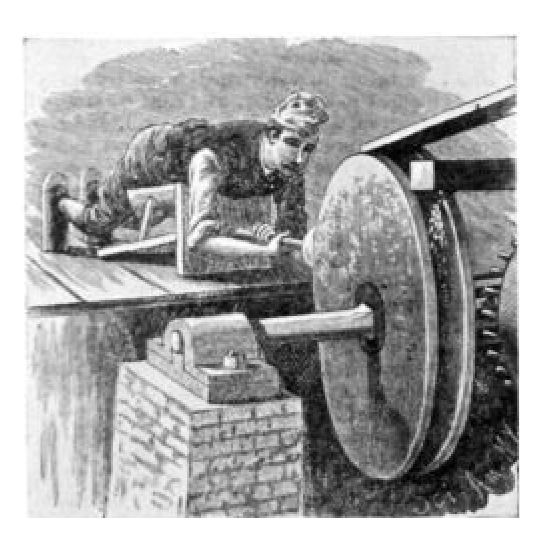


مجموعة من كرات كريستالية المخصّصة للإستبصار في اليابان.



كرة كريستال على شكل تحفة فنية يابانية مخصّصة للاستبصار.

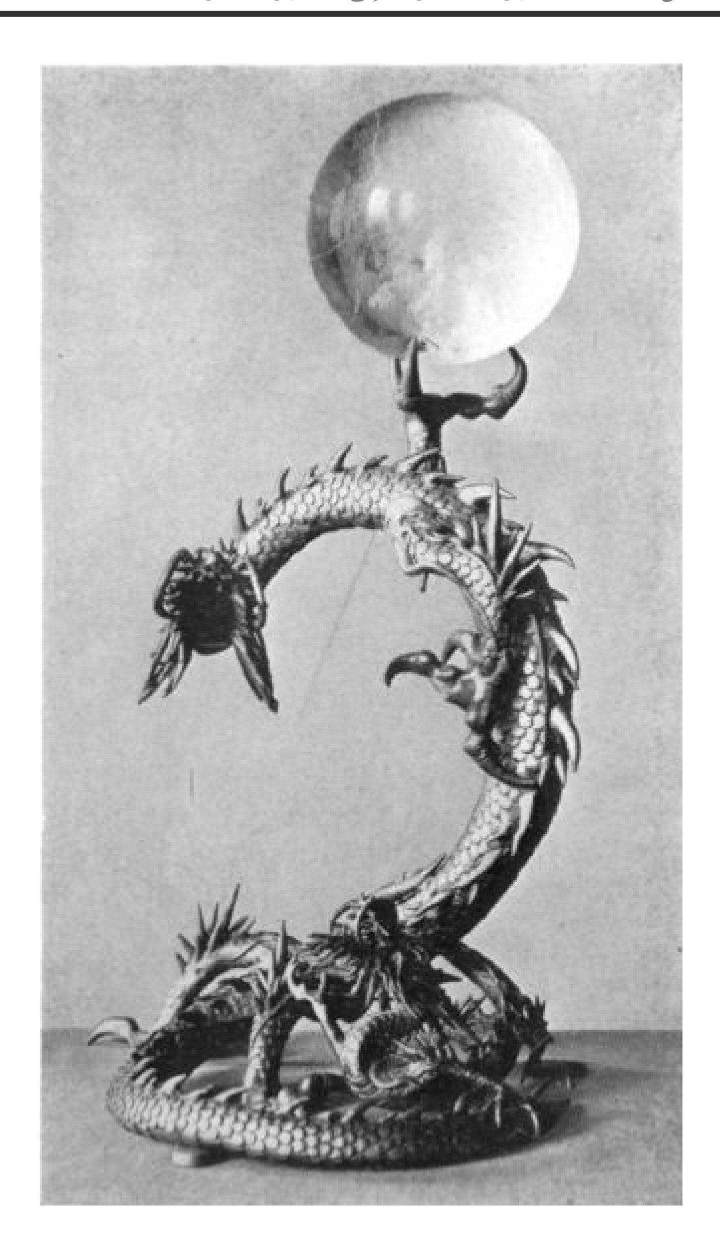
يبدو أن ممارسة الاستبصار كانت شائعة بشكل واسع في العصور السابقة لدرجــة أنها ساهمت في انتعاش مهنة قائمة بذاتها متخصّصة في صنع الكرات الكريستالية الخاصة لممارسة الاستبصار. والصورتين التاليتين، المأخوذتان من مرجع يتحدث عن التاريخ العريق لهذه الممارسة، تعبران عن هذه الحالة.



الوسيلة التي كانت مألوفة في كل من ألمانيا وفرنسا لصقل أحجار الكريستال وتحويلها إلى كرات دائرية وشفافة وغيرها من ميزات مطلوبة تناسب المستبصرين.



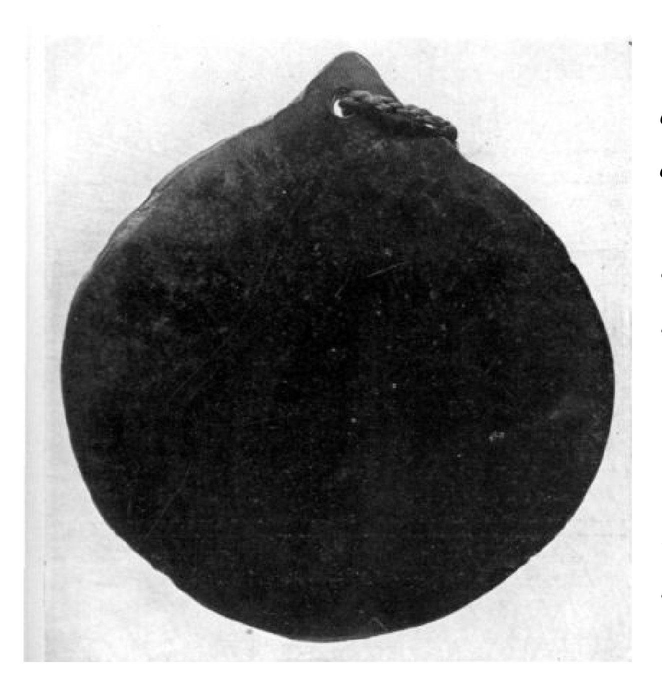
الوسيلة التي كانت شائعة في كل من الصين واليابان لصناعة الكرات الكريستالية مع شذبها وتلميعها.



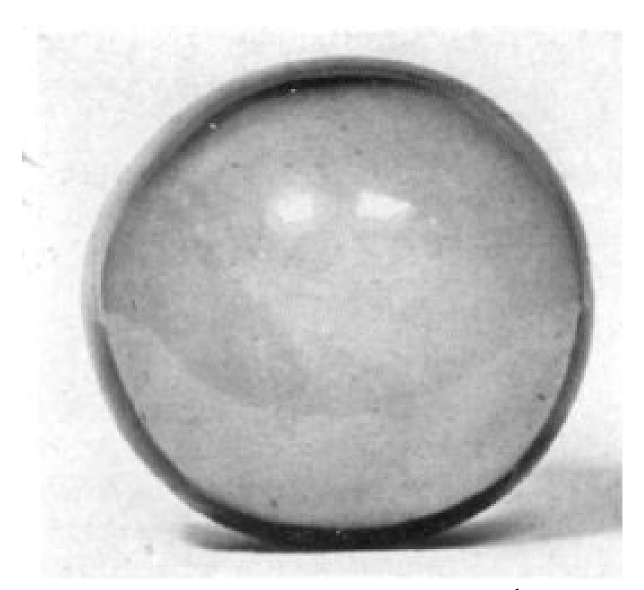
تحفة صينية من البرونز على شكل تنّين وموضوع على قمتها كرة كريستالية مخصّصة للاستبصار. إن المبالغة في الاهتمام بزينة الكرة يشير بوضوح إلى مدى أهمية هذه الممارسة والجدّية في استخدامها وفعالية نتائجها.



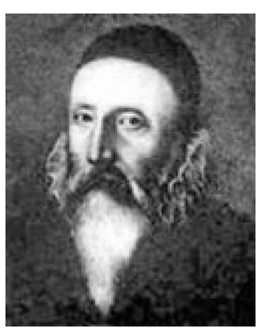
كرة من الكهرمان الأسود (على اليمين) مُلبّسة بقطع معدنية. وكرة من الزجاج (على اليسار) مُحاطة بطوق معدني. كل منهما كانت تُستخدم للإستبصار في العصور الوسطى، ويعود تاريخهما إلى القرن العاشر الميلادي.



مرآة سحرية من حجر السبج المصقول، شاع استخدمها بين المستبصرين لدى شعب الأزتك في المكسيك. موجودة الآن في المتحف البريطاني، وكانت بحوزة الأمير الروسي "ألكسي سولتيكوف".



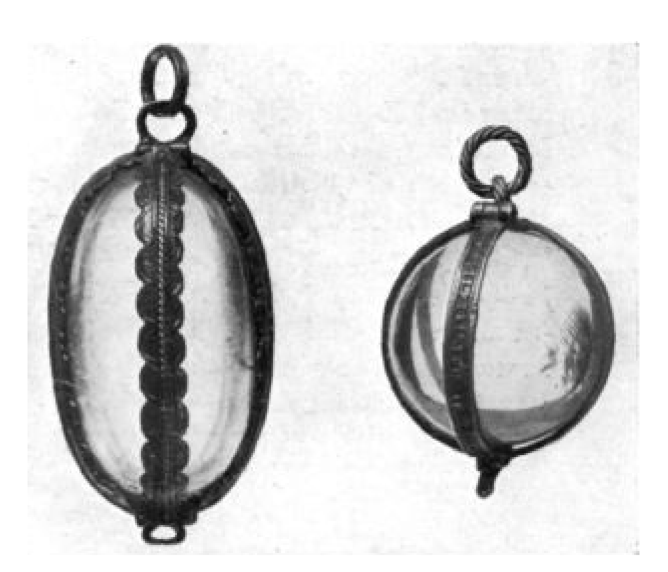
الكرة الكريستالية التي أجرى عليها عالم الفلك والخيميائي الشهير "جون دي" John Dee تجاربه المثيرة على ظاهرة الاستبصار في القرن الخامس عشر في إنكلترا. هذه الكرة مصنوعة من البلور المدخّن، ومعروضة في المتحف البريطاني منذ العام ١٧٠٠م.



أما بالنسبة لمن يجهل هذه الشخصية التاريخية المثيرة للجدل، السيد "جون دي"، فبالإضافة إلى كونه كان مثقفاً بشكل واسع ويملك أكبر مكتبة في إنكلترا بتلك الفترة، عمل في البلاط الملكي بصفته المستبصر الخاص للملكة "أليزابيث" الأولى. وليس هذا فحسب، بل هو أوّل من وضع الأسس الأولية لأوّل جهاز استخبارات عالي التنظيم ومتكامل الأداء، لخدمة أهداف صاحبة الجلالة.



كرة مصقولة مصنوعة من حجر البلور المعرّق، استخدمت للإستبصار لدى سكان جزيرة مدغشقر.



كرات كريستالية، إحداها بيضوية الشكل، جُلبت من روسية القيصرية، وأصبحت من بين مجموعة مقتنيات السير "تشارلز ريد" بريطانيا.

سوف أتحدث بالتفصيل عن هذه القدرة الاستثنائية مع ما تشمله من تاريخ مجيد وفعالية عملية وسهولة في الاستنهاض والممارسة، كل ذلك في إصدار آخر مخصّص لهذا الموضوع، لكنني أوردت مقتطفات منه هنا بهدف توضيح فكرة تنتمي إلى سياق موضوع آخر.

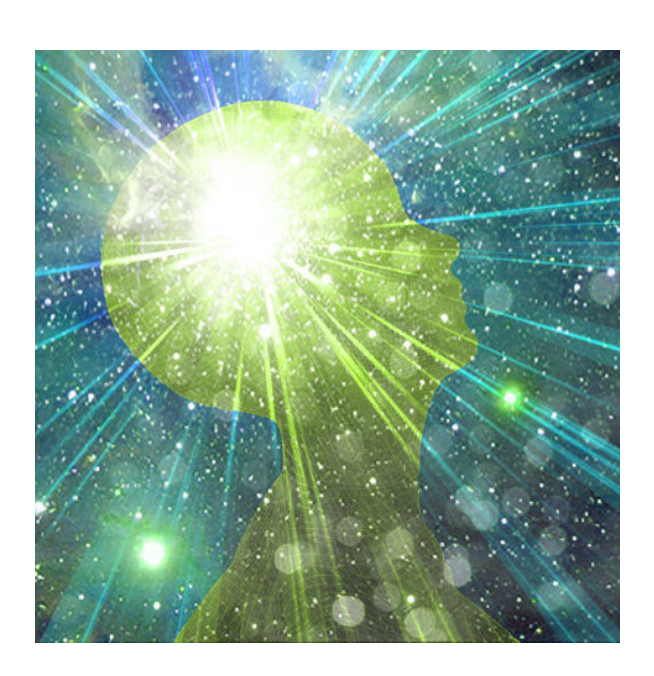
لا زلنا ننظر إلى ظاهرة الاستبصار بالاعتماد على الخرافات والحكايا أو حتى على ممارسات شعبية مألوفة في مجتمعنا اليوم، أي من منظور "الصورة الصغرى" ولم نتناول هذه الظاهرة بذاتها وبأبهى حلّتها وفق "الصورة الكبرى".

فمثلاً، إذا نظرت للأمر من منظور أوسع وأشمل، أوّل ما تكتشفه هو أن الاستبصار ليس مرتبطاً بالضرورة بالكرة الكريستالية أو المرآة السحرية أوغيرها من وسائط، حيث هناك أنواع وأشكال مختلفة من الممارسات الشعبية التي تجسّد هذه القدرة على الرؤية فوق الطبيعية: فمعروف بين المجتمعات العربية مفهوم "المندل" مثلاً، وهو شكل من أشكال التنويم المغناطيسي الذي غالباً ما يُمارس على الأطفال، وغالباً ما يدخل في العملية التعامل مع أرواح وكائنات غيبية، لكن جميعها في النهاية تنتمي بطريقة أو بأخرى إلى ظاهرة "الاستبصار" رغم غرق هذه الأخيرة تحت قشرة سميكة من التقاليد الشعبية ومفاهيم الثقافة المحلية. وعندما نقول ثقافة محلية هذا يعني أننا نتكلّم عن "صورة صغرى" مع تجاهل كامل للصورة الأكبر وما تتصف به من روعة وعظمة.

جميع السحرة الممارسين لهذا النوع أو ذاك من "الاستبصار" لا يفقهون أصلاً ما الذي يجري خلال العملية وكيف يجري ولماذا يجري، بل يركزون جلّ اهتمامهم على الطقس والتقليد السحري الذي يمكنهم من تجسيد ظاهرة الاستبصار.

إذاً لقد اهتم السحرة فقط بالطقوس السحرية السخيفة والخطيرة صحياً والمقزّزة بدرجة كبيرة. إن ممارسات مثل قراءة الأقسام، وإشعال البخور، ورسم الطلاسم

والأختام.. وغيرها من أعمال يعوّلون عليها نجاحهم هي في الحقيقة ليست ضرورية أصلاً. لازال هؤلاء الحمقى يتجاهلون بالمطلق العناصر المهمة والأساسية التي ساهمت في تجسيد هذه الظاهرة. وجميعها تتمحور حول الإنسان وطريقة تفكيره ومدى اجتهاده في تفعيل آليات ووظائف كامنة لديه تساعده على استنهاض هذه القدرة الرائعة.



وهذه الحالة التي تعاني منها "ظاهرة الاستبصار" المتجلية بأشكال مختلفة بين المجتمعات المختلفة، تشكّل مثالاً واضحاً على مدى التأثير الذي تسببه المعوقات والحواجز التي تفرضها الصور الصغرى لتعزل الفرد عن إدراك "الصورة الكبرى".

من أجل استيعاب هذه الحالة جيداً، ومن منظور أوسع، وكذلك التعرّف على قدرة "الاستبصار" من زاوية مختلفة وفي حلّة مختلفة، أعتقد بأن الموضوع التالي يفي بالغرض.

الاستبصار في التعاليم الهندية القديمة

إحدى أقدم المصادر المشيرة لقدرة الرؤية البعيدة (الاستبصار) موجودة في تعاليم اليوغا المنحدرة من حضارات الهند القديمة، ولازال صداها يصدح في أرجاء الشرق الأقصى. يمكن أيضاً إيجاد عناصر مماثلة في معظم الثقافات القديمة، ابتداءً من أفريقيا الدنيا، مصر، الحضارة البابلية، اسكندنافيا، الهنود الحمر، سكان أستراليا الأصليين، الحضارة اليونانية، الشامانيين في سيبيريا وبلاد فارس، حتى أن نصل إلى سكان الجزر البولينيزية بما فيها هاواي، .. وهكذا إلى آخره. وهناك دلائل على انتشار حرفة الاستبصار في أوروبا ما قبل العصور الوسطى، والتي عادت إلى البروز بقوة في القرن الثامن عشر كنتيجة مباشرة لتأثير عصر التنور والتحرر الكبير من سطوة الكنيسة.

الفرضية التي وجب أخذها بعين الاعتبار هي التالية: إذا كانت أساسيات "الرؤية الاستبصارية" موجودة في "القرص الصلب" (الكمبيوتر البيولوجي) للعقل الكلّي لفصيلتنا البشرية، فهذا يعني أنه من المتوقع حتماً أن تتجسّد عناصره لدى الكائن البشري. وبالفعل، فقد تجسّدت هكذا عناصر (وبأشكال مختلفة) في الماضي، الحاضر، وسوف تستمرّ في التجسيد في المستقبل. قد تختلف أشكال التجسيد، لكن الطبيعة الجوهرية تبقى ذاتها. أي قد تتجسّد القدرة الاستبصارية خلال طقوس سحرية أو جلسات تنويم مغناطيسي أو جلسات التأمّل أو في الأحلام.. إلى آخره.. المهم أن ما يتجسّد هو قدرة استبصارية.

المصطلحات والأسماء التي استخدمتها الثقافات والحضارات القديمة للإشارة إلى هذه القدرة هي كثيرة ومتنوعة. لكن المصطلح العام الذي تألفه لغتنا العربية هو "الاستبصار". وهذا مصطلح معبّر وبسيط وليس صعباً التعامل معه. لكن في الحقيقة، إذا أردنا إخضاع هذه القدرة للبحث العلمي فهذا الاسم المبسّط لا يفي بالغرض. حيث هناك عناصر كثيرة وجب إضافتها لهذا المفهوم لكي يتخذ طابع قابل للفهم والاستيعاب، مثل "الوعي الديناميكي" dynamic-awareness، أو

"اليقضة الديناميكية"، وغالباً ما أكتفي باستخدام كلمة "انتباه" للإشارة إلى هذا العنصر (توجيه الانتباه إلى شيء معيّن يعني أنك وجّهت إليه جزءاً من مجال الطاقة المنبعثة منك). إذا لم يتم إدخال مفهوم "الانتباه الديناميكي" إلى سياق الشرح المتناول لعملية "الاستبصار" فهذا سيمنع الفرد من استيعاب الأمر وبالتالي تبقى أساسيات هذه القدرة كامنة ومستترة داخل "القرص الصلب" لعقله الشخصي.

الخلفية التاريخية لوجود القدرة الاستبصارية هي غنية وواسعة الانتشار. لكن معظم الأدبيات التي تناولتها تعرّضت للتنقيح والشطب من الكتب التاريخية العصرية التي تستخدمها المدارس والأكاديميات الرسمية. وهذا جعل عامة الناس تجهل حقيقة أن للاستبصار تاريخ حافل ومهم.

في معظم الثقافات حول العالم، كانت الأدبيات المتناولة للاستبصار تنتقل من جيل إلى جيل شفهياً وليس بالكتابة. لكن نصوص اليوغا القديمة تختلف بهذا الخصوص. حيث هناك دلائل على وجود مناهج تدريبية لاستنهاض هذه القدرة الذهنية منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة ق.م أو حتى قبل ذلك. من كان أولئك الناس الذين اهتموا بهذا المجال يبقى لغزاً تاريخياً مربكاً لكن المهم أنهم لم يكونوا الهندوس القدامى الذين جاؤوا فيما بعد.

النصوص الأصلية قد فقدت طبعاً، لكن بعض الفتات المنسوخ منها بقي محفوظاً لبعض الوقت قبل أن يضيع هو أيضاً مخلفاً وراءه نسخاً مختصرة وربما تكون مشوّهة، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد. في هذه النصوص المنسوخة أخيراً، يُعتبر "الاستبصار" من بين "السيدهيات" Sidhis العديدة التي اهتمت بها الروحانيات الهندية القديمة.

والمصطلح "سيدهي" sidhi صعب الترجمة والتفسير إذا أردنا شرح معناه الحقيقي باللغة العربية أو أي لغة أخرى. فلا يكفي القول بأن الـــ"سيدهي" هي قدرة روحية

خارقة مثلاً. لأن المفاهيم العصرية المتناولة للمصطلح "روحي" هي غير لائقة ولا دقيقة بما يكفي لإصابة المعنى بعينه.

النصوص اليوغية الهندوسية القديمة والتي تتناول "السيدهي" مكتوبة باللغة السنسكريتية Sanskrit. وهذه اللغة العريقة تُعتبر لغة غنية وأنيقة بشكل كبير وتتجاوز أي لغة أخرى عندما يتعلق الأمر بالرومانسيات والروحانيات وكذلك احتوائها على عدد كبير من المصطلحات التي تتناول قدرات وآليات العقل العديدة. وفي الحقيقة، وخلال ترجمة نصوص هذه اللغة إلى لغة أخرى، غالباً ما يتطلّب الأمر كتابة فقرة طويلة من أجل ترجمة وتفسير كلمة سنسكريتية واحدة.

معظم النصوص السنسكرينية القديمة المُترجمة قد تُرجمت إلى اللغة الانكليزية. وهذه الترجمات تتراوح جودتها بين الفظيع وغير المجدي وغير الكفؤ. وهذا طبعاً ليس ذنب المترجمين، بل بسبب غياب المرادفات المناسبة في اللغة لانكليزية. وهناك مشكلتان إضافيتان وهي أنه حتى المتكلمين الحاليين باللغة السنسكريتية يعجزون عن استيعاب معنى "السيدهيات" Sidhis بشكل عام. وبطبيعة الحال، فالمترجمين الإنكليز أيضاً يجهلون تماماً الفكرة الحقيقية لهذا المصطلح. وبالتالي ما فعله هؤلاء المترجمون هو انتقاء مرادف قريب لهذا المصطلح فاختاروا مصطلح "القوى الروحية" psychic powers. لكن يوجد مشكلة هنا أيضاً، حيث المصطلح "روحي" psychic ليس له معنى مستقرّ أو ثابت باللغة الإنكليزية. وحتى في اللغة العربية نلاحظ الحالة الزئبقية لهذه الكلمة. فمثلاً، هناك فرق كبير في المعنى بين "القوى الروحية" و"المشروبات الروحية"! وبالإضافة إلى عبارات كثيرة تستخدم نفس الكلمة للإشارة إلى معاني مختلفة.

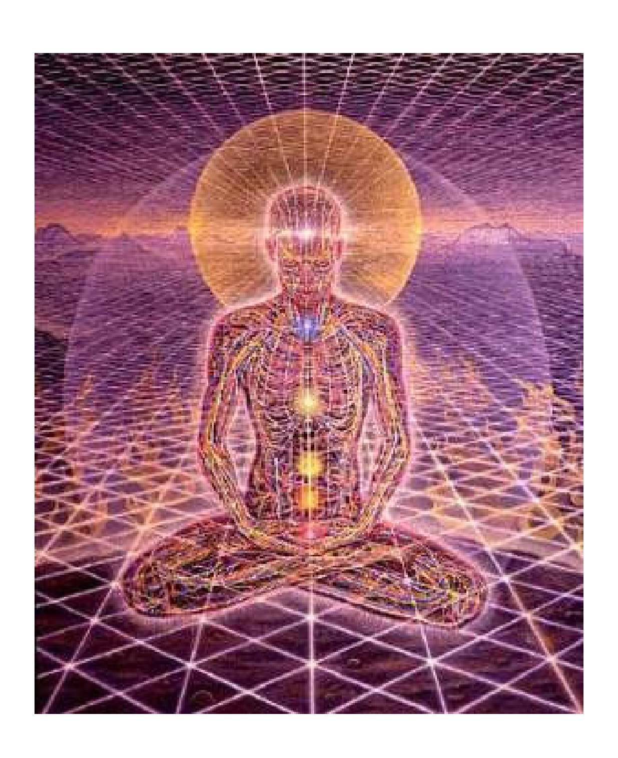
من أجل استيعاب آلية عمل القوى الاستبصارية الكامنة داخلنا وخاصة الجانب التقني منها، وجب علينا إعادة النظر في ما القصد الحقيقي من المصطلح "سيدهي" sidhi، خاصة تلك المتعلقة بالقدرة على الرؤية البعيدة، ومن ثم نعيد صياغة المعنى المقصود بالطريقة الصحيحة.

صحيح أن إعادة صياغة المعنى الحقيقي لهذه الكلمة قد يثير الجدل لأسبب كثيرة.. أحدها هو أن العلماء الأدبيين والعلميين يميلون للجدال حول كل شيء (فقط من أجل الجدال) وهذه سمة ظاهرة بوضوح لديهم. مهما كانت تعنيه "السيديهات" في الماضي البعيد، فلم تعد تمثّل ما كانت تمثّله، بل أصبحت عبر الزمن تتخذ منزلة خرافية أو أسطورية أكثر من كونها واقعاً ملموساً تجسّد بالفعل على أرض الواقع. لهذا السبب يتعامل العلماء معها على أنها أسطورية وليست عناصر فعلية تدخل في عملية تفعيل ظاهرة "الصحوة الديناميكية" المتعلقة بشكل وثيق بالقوى الاستبصارية الكامنة في الشخص. (الصحوة الديناميكية تشمل بين عناصرها "الانتباه الديناميكي".)

هناك سمة بارزة للـــ"سيدهيات" والتي يتقبلها الفقهاء بالاعتماد على الأوصاف الواردة في النصوص اليوغية، وهي أن "السيدهي" ليست مجرّد تجسيد تلقائي لقدرة عقلية خارقة، وهذا يجعلها تحتلّ منزلة خاصة. وقد تم استنتاج هذا الأمر من حقيقة أن النصوص اليوغية ذكرت حالات ظهور تلقائي لقدرات عقلية خارقة ولم تصنفها على أنها "سيدهي". والسبب واضح طبعاً، حيث أنها ظهرت بشكل عفوي ودون أي سابق إدراك أو إرادة. فبالتالي لا يمكن المساواة بين "السيدهيات" وبين القدرات الخارقة التي تتجسّد تلقائياً وبشكل عشوائي في أوقات غير محسوبة، أي كتلك الظواهر المؤقتة التي تخضع للبحث والدراسة من قبل جمعية الأبحاث الروحية أو الباراسيكولوجيا.

كافة الدلائل تشير بوضوح إلى أن "السيدهيات" كانت تمثّل قدرات خارقة قابلة للسيطرة والتفعيل حسب الرغبة والطلب، وليس هذا فحسب، بل مكوناتها وعناصر تفعيلها كامنة في الكائن البشري على مستوى الفصيلة البشرية وليس فقط أشخاص فرديين موهوبون بقوى خاصة. في جميع الأحوال، وجب علينا التمييز بين **القوى "الكامنة"** POTENTIAL ABILITY والتي يمكنها البروز تلقائياً وبشكل مؤقّت في أوقات غير محسوبة، وبين **القدرات "المُطوّرة"** developed ABILITY التي يمكن استنهاضها حين الطلب والتحكّم بها حسب الإرادة والرغبة.

يبدو من الممكن أن الحكماء اليوغيون اكتشفوا حقيقة أن كوامن القدرات الخارقة هي سمات فطرية أساسية متجسّدة في "القرص الصلب" لكامل الفصيلة البشرية والذي ذكرته سابقاً. ومن الممكن أيضاً أن الشعوب السنسكريتية القديمة (الذين كتبوا هذه النصوص الضاربة في القدم) نظروا إلى التجسيدات التلقائية للقدرات العقلية الخارقة كأساس متين لبناء عليه منهج تدريبي كامل متكامل وعالي التنظيم يمكّنهم بعدها من تطوير هذه القدرات لدرجة أنها تبرز حسب الرغبة وحين الطلب. وعند الانتهاء من هذا المنهج التدريبي الصارم، ما نتج منه هو ما أشاروا إليها بـــ"سيدهيات" Sidhis. أي بمعنى آخر: القدرات الخارقة التي كانت تتجسّد تلقائياً دون سابق معرفة أو إرادة أصبحت (بعد خوض النظام التدريبي) في حالة تجعلها تخضع للإرادة والتحكّم حسب الرغبة.



في التقاليد الهندية القديمة، تنتمي أساسيات تفعيل "السيدهيات" إلى الفصيلة البشرية ككلّ ومن المفروض أن نجد عناصرها الفطرية مزروعة في جوهر كل إنسان.

ليس من الواضح إذا كان اليوغيون القدامى يفصلون بين "العقل" و"الجسد"، فالأمر يزداد غموضاً كلما تعمقنا أكثر في تلك الأدبيات اليوغية. الفصل النهائي الذي جرى بين "العقل" و"الجسد" واعتبارهما شيئان منفصلان لم يحصل بشكل حاسم قبل ١٨٥٠م.

نستطيع الكلام بشكل عام عن "السيدهيات" بصفتها قدرات خارقة تنتمي للجسد/العقل والتي تم تنشيطها وتوسيعها لتتجاوز الحدود الطبيعية للحواس الجسدية (المألوفة)، لكن الأمر المثير هو أن "الحواس" في الأدبيات اليوغية هي كثيرة ومتنوعة ولا تتوقف عند حدود الحواس الخمس المألوفة اليوم. والمسألة هنا تكمن في أن التقاليد اليوغية تناولت هذه الحواس بشكل منفصل عن "السيدهيات" حيث اعتبرت أن هذه الحواس أيضاً يمكن أن تنشط ويتوسّع مدى تأثيرها إذا صُقلت بطريقة صحيحة.

من المهم معرفة أن التقاليد اليوغية لم تميّز بين الوظائف "العقلية" و"الجسدية" و"القدرات الخارقة" بنفس الطريقة التي يتبعها المنطق الغربي العصري. وفي الحقيقة فإن طريقة تمييزهم بينها غير واضحاً. لكن التقاليد اليوغية تشدّد على التوحيد بينها جميعاً بدلاً من تجزئتها وتصنيفها إلى أقسام ووظائف متفرّعة، حيث أن تجزئتها سيجلب عدم التوازن للكيان ككلّ.

إذاً، في التقاليد اليوغية، لم تُجزّأ هذه الفئات الثلاثة ("العقلية" و"الجسدية" و"القدرات الخارقة")، مع التشديد على عدم تجزئتها وتقسيمها. جميعها مثّلت أجزاء مكمّلة لبعضها في الكيان البشري الذي يبدو ظاهرياً أنه يحتويها على شكل أجزاء مستقلّة.

المفهوم العلمي العصري الذي لازال راسخاً بقوة اليوم يصرّ على أن الكيان البشري يحوز فقط على خمسة حواس محدودة، وأن ما ندركه من معلومات حسية مقيّداً ضمن حدود تلك الحواس. والسؤال المهم الآن هو إذا كان هناك حواس

أخرى يتجاوز عددها الحواس الخمس التقليدية. من أجل توفير الوقت والمساحة هنا، فقد تحدثت عن هذا الموضوع بإسهاب أكثر من مرّة في إصدارات سابقة (كتاب العقل الكوني ج٢، وكتاب البندول الكاشف والمعلومات الغيبية). وقد اقتُبس هذا الموضوع من كتاب مهم جداً بعنوان "فكّ تشفير الحواس: العالم المتوسّع للإدراك البشري" Deciphering the Senses: The Expanding World of Human Perception، للمؤلفين "روبرت ريفلن" Robert Rivlin و"كارن غرافيل" Karen Gravelle (صدر عام ١٩٨٤م). هذا الكتاب يتحدث عن سبعة عشر حاسة إضافية في المنظومة العضوية للكيان البشري حيث تم فصلها وتمييزها من قبل متخصصين في علم العصبية الحيوية bio-neurologists وذلك في السبعينات من القرن الماضي. واعتبر المؤلفان، في الفصل الأخير من الكتاب، أن ما نسميه "الإدراك الخارج عن الحواس" Extra-Sensory Perception هو ليس قدرة روحية خارقة أو فوق طبيعية أو غيرها من تصنيفات ماورائية، بل مجرّد امتداد طبيعي لمنظومة مستقبلات حسية كامنة في الجسد العضوي للإنسان.

تشير الدلائل التاريخية بوضوح إلى أن اليوغيون القدامى علّموا بأنه يمكن للحواس العديدة (أكثر من خمسة طبعاً) أن تّصقل وتُطوّر لحد الكمال، عبر التدريب، بحيث ينتج من ذلك بروز المئات من الحواس المخصصة لأغراض ووظائف مختلفة. وهنا يضيق الفارق بين الحواس المتنوعة التي تم تطويرها لحد الكمال وبين "السيدهيات" التي تمثّل قدرات خارقة مختلفة. وسبب اقتراب المسافة بين الفئتين هو أن حاسة متطورة لحد الكمال قد تُعتبر "سيدهي" قائمة بذاتها. كافة الأشخاص المحترفون في مجال فنون القتال الشرقية سوف يستوعبون جيداً ما أقصده هنا.

في التقاليد اليوغية القديمة، تُعتبر "السيدهيات" جزءاً لا يتجزأ من الكيان العضوي البشري بما فيه حواسه المتنوعة والقابلة للتطوير لحدّ الكمال. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن اليوغيون علّموا وفق منهج "شمولية العقل العضوي" Biomind holism (أي تطوير العقل ككلّ وليس وفق أقسام منفصلة)، فهذا سيثير فضولنا حول معرفة السبب وراء تناولهم "السيدهيات" كموضوع منفصل تماماً.

هناك ما بين ٧ و٢٠ "سيدهي" منفصلة، ويختلف عددها حسب المصدر الذي يتناولها، وطبعاً فالرؤية البعيدة (الاستبصار) مذكورة دائماً بينها مهما اختلف المصدر. تعلّق النصوص السنسكريتية على حواس عضوية معيّنة بأنه يمكن شحذها وتطويرها لحدّ الكمال بحيث تتحوّل في النهاية إلى "حواس بعيدة المدى" distant senses، ومثال على ذلك هو القدرة على تحديد جهة الأهداف البعيدة (تحدثت عنها في كتاب "البحث البايوراداري")، أو تحديد موقع مصادر انبعاث إشعاعات خفية (المغناطيسية مثلاً). قد نظنّ بأن هذه القدرة تُعتبر خارقة بامتياز لكن النصوص السنسكريتية لم تعتبرها من بين "السيدهيات".

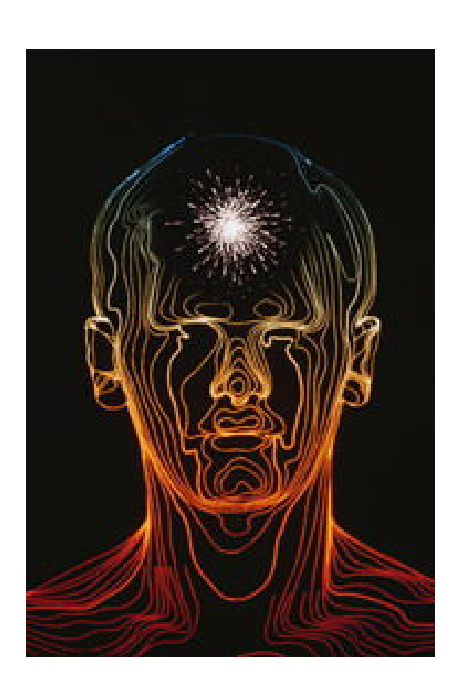
قد يكون هناك تفسيرات عديدة للسبب الذي جعل الحكماء اليوغيون يميزون "السيدهيات" عن الحواس البعيدة المدى (نتيجة تطويرها لحدّ الكمال). لكن أحد هذه التفسيرات هو أن "السيدهيات" لم تُميّز خلال الحديث عنها بشكل منفصل إلا إذا كان هناك فرق جوهري يتعلق بها وبحاجة لأن يُستوعب بشكل صحيح.

يبدو أننا عدنا إلى البداية حيث السؤال الأوّل: ما هي "السيدهي"؟ الجواب معقّد بعض الشيء حيث اختلفت حوله الآراء عبر العصور، إن كان بين الفقهاء، أو حتى بين أسياد اليوغا ذاتهم. حسب مستوى فهمي للموضوع، أعتقد بأن الـــ"سيدهي" لا تمثّل شيء قائم بذاته بحيث يمكن الانطلاق منه، لكن من خلال الصقل والتدريب والتطوير سوف تتحوّل في النهاية إلى شيء قائم بذاته.

عليك الاطلاع في الصفحات اللاحقة على موضوعي "المحولات الحسية" sensory transducers و"المنظومة المعلوماتية الذهنية" mental information grids ثم العودة إلى النقطة التالية لكي تكون محضّراً جيداً لتستوعب الموضوع.

جوهرياً، الـــ"سيدهي" هو شيء بحاجة لأن يندمج مع "اليقضة الديناميكية" dynamic-awareness من أجل تكوين هوية منفصلة بذاتها. بمعنى آخر، قد تكون أسس "الرؤية البعيدة" مثلاً موجودة داخل القرص الصلب للفصيلة البشرية

ككلّ والدليل الواضح على ذلك هو ظهور هذه القدرة تلقائياً في بعض الأحيان عند بعض الأشخاص، لكن في هذه الحالة الطبيعية (الفطرية الخام) تعمل في غياب "اليقضة الديناميكية الإرادية" cognitive dynamic- awareness. أي أنه عند ظهورها تلقائياً فيكون هذا الظهور "أوتوماتيكي" حيث الشخص لا يدرك متى وكيف ولماذا تظهر، وحتى أنه لا يعلم ما هي "اليقضة الديناميكية" أصلاً. وفق هذا المنطلق، يمكننا القول بأن القوة الخارقة (الكامنة فطرياً في القرص الصلب للفصيلة البشرية) تعمل أوتوماتيكياً، لكن التحكّم الإرادي بها هو غائب تماماً. أو يمكننا القول بأن هذه القدرة الخارقة قابلة للتجسّد بشكل عفوي، لكن القدرة الإرادية لاستنهاضها والتحكم بها لم يتم تطويرها بعد.



يبدو أن "التحكم المباشر للإرادة الواعية" هو ما كان يقصده اليوغيون القدامى عندما تحدثوا عن "السيدهيات". وإذا كان الأمر كذلك، فالـ"سيدهي" إذاً هي مختلفة تماماً عن الحواس البعيدة المدى (المُطوّرة) والتي تستند على أسس فيزيائية

ملموسة حيث لها مستقبلات حسيّة خاصة في الجسد البشري وهي داخلة في مكونات المنظومة الجينية للإنسان.

قبل السير قدماً في موضوعنا، أعتقد بأن هناك فكرة مهمة وجب توضيحها. لقد ورد سابقاً خلال سياق الكلام مصطلحي "اليقضة الديناميكية" dynamic-awareness و"اليقضة الديناميكية الإرادية" cognitive dynamic-awareness، وربما يتطلبان بعض التوضيح لكي يسهل على القارئ استيعاب الفكرة جيداً. في الحقيقة، سوف أتناول هذا الموضوع بإسهاب في إصدارات قادمة لكن يُفضّل لو أجريت تعريف سريع لهذه المصطلحات.

يمكن اعتبار حالة "اليقضة الديناميكية" dynamic-awareness بأنها عملية وجدانية، أي تتعلق بالشعور أكثر من كونها عملية فكرية. يمكن وصفها بشكل أوّلي بأنها حالة "الشعور بالجسد" Body Awareness بشكل شامل، وطبعاً لا يمكنك الإحساس بهذا الشعور سوى بعد تهدئة النفس ومن ثم إجراء عملية "تحسّس ذهني" للجسد. ثم تتطوّر العملية إلى حالة توجيه هذا الشعور الكلّي بالجسد بحيث يتركّز في نقطة واحدة في الجسد، في القدم اليمنى مثلاً، ثم الانتقال من تركيز الشعور على القدم إلى تركيزه على نقطة أخرى في الجسم.. وهكذا. في حالة الانتقال في التركيز من منطقة إلى أخرى، أصبح لدينا ليس فقط "شعور بالجسد" بل "شعور ديناميكي" أي "يقضة ديناميكية" قابلة للتنقّل والتركيز في أي نقطة نريدها (وليس داخل الجسد فحسب بل حتى خارج الجسد). وطبعاً، "اليقضة الديناميكية الإرادية" cognitive dynamic- awareness هي عملية التحكم الإرادي بعملية انتقال هذا "الشعور الديناميكي" داخل وخارج الجسد. هذا أقرب ما يمكن الوصول إليه في تعريف هذين المصطلحين بشكل مختصر وبسيط، وسوف أتناول الموضوع بالتفصيل ومن خلال التطبيقات العملية في إصدار خاص.

بالعودة إلى الموضوع، يمكننا الاستنتاج بأن "السيدهيات" هي حالات تنتج من عملية تنظيم مُتقن وعالي المستوى للقوى الجسدية/العقلية الكامنة. هذا التنظيم

يشمل الوعي الشامل والمباشر للوظائف البيولوجية والذهنية، بما في ذلك المعرفة الشاملة للأقسام الخفية للعقل والتي يشير إليها علماء النفس الأكاديميين بالعقل الباطن واللاوعي.

بالنسبة لليوغيين، خُلق الكائن البشري مجهّزاً بعقل حيوي يحوز على قوى كامنة. لكنه خُلق بحالة بدائية (خام)، أي يبقى هذا العقل في حالة عدم تنظيم إلى أن يخضع لعملية تنظيم صحيحة ومدروسة بشكل جيّد. والقصد هنا من عبارة "عملية تنظيم صحيح" هو أنها تشبه عملية تزويد جهاز الكمبيوتر لديك ببرنامج محدّد. فالعقل هو الكمبيوتر والبرنامج هو المعلومات المناسبة التي توفّر الشروط المناسبة لاستنهاض القدرات العقلية الخارقة بشكل صحيح. ومن هنا يأتي دور "المنظومة المعلوماتية الذهنية" mental information grids وقد أصبح ضرورياً تعريف هذا المفهوم لتوضيح الفكرة بشكل جيّد.

إذاً، فقد أصبح واضح جداً بخصوص "السيدهيات" أن الأمر يتعلق بضرورة وجود "منظومات معلوماتية" صحيحة. وهي "المنظومة المعلوماتية" التي تسمح بالتعرف على، ومن ثم الاندماج مع، الطيف الواسع من الملكات العقلية/الجسدية الكامنة في فصيلتنا البشرية ككل.

من المؤكّد أن تحميل "برنامج معلوماتي صحيح" سيساهم في "تنظيم" العقل الحيوي بحيث يجعله يرتقي إلى مستويات رفيعة من منهجية التفكير الفعّال. بينما على الجانب الآخر، فتحميل "برنامج معلوماتي خاطئ" سوف يفعل العكس تماماً.

وبالفعل، فقد عرف اليوغيون، ومنذ تلك الأزمنة الغابرة، بأن العقل قابل لأن يلعب دور الكمبيوتر الذي نعرفه اليوم، أي يمكننا تحميله ببرنامج فيه "منظومة معلوماتية" خاطئة أو غير صحيحة أو مزورة، والمحصول الناتج هو مجموعة من الأوهام التي يتخبّط فيها العقل وصاحبه. وها نحن نعود للحكمة الهندية القديمة التي طالما تحدثت عن "الوهم" illusion الذي يسود عقول البشر، وهذا مفهوم

أساسي في معظم الفلسفات الشرقية. فخوض الحياة من خلال عقل مزوّد بمنظومة معلومات وهمية سيجلب لصاحبه المُربك الكثير من الألم والبؤس.

وبالفعل، فالهروب أو النجاة من "الوهم" يُعتبر موضوع رئيسي في اليوغا القديمة. ويُقصد بـ"الهروب" هنا أن "يتخلّص" الفرد من "المنظومة المعلوماتية الذهنية الخاطئة" التي جرّدته من العناصر الأساسية التي تمكنه من عيش الواقع الحقيقي بسعادة وهناء.

بالإضافة إلى ذلك، علّم اليوغيون بأن "السيدهيات" لا يمكن تطويرها وتشذيبها في حضور "منظومة معلومات" خاطئة مغروسة في عقل الممارس، حتى لو، كما قالوا، كانت تبرز لدى الفرد قدرات خارقة تلقائية بين الحين والآخر. لكن هذا سيؤدي إلى بروز سؤال كبير يتعلّق بالظهور التلقائي لقدرات خارقة غير مُتوقعة.

يبدو أن اليوغيون كانوا يتحدثون عن ثلاثة أشياء رئيسية:
١ــ عن برنامج أوّلي موجود أصلاً وبشكل طبيعي في القرص الصلب للفصيلة البشرية ككلّ ويمثّل الوظائف الفطرية للمنظومة العقلية/الجسدية للكائن البشري.
٢ــ عن حقيقة أنه يمكن تحميل برامج معلوماتية مختلفة، خاطئة أو صحيحة، للاندماج والتفاعل مع هذا البرنامج الأوّلي الموجود سابقاً وبشكل فطري.
٣ــ تحدثوا عن الفرق بين "الواقع الوهمي" و"الواقع الحقيقي" والدور الرئيسي للبرامج المعلوماتية التي يُحمّل بها العقل البشري في تجسيد كل من الحالتين.

من خلال استخدام مثال الكمبيوتر وآلية عمله خلال وصفنا للعقل البشري، أعتقد بأن الأمر أصبح سهل الاستيعاب. يبدو أن اليوغيون كانوا يتحدثون عن كيان عقلي/جسدي خُلق وهو مزوّد أصلاً بقرص صلب يحتوي على معلومات ووظائف فطرية، لكن هناك برامج معلوماتية يمكن تحميلها للمنظومة الذهنية للفرد (أي التزوّد بمعلومات عبر الخبرة اليومية، التعليم، التلقين، التدريب، غسيل الدماغ،..

إلى آخره) وهي التي تحدد إمكانية عمل العقل بشكل صحيح أو إرباكه بحيث يعمل بشكل خاطئ.. أو دعونا نقول: يعمل بشكل موجّه نحو اهتمامات ووظائف محدّدة.

وإذا أبقينا على استخدام مثال الكمبيوتر، يمكننا إضافة استعارة أخرى وهي متمثّلة بـ"الفيروس" virus الذي يمكنه لخبطة أو التسبّب بشلل أو تحريف أو تعطيل كافة البرامج المعلوماتية المُحمّلة حديثاً أو الموجودة أصلاً في العقل. بمعنى آخر، يمكن لفكرة خاطئة مغروسة في ذهن الشخص أن تلعب دور الفيروس من حيث خطورتها بالنسبة لكافة المنظومات التي يحتويها العقل البشري ويعتمد عليها لإتمام وظائفه بشكل صحيح.

تم تطوير أنواع عديدة ومختلفة من مناهج التدريب اليوغية من أجل تصحيح أنواع مختلفة من الأنظمة الذهنية الوهمية/الخاطئة في العقل، ومن ثم تحميل (أو إيقاظ) أنظمة ذهنية تساهم في تنشيط وتفعيل ما نسميها بالقوى الكامنة.

كان هناك شعار أساسي تحدثت عنه فلسفات ومناهج تدريب يوغية مختلفة: "..إن الطريقة الصحيحة لعيش الحياة هي الطريقة التي تتجنّب الأوهام، ومحاولة الانسجام الدائم مع مبادئ الحياة الأساسية والمُكتشفة ذاتياً. ليس فقط المبادئ المتعلقة بالفصيلة البشرية بل ما يتعلّق بالكون ككلّ.."

بالنسبة لليوغيين القدامى، أو معظمهم على الأقل، كل إنسان مزوّد بمنظومة فطرية للتتميم ذاتي self- perfecting unit، وفي داخلها تقبع بنية تحتية أو ملكات مسؤولة عن قوى عقلية/جسدية هائلة بشكل مخيف. ويمكن تحديد موقع هذه القوى، ثم تطويرها وتعزيزها. لكن هذا الأمر لا يتحقّق إذا لم يُهيأ العقل والجسد بشكل صحيح، وذلك عن طريق تزويد الفرد بمنظومة معلوماتية تساعده على إدراك أو الوعي بوجود هذه القوى الكامنة في كيانه.

لقد أشاروا إلى هذه العملية (تهيئة الفرد) مستخدمين استعارات كثيرة مثل "تنفتّح زهرة اللوتس"، وهي زهرة تنمو خارجةً من تحت الماء (الممثّل للوعي الباطن) وتتفتّح بأبهى حلّتها فوق سطح الماء (الممثّل للحالة الواعية). وهناك استعارة مشهورة أخرى، وهي المفضّلة بشكل أخصّ لدى البوذيين اللاحقين والذين شبهوا العملية بـــ"إتمام الوعي الماسي".

يبدو أنه تم الإشارة إلى "السيدهيات" بشكل خاص ربما لأنها تتطلّب المزيد من العناصر العقلية المأشوبة لاستنهاضها أو استعراضها بشكل فعلي. كما أنه من المهم معرفة أن "السيدهيات" لم تُفصل عن الحواس الجسدية، ولا اعتُبرت ذات طبيعة عقلية بحتة. وبالأحرى، يبدو أن "السيدهيات" تمثّل امتدادات للحواس الجسدية التي تتطلّب عملية إدماج وتوحيد عدد كبير من الملكات العقلية والجسدية.

لكن هذه الملكات لا يمكنها أن تعمل جيداً بانسجام إلا إذا تم إدماجها بشكل اختياري من قبل العقل الإدراكي لـــ"منظومة التتميم ذاتي" self- perfecting unit الكامنة في جوهر الإنسان.

لقد علّم الحكماء الهنود القدامى أيضاً أنه بينما يمكن لبعض الملكات الكامنة أن تنشط بشكل عفوي، فهناك البعض الآخر يتطلّب عملية إدماج متعمّدة لكي تحقّق مستوى أعلى من الكمال وتستعرض إنجازات أكثر فعالية.

من هذا المنطلق، يبدو واضحاً أن "السيدهيات" لا تحتوي على ملكة منفردة موجودة مسبقاً وبشكل فطري في الكيان العقلي/الجسدي، بل تتطلّب عملية هندسية مقصودة داخل الوعي، وتتمثّل بدمج عدد من الملكات مع بعضها ضمن نطاق اليقضة الديناميكية.

إذا كان الأمر كذلك، أصبح من الطبيعي اصطفاء "السيدهيات" بذِكرٍ خاص ومعاملة خاصة، بعكس باقي الملكات والحواس الموجودة فطرياً في كيان

الشخص، حيث عدد كبير من إجراءاتنا الحسيّة والعضوية (بما في ذلك نوازعنا ومحفزاتنا) تعمل بشكل أوتوماتيكي (تلقائي) أو أوتونوماتيكي (تحفيز عصبي). بينما على "السيدهيات" أن يتم هندستها لكي تتجسّد ضمن نطاق اليقظة الديناميكية ومن ثم البلوغ بها حدّ الكمال، حيث يتم السيطرة عليها حسب الرغبة.

لكن السؤال هو: ما هو ذلك الشيء الذي وجب هندسته اصطناعياً ضمن نطاق الوعي الإرادي للعقل من أجل، مثلاً، تجسيد "السيدهي" المسؤولة عن الاستبصار (الرؤية عن بُعد)؟

في هذا المضمار بالذات، هناك مفهوم واحد فقط يمكنه المساعدة في تحقيق العملية. هذا المفهوم معروف جيداً في مجال العلوم الفيزيائية العصرية وكذلك مجال التكنولوجيا. لكنه لم يُستخدم في سياق الحديث في مجال الأبحاث الروحية أو كل ما يتعلّق بأمور تتناول المنظومة العقلية/الجسدية للإنسان.

إنه مفهوم *"__المحوّل__"* TRANSDUCER، وهو وحدة كهربائية تحوّل الطاقة من شكل إلى شكل آخر. ليس من الصعب تطبيق هذا المفهوم في مجال المعدات التقنية، مثل الهواتف والتلفزيونات والرادارات.. إلى آخره. كافة هذه المعدات تستخدم *__المحولات__* لكي تحوّل أشكال معيّنة من الطاقات أو الإشارات إلى أشكال أخرى. فالهاتف مثلاً مجهّز بمحولات تعمل على تحويل الذبذبات الكهربائية إلى أصوات مفهومة، والتلفزيون مجهّز بمحولات خاصة تعمل على تحويل الإشارة اللاسلكية إلى صوت وصورة. وهكذا إلى آخره.

لكنه من الصعب تطبيق مفهوم *__المحوّل__* في مجال يتحدّث عن المنبهات العصبية ووظائف عقلية ديناميكية مختلفة. الصعوبة لا تكمن في شرح المسألة، بل في عدم اعتياد الناس على الحقائق العظيمة التي كشفها عدد كبير من عجائب الجسد البشري في المختبرات العلمية. فمثلاً، كم منّا يعلم بأنه تم إثبات حقيقة أن كل خلية وكل وحدة عصبية في منظومتنا الجسدية/العقلية تمثّل محوّلاً حسيّاً sensory

transducer قائم بذاته؟ ومن ناحية أخرى، كم منّا تعرّف على تلك الحقيقة العجيبة التي أثبتها العلماء منذ الخمسينات من القرن الماضي والمتمثّلة بحصول تواصل معيّن بين الشخص والشيء الذي يستهدفه بتفكيره، حتى لو كان ذلك الشيء بعيداً عن موقع الشخص آلاف الكيلومترات؟! (تحدثت عن هذا الموضوع في كتاب "طاقة الأورغون").

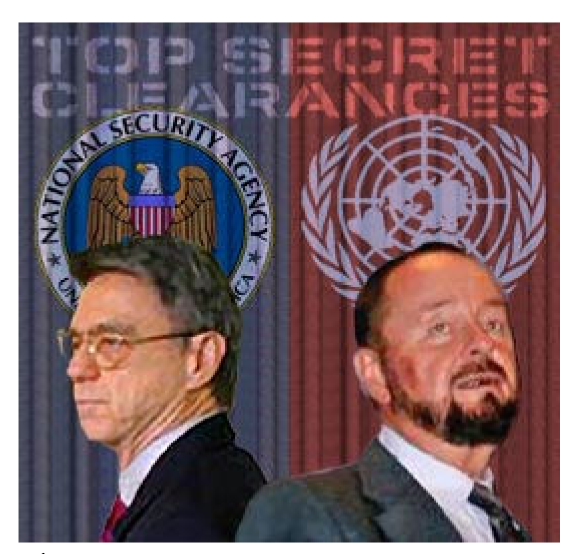
إذاً، وفق هذا الواقع الجديد، بما أن شكلاً من أشكال التواصل يتجسّد بين الشخص والشيء الذي يستهدفه بتفكيره، مهما كانت المسافة الفاصلة، هذا يعني أن السبب الذي يجعل الشخص عاجزاً عن إدراك أو الشعور بهذا التواصل الخفي بينه وبين الشيء المستهدف يعود إلى انعدام تفعيل "**المحوّل**" الذي يعمل على تحويل الطاقة المتشكّلة بين الطرفين إلى معلومات قابلة للإدراك أو الفهم والاستيعاب.

فبالتالي، بدلاً من النظر إلى قدرة "الاستبصار" أو "الرؤية عن بُعد" على أنها موهبة روحية (ذات طابع ماورائي)، أصبحت أقرب إلى أن نعتبرها منظومة متسلسلة من "المحوّلات الحسيّة" sensory transducers التي تسمح باندماج الملكات الكامنة فطرياً في القرص الصلب للعقل، وبطريقة محددة، فينتج من ذلك ما نعرفها بالقدرة على الرؤية البعيدة القابلة للتحكم والتوجيه حسب الرغبة.

وهكذا فقدرة "الرؤية عن بُعد" لا تمثّل شيئاً قائماً بذاته، لكنها ستصبح شيئاً قائماً بذاته (سيدهي) بعد إجراء عملية تحديد ودمج للمحولات الحسيّة المخصّصة لهذا الغرض، وذلك طبعاً لا يحصل سوى من خلال الخوض في نظام تدريبي صارم ومدروس.

لكن السؤال هو: هل يمكن، في هذا العصر العلماني الحديث (ذو النزعة المادية البحتة)، ابتكار منهج تدريبي صارم ومدروس يمكّن الفرد من استنهاض القدرة على الرؤية البعيدة؟.. الجواب هو نعم! وهذا بالضبط ما تم تحقيقه في السبعينات

من القرن الماضي في معهد "ستانفورد" للأبحاث Stanford Research Institute، الولايات المتحدة.



الفيزيائي "هال باتهوف" Hal Puthoff (على اليسار) المسؤول الأول عن برنامج "الرؤية عن بُعد" remote viewing في معهد ستانفورد للأبحاث. و"إنغو سوان" Ingo Swann (على اليمين) وهو مستبصر موهوب بالفطرة والمسؤول عن تصميم أوّل برنامج تدريبي ناجح يستطيع استنهاض القدرة الاستبصارية لدى الأفراد بحيث يحصلون على معلومات غيبية بنسبة دقّة مرتفعة.

وهناك معلومات موثّقة عن انخراط دول أخرى، خصوصاً الصين وروسيا، في برامج تدريب مماثلة لكن السريّة المطلقة المفروضة على هكذا برامج (ذات الطبيعة الأمنية) جعلته من الصعب المقارنة ومن ثم التحديد أي من هذه البرامج التدريبية هي أكثر فعالية. (تحدثت عن الموضوع في هذا الكتاب)

تبيّن من خلال إجراء هذه البرامج التدريبية في الدول المعنية، أنه من الممكن رفع مستوى "الرؤية البعيدة" من مجرّد قدرة "عقلية" عفوية التجسيد إلى مستوى يمكن فيه تدريب الأفراد على إيصالها لحد الكمال حيث يتم استنهاضها حسب الطلب

والتحكم بها حسب الرغبة. وهذا أضفى على النصوص الهندية القديمة مصداقية كُبرى حيث من الممكن فعلاً استنهاض إحدى القدرات الخارقة لدى الشخص من خلال نظام تدريبي خاص، فيرتفع مستوى هذه القدرة لديه من مجرّد "قدرة عشوائية وعفوية التجسيد" إلى "قدرة خاضعة للسيطرة والتحكّم بحيث تتجلى حين الرغبة والطلب"، وحينها يمكن اعتبارها "سيدهي" sidhi كاملة وقائمة بذاتها.

لقد تم بنجاح إنجاز برنامج "الرؤية البعيدة الموجّهة" Controlled remote viewing في معهد ستانفورد للأبحاث، بفضل البرنامج التدريبي الخاص الذي وضعه المستبصر الموهوب "إنغو سوان"، والذي مكّن المتدرّب من إدماج المحولات الحسية المطلوبة في كيانه، فوفّرت الظروف المناسبة لتحميل البرنامج المعلوماتي المناسب لتجسيد هذه القدرة بأبهى حلّتها. وهذا بالضبط ما عناه الحكماء اليوغيون في نصوصهم. فقد تبيّن بأن هناك فرق كبير بين "الرؤية البعيدة العشوائية" spontaneous remote viewing التي يتمتع بها كافة المستبصرين الموهوبين بالفطرة، وبين "الرؤية البعيدة الموجّهة" Controlled remote viewing ذات النتائج الدقيقة دائماً، وهي تمثّل شكل من أشكال "التأمّل الموجّه إرادياً".

خلاصة

إن ما ورد في هذا الكتاب من ظواهر استثنائية مختلفة هي مجرّد عيّنات من طيف واسع من الصيغ المختلفة التي استعرضها الإنسان ويصعب إحصاءها لكثرة تنوعها حيث تتعدى المئات، وبالتالي يستحيل ذكرها جميعاً، لكن على أي حال ليس من ضرورة ذكرها كاملة طالما أن سرّ الاختلاف يكمن في مكان آخر وسننظر إليه لاحقاً.

بدا واضحاً أن هذه الظواهر ليست مقتصرة على مجموعة أو ثقافة أو شريحة بشرية معيّنة ولا على منطقة أو فترة تاريخية محددة، لكن الاختلاف الوحيد يكمن في شكل وطريقة تجسيد هذه الظواهر الاستثنائية والصيغة التي نُظر وفقها إليها. لكنها تتراوح عموماً بين حالات "إدراك متجاوز للحواس"، حالات "التحكّم بالأشياء بواسطة الفكر"، رؤيا روحانية أو مقابلات مع كائنات خفية، معجزات علاجية، تقمّص، خروج عن الجسد، تعدد شخصيات، طيف واسع من القدرات الجسدية الخارقة، بالإضافة إلى أشكال مختلفة من الحالات الروحانية أو الصوفية (حالات وعي بديلة) غير المألوفة، مارسها عدد كبير من الأشخاص، من كافة مشارب الحياة وعبر العصور التاريخية المتعاقبة.

إن سبب الاختلاف والتنوّع الكبير الذي تبديه هذه الظواهر لا يعود إلى أنها صُممت خصيصاً لاتخذ الأشكال التي تجسّدت بها، بل يعود سببه إلى الاختلاف الكبير والمتنوّع في نظرة الناس لها حسب اختلاف الثقافة التي تجسّدت وسطها. وليس هذا فحسب، بل يبدو أنها تتجسّد بصيغة أو هيئة تتناغم مع المعتقد العام الذي يسود في المجتمع، أي العامل الأهم يتمثّل بالقناعات الخاصة للوسيط ذاته الذي جسّدها، وهذه نقطة مهمة توفر لنا الخيوط الأولية إلى مكمن السر.

فمثلاً، عُزيت ظاهرة "البولترجيست" (حدوث صخب وتحرّك عشوائي للأشياء) إلى كائنات خفية مختلفة حسب اختلاف الثقافة والمعتقد، ففي حالة "إليونور" مثلاً كان الفاعل هو الشيطان "دراكو"، بينما في ثقافات أخرى يكون الفعال عفريت أو جن أو شبح أو غيرها من كائنات خفية، لكن إذا أردت النظر إلى الظاهرة عموماً ومن منظور شامل ستجد بأنها لا تتعدى كونها "تفجّر عشوائي لقدرة إنسانية كامنة" وتتمحور حصراً حول شخص معيّن، وبالتالي فالسرّ يكمن عنده لكنه لا يدري بذلك لأنه موهوم بالمعتقدات المحلية التي لها نظرة خاصة تجاه هذه الظاهرة. فعندما تهرب الناس من مكان تجسيد هذه الظاهرة نجد أنه أوّل من يهرب معهم.

أما القدرة على الاستبصار، فكما رأينا، هي تتجسّد بأشكال متنوعة حسب اختلاف الثقافة أو حتى المنهج السحري المتبع. فهناك يستخدم أنواع مختلفة من البخور أو يتلو أقسام ودعوات وتعاويذ مختلفة، لكن لا أحد يفطن إلى أنها مجرّد طقوس مختلفة تتمحور حول استنهاض قدرة واحدة، جوهر واحد، وهو الاستبصار.

أما ظاهرة التقمّص، فيمكن النظر إليها من زوايا مختلفة، ووفق مفاهيم مختلفة. هناك من يعتبرها مجرّد حالة نفسية تتمثّل بـــ"انفصام في الشخصية" أو "تعدد شخصيات"، وهناك من ينظر إليها كحالة "استحواذ روحي" أو حتى "لبس الشيطان"، مع أنها في الحقيقة لا تتعدى كونها حالة تشير بوضوح إلى أن الإنسان ليس مجرّد منظومة بيولوجية مُغلقة (كما سنرى لاحقاً) بل هو "منظومة مفتوحة"، أي في حالة تواصل (تخاطر) دائم ومستمر مع الكون الذي يغمره. وبهذه الصيغة يمكننا تشبيه عقله (منظومته العقلية) بجهاز استقبال الراديو، حيث أي خطأ في التوليف سوف يمكن العقل من التقاط موجة أخرى. وقد رأينا أن مجرّد حادث سقوط قد يؤدي إلى خطأ في البث (الهولوغرافي) بحيث استطاعت "دوروثي" أن تتقمّص شخصية كاهنة فرعونية تعود إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة. أما الفتاة "لورانسي" التي تقمّصت شخصية "ماري"، فكانت مهيّئة أصلاً لهذه القابلية حيث كانت تعاني من تلقي بثّ إذاعي عشوائي لشخصيات أخرى قبل أن تمكن الدكتور "ستيفنز" من توليفها على شخصية فتاة أخرى بواسطة التنويم المغناطيسي. على

أي حال، فإن هذا الموضوع يتطلّب الكثير من التوضيح وهذا ما سأفعله بالتدريج خلال الأجزاء القادمة، لكن الفكرة الجوهرية هنا هي أنه رغم اختلاف وجهات النظر تجاه هذه الظاهرة بالذات، إلا أنها في الحقيقة لا تتعدى كونها "حالة رنين متناغم بين كائنين منفصلين (زمانياً أو مكانياً) مما يؤدي إلى حصول تناقل متبادل للـــ"برامج المعلوماتية" (أرواح) بين الجانبين".

الأمثلة المذكورة سابقاً، والتي تشير إلى مدى الإرباك الذي يمكن أن يترتب نتيجة تناولها بسبب التعدد الكبير في طرق النظر إليها، هي التي تجعلنا عاجزين عن تفسيرها أو حتى استيعابها. وهنا تدخل أهمية موضوع "الصور الصغرى" (تعدد وجهات النظر تجاه الإنسان وقدراته) و"الصورة الكبرى" (الطبيعة الأصيلة للكائن البشري).

كلنا طبعاً نتعامل مع الواقع ونتفاعل معه وفق الصور الصُغرى وبالاعتماد عليها (حسب منطق المجتمع الذي ننتمي إليه). هذه الصور الصغرى مغروسة في وجداننا بعمق وما من عيب في الاعتراف بذلك. لكن الأمر المهم هو معرفة أن محاولة فهم واستيعاب أي من الظواهر أو القدرات الخارقة انطلاقاً من مفاهيم تستند على "صور صغرى" قد لا تساعد إطلاقاً.

لكن يبدو أن المسألة لا تقف عند هذا الحدّ، حيث تبيّن (كما سنرى لاحقاً) أن النظر إلى هذه الظواهر بالاستناد على "صور الصغرى" هو العامل الأساسي في إعاقة ظهورها لدى كافة الناس. فهذه الظواهر والقدرات تستند على منظور أوسع للكائن البشري، أي "الصورة الكبرى"، وجميعنا نعلم أن النظرة للإنسان تختلف بشكل كبير بين مجموعة بشرية وأخرى. ورغم هذا الاختلاف الكبير في تعريف الإنسان، لم تتمكّن أي جهة من الخروج بصورة واضحة وشاملة عن هذا الكائن العجيب، لأن التعريفات المحلية لكل مجموعة تمثّل بكل بساطة "صوراً صغرى".

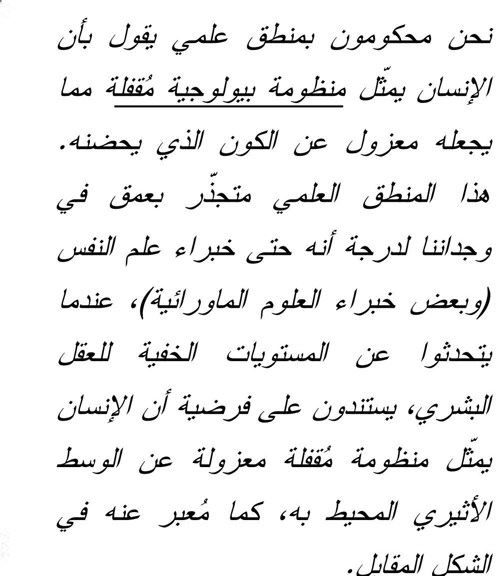
وليس هذا فحسب، بل أنها "صور صغرى" صُممت أصـــلاً مـــن أجـــل تعزيـــز عنصرين اجتماعيين قائمين منذ الزمن الأوّل، يُشار إليهما بشكل عام بـــ"النمـــوذج الاجتماعي العام" social norms و"الذكاء المتوسّـــط" average intelligence. هنا نستطيع العثور على دليل رئيسي يساعدنا في حل الكثير من الألغـــاز خـــلال بحثنا عن الأسباب المانعة لانتشار الظواهر الخارقة بين المجتمعـــات. "النمـــوذج الاجتماعي العام" هو مجموعة من المعايير والنُظم والقوانين المفروضة على أفراد المجتمع، أما "الذكاء المتوسّط" فيقصد منه أشخاص ذوي "جودة متدنية في العقليـــة والتفكير" لسهولة السيطرة عليهم. ورغم الاختلاف الكبير بين المجتمعات والثقافات حول العالم، إلا أنها تشترك جميعاً بوجود هذان العنصران، واللذان يبـــدو أنهمـــا عاملان أساسيان لتماسك المجتمع وانضباطه (وهذا جانب إيجابي نوعاً ما).

إذاً، يمكن اعتبار عناصر "الصورة الكبرى" بأنها تمثّل كل ما يمكنه الإشارة إلى العوامل والسمات المشتركة التي تتمتع بها الفصيلة البشرية ككلّ. بينما حالات "الصور الصغرى" تمثّل ما هو محلّي (غير معمّم على مستوى الفصيلة البشرية) حيث هي سمات مقتصرة على التعريفات المختلفة للإنسان لدى مجموعات بشرية مختلفة، وتلك التعريفات تمثّل أجزاء مجزّئة من الفصيلة البشرية ككلّ، أي أنها صور جزئية للصورة الكبرى.

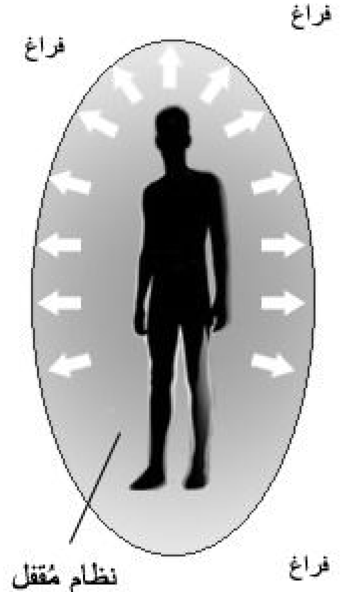
والأمر الذي أصبح واضحاً هو أن القدرات الخارقة تمثّل سمة معممة على كامل الفصيلة البشرية. وهذه الحقيقة مدعومة بعدد لا متناهي من الدلائل الثابتة التي تكشف عن تجسيد الظواهر الخارقة بشكل تلقائي في كافة الحضارات والأعراق البشرية، وعبر العصور التاريخية الطويلة، وبين كافة الأجيال. مما يجعلنا نستنتج ونجزم بأنها لا تستطيع التجسّد في كل هذه الحالات المذكورة إن لم تكن داخلة في الموروثات الأساسية لفصيلتنا البشرية والتي تشمل كل البشر. والدليل الآخر هو قابلية استنهاضها عبر التدريب.

الفكرة الرئيسية هنا هي أنه إذا كانت القدرات الخارقة تنتمي إلى مقـام "الـصورة الكبرى"، فبالتالي تلعب "الصور الصغرى" دور الحواجز المعوّقـة لتفعيلهـا فـي الفرد، لأن الأرضية العقلية لديه أُخضعت لأفكار ومعتقدات وخرافات محلية تعمل كمعوّقات وحتى مثبّطات لعملية استنهاض القوى الكامنة لديه. وإذا كانـت هكـذا الحال، فبالنسبة للعقول التي نشأت ضمن حدود "الصور الصغرى" الأمر يتطلّـب إدخال عناصر (أفكار) جديدة من سياق "الصورة الكبرى" (معلومات جديـدة عـن طبيعة الفصيلة البشرية ككلّ) من أجل توفير تربة مناسبة لنمو "البذور" (التعـاليم) التي تساهم في تفعيل القدرات الخارقة لدى الفرد.

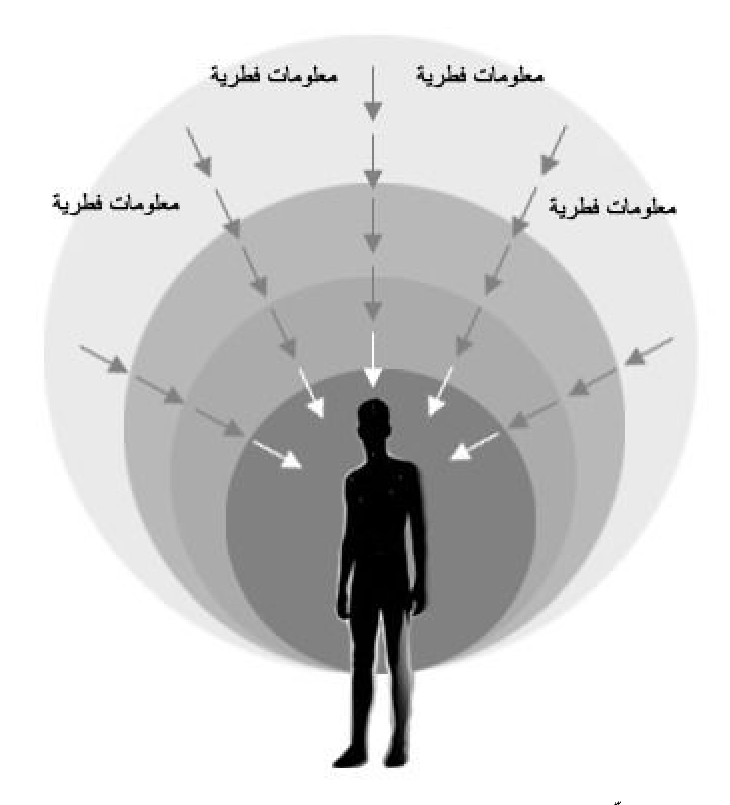
أهم الحقائق التي وجب التعرّف عليها بخصوص طبيعتنا ككائنات بشرية هي أننا نمثّل أنظمة بيولوجية مفتوحة. مجرّد التسليم بهذه الحقيقة يفتح الأبواب على مصراعيها أمام الإجابات الوافية والشافية على الكثير من التساؤلات التي مثّلت الألغاز عصيّة عن التفسير، أهمها هي قدرة التواصل (أو التأثير) الذي يتجسّد بين كائنين يفصل بينهما مسافة بعيدة.



نحن محكومون بمنطق علمي يقول بأن الإنسان يمثّل منظومة بيولوجية مُقفلة مما يجعله معزول عن الكون الذي يحضنه. هذا المنطق العلمي متجذّر بعمق في وجداننا لدرجة أنه حتى خبراء علم النفس (وبعض خبراء العلوم الماورائية)، عندما يتحدثوا عن المستويات الخفية للعقل البشري، يستندون على فرضية أن الإنسان يمثّل منظومة مُقفلة معزولة عن الوسط الأثيري المحيط به، كما مُعبر عنه في الشكل المقابل.



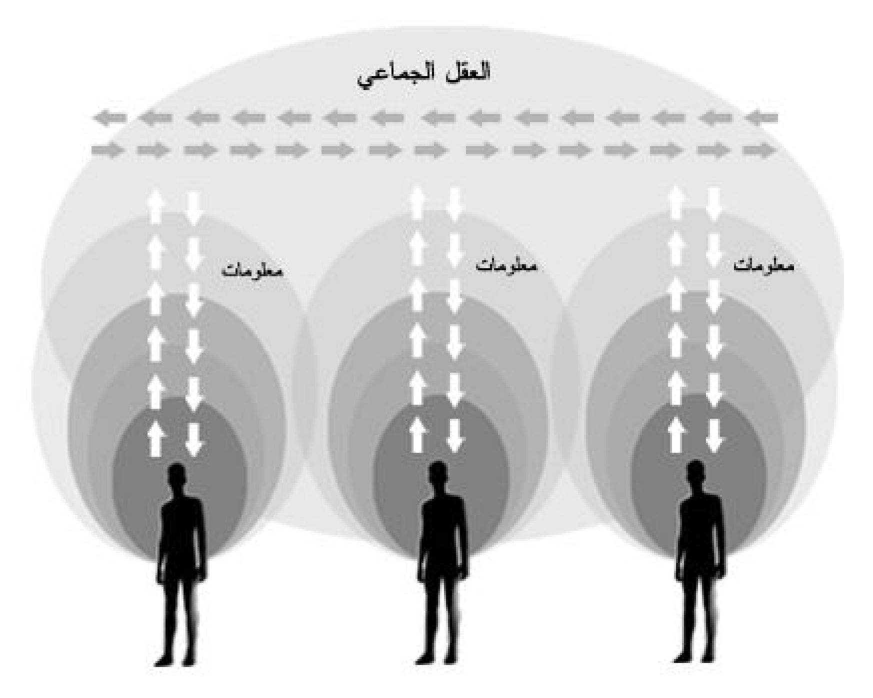
بينما في الحقيقة، فالإنسان يمثّل منظومة بيولوجية مفتوحة، أي هو على تواصل كامل ومستمر مع هذا الوسط الأثيري الذي يغمره. حتى أنه يمثّل جزء من هذا الوسط الأثيري لكن محدودية إدراكه تمنعه من ملاحظة هذه الحقيقة. إنه في حالة تبادل مستمر للمعلومات والطاقات المختلفة مع البيئة المحيطة به، كما مُعبر عنه في الشكل التالي:



الكائن الحيّ يمثّل منظومة بيولوجية مفتوحة، وعلى تواصل كامل ومستمر مع البيئة الأثيرية التي تحضنه. بعد أن نستوعب هذه الحقيقة، حينها سنستوعب السحر بمفهومه المبسّط.

بعد الإطلاع على الحقائق المتعلقة بالنوابغ (أطفال المعجزة) أو الذين يتلقون معلومات غيبية أو حتى تأثيرات خارجية مختلفة، صحيح أن الدلائل كانت قوية بما يكفي لتجعل الفرد يسلّم بها، لكن ربما القليلون استنتجوا منها حقيقة أن الإنسان

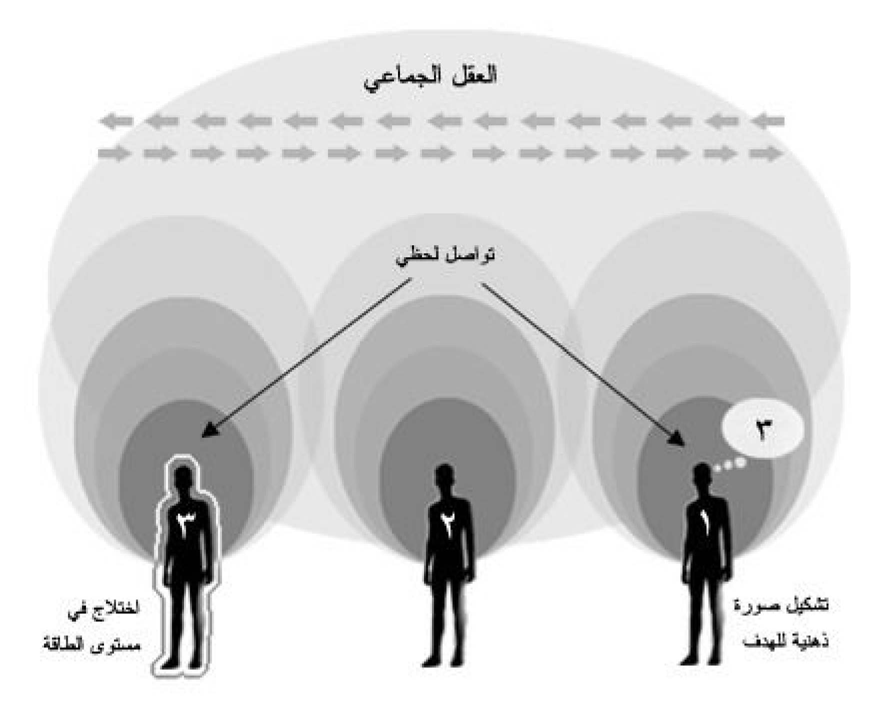
يمثّل نظام مفتوح وليس مقفل. والسبب الذي جعلنا نعجز عن استنتاج ذلك هو كثرة المفاهيم الخاطئة التي غرست في عقولنا مما يجعلنا نُصاب بالحيرة والإرباك في النظر لهكذا ظواهر ماثلة أمامنا.



منظومتنا العقلية هي مجرّد أجزاء صغيرة لمنظومة عقلية أكبر يشمل كل العقول.
هذا الواقع يمثّل التفسير الوحيد لحالات "التخاطر" مثلاً.

لم يعد هناك شكّ بحقيقة أن عقل الإنسان هو مجرّد جزء صغير من مجال عقلي كبير، والإدراك هو ليس سوى عملية تبادل المعلومات مع ذلك المجال المعلوماتي العملاق. بعد أن تعرفنا على حقيقة وجود عقل جماعي (أو مجال شامل من الوعي) يشمل كل العقول ويوصلها ببعضها، فبالتالي لم تعد فكرة التواصل اللحظي بين الأشخاص (مهما كانت المسافة الفاصلة) مُستبعدة. وإحدى مظاهر هذه الحقيقة هو حصول رنين متناغم (تخاطر) بين شخصين مجرّد ما قام أحدهما باستهداف الآخر بتفكيره. والرنين هو ظاهرة طبيعية تمثّل إحدى الخصائص الأساسية لهذا الكون الهولوغرافي العجيب (الذي يتسم باللامكانية) ولولاها لما كان ممكناً لأي

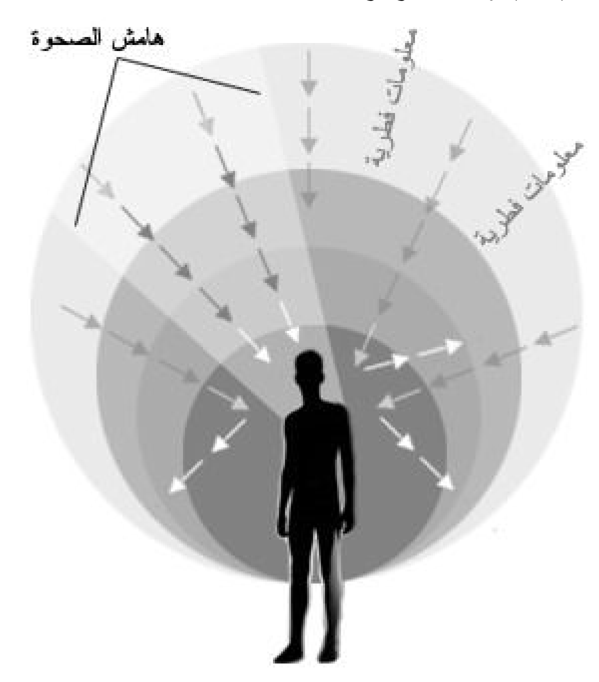
جهاز راديو أن يستقبل المحطات الإذاعية. وهذه الحقيقة الأخيرة تجعل ظاهرة "التقمّص" و"تعدد الشخصيات" أقرب للهضم. خاصة بعد أن نعلم بأننا نمثّل أجزاء من كون هولوغرافي متعدد الأبعاد (كما سنرى لاحقاً في الجزء الثاني)، ومجرّد أن سلّمنا بهذه الفكرة، أصبح سهل علينا استيعاب حالة التقمّص بشخصية فرعونية عاشت يوماً قبل ٣٠٠٠ سنة. أو القدرة على التنبؤ بالمستقبل أو الحصول على معلومات غيبية بشكل عام.



يمكن إحداث اتصال متبادل مع أي شيء في الكون، مهما كانت المسافة المكانية أو الزمنية، بفضل تلك الظاهرة التي تسمح بها الطبيعة الهولوغرافية للكون، وتُسمى "الرنين المتناغم". سوف نتعرّف في الجزء الثاني على حقيقة أننا في حالة تواصل دائم مع بعضنا البعض، حتى أنه مجرّد التفكير بالشيء أو تصوّره بذهننا يكفي لأن يحدث هذا "الرنين المتناغم".

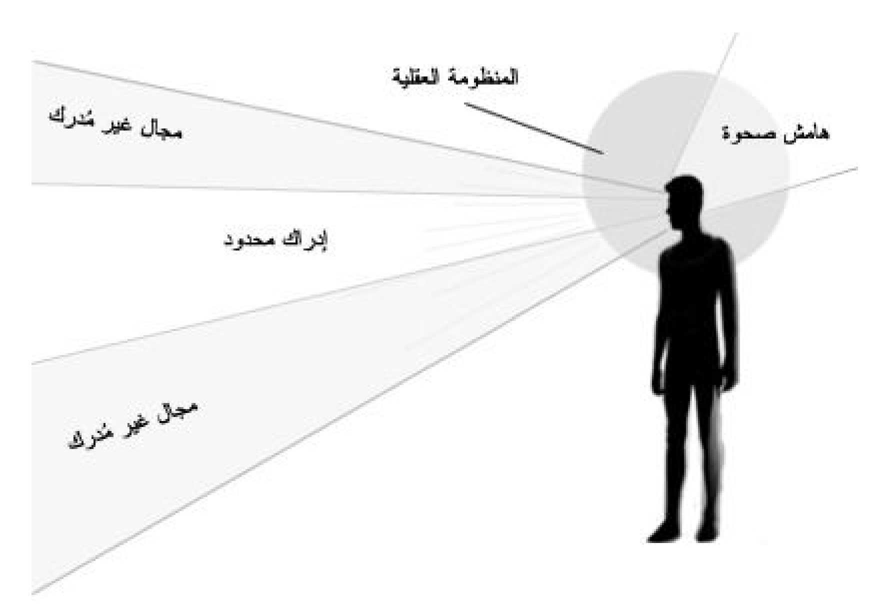
تصوّر مدى أهمية هذا العامل. فمجرّد التعرّف على مجموعة صغيرة من الحقائق، تغيّرت نظرتنا للموضوع بالكامل. فبالتالي، المفاهيم والمصطلحات تلعب دوراً أساسياً في هذه المسألة.

وبما يخصّ عملية تفعيل ملكات القوى الخارقة، فإن القاعدة الأساسية التي تتمحور حولها هذه العملية ليست موجودة خارج الفرد بل داخله. بمعنى آخر، الهدف الرئيسي في عملية تفعيل ملكات القوى الخارقة يتمثّل في "تنشيط" أو "استنهاض" الملكات التي هي موجودة أصلاً في العالم الداخلي لديه، لكنها تقبع كامنة أو خامدة ومجهولة أصلاً، وبالتالي فهي خارج هوامش الصحوة (نظرة العالم الخاصة) لديه مما يجعله محروماً من اختبارها أو استخدامها. كيف يمكنه استخدام شيء، أو يحاول تفعيله، بينما يجهل أنه موجود أصلاً؟



إن ضيق أفق التفكير يولّد لدى الشخص هامش صحوة محدود، مما يمنع المعلومات الفطرية من التفاعل مع الملكات الكامنة لديه، فبالتالي تعجز المنظومة المخصصة لهذا الغرض من التكامل ومن ثم التفعيل

تبقى تلك الملكات كامنة أو خامدة لأن الحدود الخارجية لوعي الفرد ونظرته الخاصة للواقع، وكذلك عالمه الداخلي، هي مبنية ومهيأة بطريقة تمنعه من التواصل الإدراكي معها. وطالما بقي هذا البناء الحاجز قائماً، فسوف لن تخدم التعاليم المنظّمة لاستنهاض القدرات الخارقة في شيء، مهما كانت مكثّفة وغزيرة.



إن الإدراك المحدود (أو الموجّه) للواقع يؤدي إلى تضييق هامش الصحوة لدى الفرد، وهذا يعيق عملية تفعيل القدرات الخارقة مهما كانت التعاليم كثيفة وفعّالة.

إذا كان على أحدنا أن يستوعب أي نوع من التعاليم أو المناهج التدريبية المتعلقة بتفعيل ملكات القوى الخارقة، وجب عليه الأخذ بعين الاعتبار منذ البداية بأن العملية ستشمل إجراء "تغييرات في النظر للواقع" reality shifts التي تفرضها عليه الصورة الصغرى التي نشأ عليها من أجل توسيع هامش الصحوة لديه.

الخطوة الأولى التي وجب اتخاذها، وهي الطريقة الأكثر فعالية في مساهمتها بتفعيل ملكات القوى الخارقة، وتتمثّل بدراسة الطبيعة الفعلية لتلك الملكات على

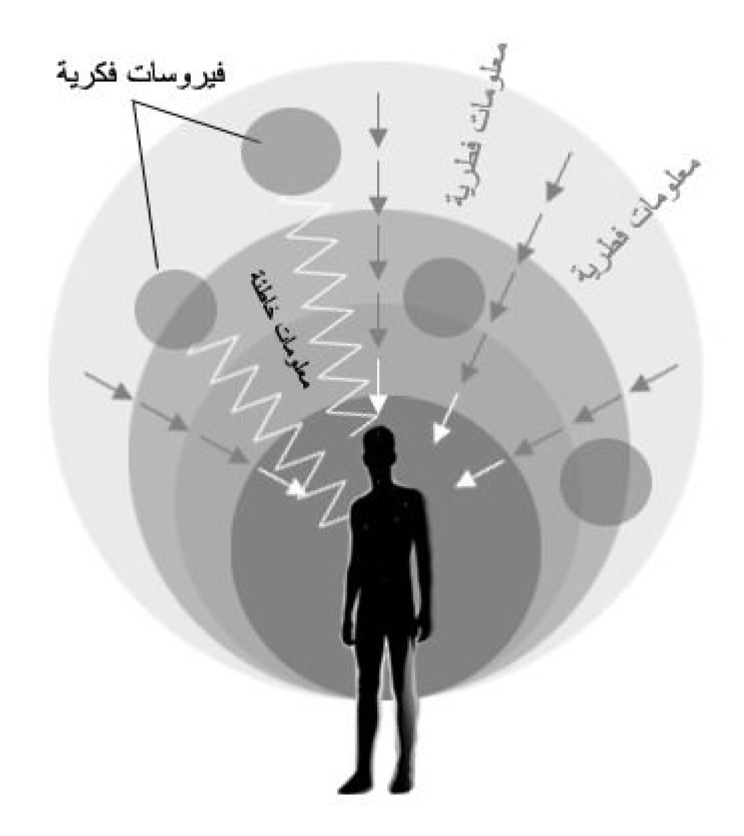
مستوى الفصيلة البشرية ككلّ وليس على المستوى الفردي أو على مستوى اجتماعي معيّن أو وفق مفهوم ثقافة معيّنة.

أما الخطوة الثانية، فهي تحديد عناصر "الصور الصغرى" التي تعمل كمعوّقات ومن ثم التخلّص منها مباشرة. لكن هذه العملية قد تشابه الصراع مع الطواحين إذا لم يكن الفرد ملماً بالمعايير البنيوية للصور الصغرى. أي التعرّف على ما الذي يجعل "الصور الصغرى" صوراً صغرى.

بعد إجراء البحوث والدراسات اللازمة، تبيّن بوضوح أن نسبة كبيرة من العوامل المعيقة هي اجتماعية في الأصل. فمثلاً، إحدى مظاهر هذه العوامل المعوّقة تكمن في "المنطق العام" الذي يحكم طريقة تفكير المجتمعات ويحدد خصائص ومقومات البيئة الاجتماعية التي نشأ ضمنها الأفراد واعتادوا عليها. بما أن "المنطق العام" الذي يسود اليوم هو منطق علماني "مادي" لا يؤمن سوى بكل ما هو مرئي وملموس، أو منطق ديني لا يتسامح مع أي شيء ما ورائي سوى الماورائيات الدينية، ربما أصبح لدينا فكرة عن نوع المعوقات التي تثبط العملية.

يمكن اعتبار أن معظم العوامل المعوّقة تمثّل ما يمكن وصفه بفيروسات تنخر في منظومة معالجة المعلومات الكامنة في جوهر أفراد مجتمع معيّن، أو مجموعة بشرية معيّنة، وبالتالي تعمل على تحريف أو تشويه أو إبطال عملية معالجة المعلومات الذهنية لدى كل فرد.

في كافة الأحوال، إنه من المنطقي والعقلاني أن نفترض بأنه عندما يتم إبطال مفعول الفيروسات المعلوماتية في أي منظومة معالجة معلوماتية، سوف نتوقّع حصول شيء ما في أداء هذه المنظومة المعالجة للمعلومات. وطبعاً الأداء سوف يتحسّن بشكل جذري لأن المنظومة عادت للعمل بشكلها الطبيعي الذي كان مشوهاً سابقاً بفعل وجود الفيروسات.



الفيروسات الفكرية (التي هي عبارة عن مفاهيم وتصورات خاطئة) تنخر في منظومة معالجة المعلومات الكامنة في جوهر الفرد، وبالتالي تعمل على تحريف أو تشويه أو إبطال عملية معالجة المعلومات الذهنية لديه.

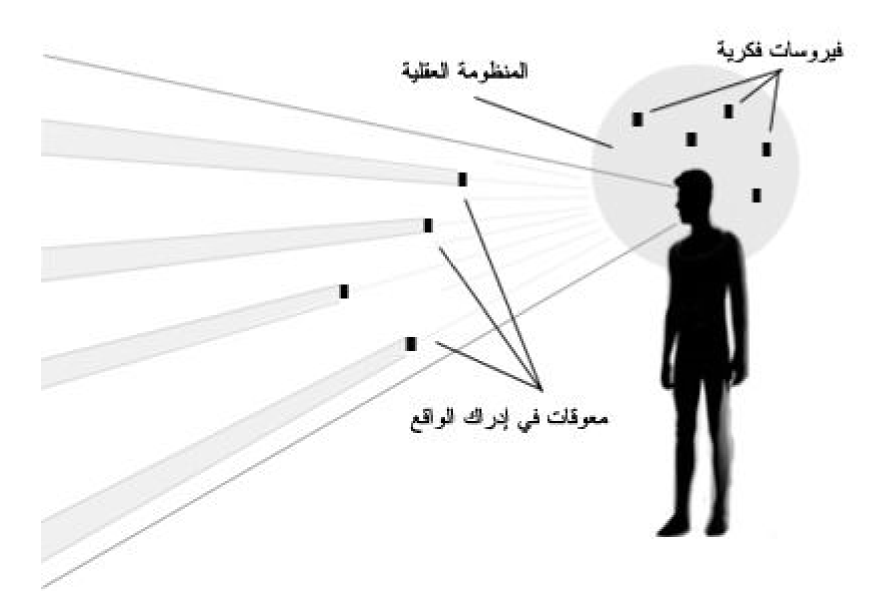
ومن ناحية أخرى، فإن الضوابط الاجتماعية التي لا تتساهل مع القدرات الخارقة ليست فقط مسؤولة عن قمع تواتر تجسيد هذه القدرات، بل مسؤولة أيضاً عن إحداث حالة تشويش وخلط وإرباك في الشؤون المتعلقة بالعملية بحيث يصبح التفعيل الإرادي لهذه القدرات صعباً أو حتى مستحيلاً. وأهم العناصر المسؤولة عن هذا التشويش هي المفاهيم والتصوّرات المُستخدمة للنظر إلى الظواهر والقدرات الخارقة.

وبالفعل، نستطيع بسهولة إدراك حقيقة أن القوى المسيطرة التي تعمل على صياغة وتعديل المفاهيم العامة للشعوب (المؤسسات دينية والعلمية مثلاً) تعمل ليس على تقليل المعرفة الوظيفية للقدرات الخارقة فحسب، بل تعمل أيضاً على حرمانها حقاً شرعياً كسمة مميّزة تتمتع بها فصيلتنا البشرية.

أحد العناصر الجوهرية التي يمكنها التحوّل إلى فيروسات هي: المفهوم أو التصوّر conceptualization وهو ***صيغة*** يستخدمها الناس كأساس لأدائهم الفكري، وتُستخدم أيضاً لتفسير والحكم على الأشياء. مع العلم أن كل مجتمع أو حضارة أو ثقافة لديها ***صيغتها*** الخاصة للنظر إلى الأشياء. وعندما يتعلق الأمر بالقدرات الخارقة، فهي تتجسّد وفقاً للصيغة الخاصة المألوفة في المجتمع. أي، التصوّرات والمفاهيم المختلفة التي يُنظر من خلالها إلى هذا المجال تؤدّي إلى تجسيد مظاهر مختلفة ونتائج مختلفة.

نستنتج من ذلك حقيقة أن مجموعات مختلفة من فصيلتنا البشرية، والتي تأقلمت مع تصورات ومفاهيم مختلفة، تعمل على فهم، وتفسير، وتقدير، والحكم على ظاهرة خارقة معيّنة بطرق مختلفة تماماً (كما رأينا في مواضيع الكتاب). وهذا يجعله من الصعب جداً إيجاد صلات وصل أو تشابهات بين الصيغ المختلفة التي تستخدمها مجموعات بشرية مختلفة خلال نظرها لظاهرة واحدة.

وبالتالي، إذا سعينا للنظر إلى ملكات القدرات الخارقة من خلال ***الصيغ والمفاهيم*** المصنوعة محلياً، فسوف نحقق ما تسمح به هذه المفاهيم فقط. ومهما كان هذا الشيء الذي تسمح به، فربما لا يتوافق مع الصيغ والمفاهيم المصنوعة في مكان آخر. ما أحاول قوله هو أن المفاهيم الفردية والاجتماعية تتحكّم بالعدسات البصرية العقلية التي نحكم من خلالها على ما يتجسّد أمام أنظارنا من هذه الظواهر الخارقة.



يمكن للمفاهيم والمصطلحات (الفيروسات الفكرية) الخاطئة أن تمنعنا من رؤية المواضيع التي تمثّلها بشكل واضح وجلي، أي أنها قد تساهم في تشويش الصورة أكثر من توضيحها.

كما رأينا سابقاً، يُعتبر عامل "المفاهيم" مهم جداً في عملية تفعيل القدرات الخارقة. إنه يمثّل تحدّي حقيقي، خاصة بعد يقيننا بأن هكذا قدرات موجودة بالفعل، لكنها تمتنع عن النهوض والتجلّي.. وكل هذا بسبب استخدام ***مفاهيم خاطئة*** خلال محاولات تفعيلها.

كل هذا وفي الوقت ذاته، نجد أن التاريخ البشري الطويل شهد تجسيدات تلقائية لأنواع مختلفة من هذه القدرات الاستثنائية. الكثير من الظواهر الموثّقة التي تعود للوراء ٦ آلاف سنة على الأقلّ. والكثير من المناهج التدريبية الهادفة لتطوير هذه القدرات برزت واندثرت عبر توالي القرون. لكن النتيجة النهائية والواضحة هي أن فصيلتنا البشرية، رغم امتلاكها لهذه الملكات، لازالت اليوم محرومة منها بصيغتها المفعّلة.

خلاصة الخلاصة

خُلق الكائن البشري مؤلفاً من منظومة عقلية/جسدية متكاملة مجهّزة بمعلومات ووظائف فطرية (نسميها الغريزة). من أجل استيعاب الفكرة بشكل جيّد، وبسبب التشابه المدهش بينهما، يمكننا استخدام مثال جهاز الكمبيوتر وآلية عمله خلال وصفنا لهذه المنظومة العقلية/الجسدية للكائن البشري.

فكما جهاز الكمبيوتر، خُلق هذا الكيان العقلي/الجسدي وهو مزوّد أصلاً بقرص صلب يحتوي على معلومات ووظائف أولية (فطرية)، أي خُلق بحالة بدائية (خام). لكن هناك برامج معلوماتية يمكن تحميلها للمنظومة الذهنية للفرد (أي التزوّد بمعلومات عبر الخبرة اليومية، التعليم، التلقين، التدريب، غسيل الدماغ،.. إلى آخره) وهي التي تحدد إمكانية عمل العقل بشكل صحيح أو إرباكه بحيث يعمل بشكل خاطئ.. أو دعونا نقول: يعمل بشكل موجّه نحو اهتمامات ووظائف محدّدة.

إذاً، نحن نتكلّم، عن برنامج أوّلي موجود أصلاً وبشكل طبيعي في القرص الصلب للفصيلة البشرية ككلّ ويمثّل الوظائف الفطرية للمنظومة العقلية/الجسدية للكائن البشري. وثانياً، عن حقيقة أنه يمكن تحميل برامج معلوماتية مختلفة، خاطئة أو صحيحة، للاندماج والتفاعل مع هذا البرنامج الأوّلي الموجود سابقاً وبشكل فطري. وبكل تأكيد، فإن تحميل "برنامج معلوماتي صحيح" سيساهم في "تنظيم" العقل الحيوي بحيث يجعله يرتقي إلى مستويات رفيعة من منهجية التفكير الفعّال. بينما على الجانب الآخر، فتحميل "برنامج معلوماتي خاطئ" سوف يفعل العكس تماماً.

وهكذا، فقد أصبح واضح جداً بخصوص "القدرات الخارقة" أن الأمر يتعلق بضرورة وجود "منظومات معلوماتية" صحيحة. وهي "المنظومة المعلوماتية" التي تسمح بالتعرف على، ومن ثم الاندماج مع، الطيف الواسع من الملكات العقلية/الجسدية الكامنة في فصيلتنا البشرية ككل. وإلا، فلا يمكن تطويرها

وتشذيبها في حضور "منظومة معلومات" خاطئة مغروسة في عقل الممارس، حتى لو كانت تبرز لدى الفرد قدرات تلقائية بين الحين والآخر.

وإذا أبقينا على استخدام مثال الكمبيوتر، يمكننا إضافة استعارة أخرى وهي متمثّلة بـ"الفيروس" الذي يمكنه لخبطة أو التسبّب بشلل أو تحريف أو تعطيل كافة البرامج المعلوماتية المُحمّلة حديثاً أو الموجودة أصلاً في العقل. بمعنى آخر، يمكن لفكرة خاطئة مغروسة في ذهن الشخص أن تلعب دور الفيروس من حيث خطورتها بالنسبة لكافة المنظومات التي يحتويها العقل البشري ويعتمد عليها لإتمام وظائفه بشكل صحيح.

لذلك وجب أن يخضع العقل لعملية تنظيم صحيحة ومدروسة بشكل جيّد. والقصد هنا من عبارة "عملية تنظيم صحيح" هو أنها تشبه عملية تزويد جهاز الكمبيوتر لديك ببرنامج محدّد. وهذا البرنامج (التعاليم) يحتوي على المعلومات المناسبة التي توفّر الشروط المناسبة لاستنهاض القدرات العقلية الخارقة بشكل صحيح. ومن هنا يأتي دور "المنظومة المعلوماتية الذهنية" mental information grids وقد أصبح ضرورياً توضيح هذه الفكرة بشكل جيّد:

كل إنسان مزوّد بمنظومة فطرية للتتميم ذاتي self- perfecting unit، وفي داخلها تقبع بنية تحتية أو ملكات مسؤولة عن قوى عقلية/جسدية هائلة بشكل مخيف. ويمكن تحديد موقع هذه القوى، ثم تطويرها وتعزيزها. لكن هذا الأمر لا يتحقّق إذا لم يُهيأ العقل والجسد بشكل صحيح، وذلك عن طريق تزويد الفرد بمنظومة معلوماتية تساعده على إدراك أو الوعي بوجود هذه القوى الكامنة في كيانه أصلاً.

لكن هذه الملكات لا يمكنها أن تعمل جيداً بانسجام إلا إذا تم إدماجها بشكل اختياري من قبل العقل الإدراكي لـ"منظومة التتميم ذاتي" self- perfecting unit الكامنة في جوهر الإنسان. وهذا لا يتم سوى بالتدريب العملي.

الدرس الأوّل: استكشاف عظمتنا ككائنات بشرية

إذاً، أصبحت الفكرة واضحة. نحن بحاجة إلى المزيد من المعلومات عن أنفسنا. كلما تعرّفنا على المزيد عن أنفسنا كلما تجسّد بشكل فعلي وملموس، لأن هامش الصحوة سيتوسّع تلقائياً، وهذا سيؤدي حتماً إلى تفعيل المزيد من الملكات الكامنة في جوهرنا، وسوف نشعر بالنتيجة فعلياً مع مرور الأيام. لكن السؤال هو:

أي معلومات؟ وإذا يوجد هناك ما نجهله من حقائق عن أنفسنا، فمن أين نأتي بها؟ ربما يظن البعض أن هذه مسألة بسيطة لكنها ليست كذلك. دعونا نتساءل بجدية مع بعض من التأمّل العميق.. ***كيف نحصل على المعلومات المتعلقة بحقيقتنا الأصيلة ككائنات بشرية؟*** هل من مصادر موثوقة لهذا الغرض؟ هل التعرّف على الفلسفة اليوغية (أو أي فلسفة تجاوزية أخرى) كافي لتحقيق الهدف؟ أم أنها أيضاً تمثّل صورة صغرى ولا ترتقي للصورة الكبرى؟

أما بخصوص المعلومات المطلوبة، فقد أصبح بعضها متوفراً لكم في هذه السلسلة من الكتب. لقد جُمعت ورتبت بطريقة خاصة تهدف إلى سهولة الاستيعاب والتبسيط الشديد. دعوني أبشرّكم بمعلومة أو اثنين م من ما ستتعرفون عليه لاحقاً:

إذا كنت تنظر إلى نفسك على أنك مخلوق ضعيف بائس لا جدوى منه، لا يستطيع تجسيد أي ظاهرة خارقة، فابتسم واطمئن، أنت على هذه الحال بسبب قدرة عجيبة تتمتع بها وهي أنك ***تستطيع تجسيد كل ما تؤمن به على أرض الواقع.*** وبما أنك تؤمن بأنك ضعيف، فهذا ما جسّدته فعلياً.

لقد أسيء توجيهنا وإرشادنا إلى أن وقعنا في متاهات المسلّمات التي سجنتنا لفترة طويلة من الزمن عبر إقناعنا بأننا كائنات ضعيفة لا جدوى منها. لقد حُرمنا من حقنا الطبيعي في التعرّف على حقائق كثيرة عن أنفسنا. كل ما نحتاجه هو التعرّف على المزيد من المعلومات. حقائق تتكلّم عن روعتنا ككائنات بشرية وعظمة

الكون الذي يشملنا... والأمر العجيب والمذهل هو أننا سنلاحظ، فوراً ومباشرة، بأنها بدأت تتجسّد فعلياً على أرض الواقع. إلى هذه الدرجة نحن عظماء وجبابرة.

أي بمعنى آخر، عندما نعجز عن تجسيد أو استنهاض أي من القدرات الخارقة فهذا يعود إلى قدرة عظيمة نتمتع بها وتتمثّل بحقيقة ***أننا نستطيع تجسيد كل ما نؤمن به من أفكار ومعتقدات على أرض الواقع!*** وهذه بذاتها تُعتبر قدرة استثنائية يتمتع بها الكائن البشري. تصوّروا إلى أي حدّ وصلت المؤامرة. لقد استخدموا إحدى قدراتنا العظيمة كسلاح فعّال ساهم في الإيقاع بنا.

أنت لست بحاجة إلى الانضمام لأي مدرسة روحية لمساعدتك على استنهاض قواك الحقيقية. أنت ليست مضطراً لخوض تلك الطقوس والشعائر السحرية المقزّزة والقذرة من أجل تجسيد ظاهرة خارقة. أنت بحاجة إلى شيء واحد فقط: أن تُزوّد نفسك ببرنامج جديد يحتوي على منظومة اعتقادية تقول لك بأنك أكثر مما أنت عليه بكثير، وتستطيع فعل العجائب إذا أردت. ومجرّد أن زوّدت نفسك بالمعلومات الصحيحة سوف تبدأ بملاحظة حصول أمور كثيرة في حياتك اليومية.

المعلومات التي ستتعرف عليها منظّمة بالتسلسل. والجزء الثاني يمثّل الدرس الأوّل. سوف نتعرّف فيه على الطبيعة الهولوغرافية للكون وما يشمله من كائنات. حقائق مذهلة تتعلق بالإنسان، تم جمعها ترتيبها في سياق واحد يتوجّه نحو غاية واحدة: استكشاف عظمتنا ككائنات بشرية.. وروعة الكون من حولنا.

انتهى

مراجع

حول عجائب النسّاك الشرقيين:

The Life and Teachings of the Masters of the Far East - Baird T. Spalding, 1894

حول التشي كونغ والوسطاء الصينيين:

China's Super Psychics (1997) - Paul Dong and Thomas Raffill- Marlowe

The Four Major Mysteries of Mainland China- Paul Dong Prentice-Hall, 1984

حول استثمار القدرات الوسيطية لأغراض عسكرية:

Remote Viewing - The Real Story! - Ingo Swann- 1995

Your Nostradamus Factor - Ingo Swann -Simon & Schuster, 1993

Psychic Warfare: Threat or Illusion?-Martin Ebon-1983

Remote Viewing Secrets - Joseph McMoneagle-2000

Remote Viewers — The Secret History of America's Psychic Spies- Jim Schnabel-1997

Mind Trek- Joseph McMoneagle-1997

Psychic Warrior — The True Story of the CIA's Paranormal Espionage Program- David Morehouse

حول الظواهر الخارقة التي استعرضها الوسطاء الروحيون في بدايات القرن الماضي:

Lurancy Vennum - Spiritual Possession

Edwards, Frank. *Strange People*, London, Pan Books Ltd, 1966. pp126-133.

Myers, F.W.H. *Human Personality and its Survival of Bodily Death*, New York, University Books, 1961 (1903). Pp66-72

St. Clair, David. *Child Possessed.* London, Corgi. 1979. (Published in U.S. in 1977 as *Watseka*)

Shirley, R. *The Problem of Rebirth.* London, Rider &Co. 1936, pp90-95.

Wilson, Colin. *Poltergeist!* Sevenoaks, Kent, New English Library, 1981, pp71-3.

Omm Sety - Priestess of Ancient Egypt

Cott, J. *The Search for Omm Sety.* New York, Doubleday, 1987.

Eady, D. L. *Omm Sety's Abydos. (*Society for the Study of Egyptian Antiquities Publications), Benben Publications, 1983.

James, P. & Thorpe, N. *Ancient Mysteries*. New York, Ballantine Books, 1999, pp584-598.

Zeini, Hanny El, Dees, C. *Omm Sety's Egypt.***:** *A Story of Ancient Mysteries, Secret Lives, and the Lost History of the Pharaohs.* Pittsburgh, PA, St. Lynn's Press, 2006.

Eleonore Zugun - Poltergeist Girl

Gauld, Alan, Cornell, A.D. *Poltergeists*. London, Boston and Henley, Routledge & Kegan Paul 1979, pp127-142, 327-8

Michell, J, & Rickard, B. *Unexplained Phenomena*. London. Rough Guides Ltd., 2000, pp74-5.

Mulacz, Peter. *Eleonore Zugun - the Re-evaluation of a Historic RSPK Case*. Austrian Society for Parapsychology. Online article at http://www.t0.or.at/~psi/zugun.htm

Spencer, John & Anne. *The Poltergeist Phenomenon*. London, Headline. 1997, pp131, 258, 266.

Tabori, Paul. *Harry Price - Ghost-Hunter*. London, Sphere Books 1974. (1950), pp225-229.

Thurston, H. *Ghosts and Poltergeists* London, Burns Oates, 1953, pp14-16.

Wilson, Colin. Poltergeist! A Study in Destructive Haunting. Sevenoaks, Kent, New English Library. 1982, pp 279-281.

Florence Cook and Katie King: The Story of a Spiritualist Medium

Braude, S. *The Limits of Influence*. Routledge & Kegan Paul. 1986, pp145-8.

Broad, C.D. 'Cromwell Varley's Electrical Tests with Florence Cook.' *Proceedings of the Society for Psychical Research*, Volume 54, Part 195, (March 1964), pp158-172.

Brookesmith, P. "What Katie Did.' *Fortean Times* 179 (January. 2004).

Crookes, William (Sir), Goldney, K.M, Medhurst, R.G, M.R. Barrington, ed. *Crookes and the Spirit World.* Souvenir Press, 1972.

Crookes, William (Sir) *Researches into the Phenomena of Spiritualism*. Two Worlds Publishing Company Ltd. 1904 (7th Edition).

Fodor, N. *Encyclopaedia of Psychic Science.* University Books. 1966, pp61-3.

Hall, T. *The Spiritualists*. Helix Press. 1962.

Medhurst, R.G. and Goldney, K.M. 'William Crookes and the Physical Phenomena of Mediumship.' *Proceedings of the Society for Psychical Research*, Volume 54, Part 195, (March 1964), pp25-153.

Pearsall, R. *The Table-Rappers*. Michael Joseph. 1972, pp49-51. 227-32.

Podmore, F. *Mediums of the 19th Century*. University Books. 1963 (1902), Vol. ii pp97-9, 103, 152-5.

Zorab, G. 'Foreign Comments on Florence Cook's Mediumship.' *Proceedings of the Society for Psychical Research*, Volume 54, Part 195, (March 1964), pp173-183.

Angèlique Cottin, Electric Girl

Crowe, Catherine *The Night Side of Nature.* Hertfordshire, Wordsworth Editions Ltd; London, The Folklore Society. 2000 (1848), pp301-2.

Fort, Charles *Wild Talents* - In *The Complete Books of Charles Fort*. New York, Dover, 1974, p1032.

Inglis, Brian. *Natural and Supernatural - A History of the Paranormal*. Bridport, Prism Press, 1992, pp184-6, p234.

Michell, J. & Rickard, B. *Unexplained Phenomena.* London, Rough Guides Ltd, 2000, p69.

Podmore, Frank. *Mediums of the 19th Century.* New York, University Books, 1963, (2 Volumes). Vol 1, pp41-43.
(Originally published in 1902 as *Modern Spiritualism).*

Wilson, Colin. *Poltergeist! A Study in Destructive Haunting.* Sevenoaks, Kent, New English Library. 1982, p132.

حول الوسطاء العلمانيين في الاتحاد السوفييتي:

www.csicop.org/specialarticles/natasha.html - ‘Testing Natasha’.

www.csicop.org/specialarticles/demkina.html - ‘Natasha Demkina - The Girl with Normal Eyes.’

http://demkina.ru - Official webpage of Natasha Demkina (In Russian).

www.skepticalinvestigations.org/Demkina - ‘The Demkina File’.

www.tcm.phy.cam.ac.uk/~bdj10/propaganda - ‘Scientists' unethical use of media for propaganda purposes’

Braude, Stephen. *Unusual Powers of Mind Over Matter*.
http://www.williamjames.com/Folklore/MINDOVER.htmProfessor

Gris, Henry, and Dick, William. *The New Soviet Psychic Discoveries*. London, Souvenir Press, 1979.

Inglis, Brian. *The Paranormal – An Encyclopedia of Psychic Phenomena*, London. Granada publishing, 1985, p112.

Ostrander, Sheila, & Schroeder, Lynn. *Psychic Discoveries – The Iron Curtain Lifted*. London, Souvenir Press, 1997 (1971).

Spencer, John & Anne. *The Poltergeist Phenomenon*. London, Headline 1997, pp227-8.

Edwards, Frank. *Strange People*. London, Pan Books. 1966, pp117-18.

Wilson, Colin. *Mysteries*. London, Granada Publishing Ltd. 1979, p123

حول الاستبصار والرؤية البعيدة:

Harry Price, *Fifty Years of Psychical Research*. London: Longmans, Green & Co., 1939, pp. 73-74. Price, who founded the National Laboratory of Psychical Research in London, was involved in exposing many fraudulent "psychics."

Joseph Banks Rhine, *Extra-Sensory Perception*. Boston: Society for Psychical Research, 1933, pp. 73-74.

. B. H. Camp, [Statement in notes.] *Journal of Parapsychology*, 1, 1937, 305.

J. Gaither Pratt, James Banks Rhine, et al., *Extra Sensory Perception After Sixty Years*. New York: Henry Holt & Co., 1940. This book was a bible, in its day, for card-guessing researchers.

George R. Price, "Science and the Supernatural," Science, 122, 359-367.

C. E. M. Hansel, *ESP: A Scientific Evaluation*. New York: Scribner's, 1966.

Ian Stevenson, "An Antagonist's View of Parapsychology. A Review of Professor Hansel's ESP: A Scientific Evaluation," *Journal of the American Society for Psychical Research*, 61, July 1967, 254-267. Stevenson points out that Hansel based his conclusions on an inaccurate diagram of Pratt's office.

Betty Marwick, "The Soal-Goldney Experiments with Basil Shackleton: New Evidence of Manipulation," *Proceedings of the Society for Psychical Research*, 56, 211.

E. Douglas Dean, "The Plethysmograph as an Indicator of ESP," *Journal of the Society for Psychical Research*, 41, 1962, 351-353.

E. Douglas Dean & Carroll B. Nash, "Plethysmograph Results Under Strict Conditions," *Sixth Annual Convention of the Parapsychological Association*, New York, 1963.

Charles T. Tart, "Possible Physiological Correlates of Psi Cognition," *International Journal of Parapsychology*, 5, 1963, 375-386.

Montague Ullman, Stanley Krippner, & Alan Vaughan, *Dream Telepathy*. New York: Macmillan, 1973. A valuable feature of this book is that, as in *ESP After Sixty Years*, the authors invited contributions from known critics of their work.

Stanley Krippner, Charles Honorton & Montague Ullman, "An Experiment in Dream Telepathy with The Grateful Dead," *Journal of the American Society of Psychosomatic Dentistry and Medicine*, 20(1), 1973.

John Palmer, *An Evaluative Report on the Current Status of Parapsychology*. Alexandria, VA: U.S. Army Research Institute for the Behavioral and Social Sciences, 1985.

Irvin L. Child, "Psychology and Anomalous Observations: The Question of ESP in Dreams," *American Psychologist*, 40(11), November 1985, 1219-1229.

Milan Ryzl, "A Method of Training in ESP," *International Journal of Parapsychology*, 8(4), Autumn 1966.

Charles Honorton, Significant Factors in Hypnotically-Induced Clairvoyant Dreams," *Journal of The American Society for Psychical Research*, 66(1), January 1972, 86-102.

Edward A. Charlesworth, "Psi and the Imaginary Dream," *Seventeenth Annual Convention of the Parapsychological Association*, New York, 1974.

Gertrude R. Schmeidler, "High ESP Scores After a Swami's Brief Instruction in Meditation and Breathing," *Journal of The American Society for Psychical Research*, 64(1), January 1970, 101-103.

Karlis Osis & Edwin Bokert, "ESP and Changed States of Consciousness Induced by Meditation," *Journal of The American Society for Psychical Research*, 65(1), January 1971, 17-65.

Emille Boirac, *Our Hidden Forces*, London: Rider, 1918.

D. Scott Rogo, *Parapsychology: A Century of lnquiry*. New York: Taplinger, 1975, p. 238.

Shiela Ostrander & Lynn Schroeder, *Psychic Discoveries Behind The Iron Curtain*, Englewood Cliffs, N.J. Prentice-Hall, 1970. pp. 37-40.

Charles Honorton & Stanley Krippner, "Hypnosis and ESP: A Review of the Experimental Literature," *Journal of The American Society for Psychical Research*, 63, 1969, 214-252.

Rex G. Stanford, "Altered Internal States and Parapsychological Research: Retrospect and Prospect," in D. H. Weiner & D. I. Radin (eds.), *Research in Parapsychology 1985*. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1986, pp. 128-131.

J. Gaither Pratt, *ESP Research Today*, Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1973. pp. 84-100.

Martin Gardner, *How Not to Test a Psychic*. Buffalo, NY: Prometheus, 1989.

H. Kanthamani & E. F. Kelly, "Awareness of Success in an Exceptional Subject," *Journal of Parapsychology*, 38(4), December 1974, 355-382.

Persi Diaconis, "Statistical Problems in ESP Research," *Science*, 201, 1978, 131-136.

Stanford Research Institute, news release, October 1974. See also Harold Puthoff & Russell Targ, "Information Transmission Under Conditions of Sensory Shielding," *Nature*, October 18, 1974.

Martin Gardner, "How Not to Test a Psychic: The Great SRI Die Mystery," *Skeptical Inquirer*, VII(2), Winter 1982-83, 33-39.

Charles Honorton & James C. Terry, "Psi-mediated Imagery and Ideation in the Ganzfeld: A Confirmatory Study," *Seventeenth Annual Convention of the Parapsychological Association*, New York, 1974.

Lendell W. Braud & William G. Braud, "The Psi Conducive Syndrome: Free Response GESP Performance During an Experimental Hypnagogic State Induced by Visual and Acoustic Ganzfeld Techniques," *Parapsychological Association Convention*, New York, 1974.

Charles Honorton. "Meta Analysis of Psi Ganzfeld Research: A Response to Hyman," *Journal of Parapsychology*, 49, 1985, 51-91.

Susan Blackmore, "The Extent of Selective Reporting of ESP Ganzfeld Studies," *European Journal of Parapsychology*, 3, 1980, 213-219.

Monica J. Harris & Robert Rosenthal, *Interpersonal Expectancy Effects and Human Performance Research*. Washington, DC: National Academy Press, 1988.

Susan Blackmore, "A Report of a Visit to Carl Sargent's Laboratory," *Journal of the Society for Psychical Research*, 54(808), July 1987, 186-198.

Adrian Parker & Nils Wiklund, "The Ganzfeld Experiments: Towards an Assessment," *Journal of the Society for Psychical Research*, 54(809), October 1987, 261-265.

Ray Hyman, "The Ganzfeld/Psi Experiment: A Critical Appraisal," *Journal of Parapsychology*, 49, 1985, 3-49.

Charles C. Honorton, Rick E. Berger, Mario P. Varvoglis, M. Quant, P. Derr, George P. Hansen, Ephriam Schechter, D. C. Ferrari, "Psi Ganzfeld Experiments using an Automated Testing System: An Update and Comparison with a Meta-Analysis of Earlier Studies." *Proceedings of Presented Papers, the Parapsychological Association 32nd Annual Convention*, San Diego, August 1989, pp. 93-109.

National Research Council, *Enhancing Human Performance: Issues, Theories, and Techniques*. Washington, DC:National Academy Press, 1988, p. 175.

Ray Hyman & Charles Honorton, "A Joint Communique: The Psi Ganzfeld Controversy," *Journal of Parapsychology*, 50, 1984, 353-354.

J. Gaither Pratt &#0; M. Price, "The Experimenter-Subject Relationship in Tests for ESP," *Journal of Parapsychology*, 1938, 84-94.

Charles Honorton, M. Ramsey, & C. Cabibbo, "Experimenter Effects in Extrasensory Perception," *Journal of the American Society for Psychical Research*, 69, 1975, 135-149.

Judith L. Taddonio, "The Relationship of Experimenter Expectancy to Performance on ESP Tasks," *Journal of Parapsychology*, 40, 1976, 107-114.

Adrian Parker, "A Pilot Study of the Influence of Experimenter Expectancy on ESP Scores," *Parapsychological Association Convention*, New York, 1974.

John Beloff & I. Mandelberg, "An Attempted Validation of the 'Ryzl Technique' for Training ESP Subjects," *Journal of the Society for Psychical Research*, 43, 1966, 229-249.

John Beloff & J. Bate, "An Attempt to Replicate the Schmidt Findings," *Journal of the Society for Psychical Research*, 46, 1971, 21-30.

John Beloff, "The 'Sweethearts' Experiment," *Journal of the Society for Psychical Research*, 45, 1969, 1-7.

Gertrude Schmeidler, *Parapsychology and Psychology*. Jefferson, NC: McFarland, 1988.

H. C. Berendt, "Parapsychology in Israel," in Allan Angoff & Betty Shapin (eds.), *Parapsychology Today: A Geographic View*. New York: Parapsychology Foundation, 1973. p. 68.

Gertrude R. Schmeidler & Robert A. McConnell, *ESP and Personality Patterns*. New Haven: Yale University Press, 1958.

John Palmer, "Scoring in ESP Tests as a Function of Belief in ESP. Part I. The Sheep-Goat Effect," *Journal of The American Society for Psychical Research*, 65, 1971, 373-408.

John A. Palmer, "Scoring in ESP Tests as a Function of Belief in ESP. Part I: The Sheep-Goat Effect," *Journal of the American Society for Psychical Research*, 65, 1971, 373-408.

J. E. Crandall, "Effects of Favorable and Unfavorable Conditions on the Psi-Missing Displacement Effect," *Journal of the American Society for Psychical Research*, 79, 1985, 27-38.

K. Ramakrishna Rao, "The Bidirectionality of Psi," *Journal of Parapsychology*, 29, 1965, 230-250.

Harvey J. Irwin, *An Introduction to Parapsychology*. Jefferson, NC: 1989. This is an introductory text, suitable for college classes. In particular, see the discussion on "The Bidirectionality of ESP: Psi-Missing."

B. K. Kanthimani & K. R. Rao, "Personality Characteristics of ESP Subjects," *Journal of Parapsychology*, 36, 1972, 56-70

John A. Palmer. "Attitudes and Personality Traits in Experimental ESP Research," in B. B. Wolman (ed.), *Handbook of Parapsychology*. New York: Van Nostrand Reinhold, 1977, pp. 175-201.

Gertrude Schmeidler, *Parapsychology and Psychology*. Jefferson, NC: McFarland, 1988.

Robert L. Morris, "The Concept of the Target," in L. A. Henkel & R. E. Berger, *Research in Parapsychology 1988*. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1989, pp. 89-91.

Martin Johnson, "A New Technique of Testing ESP in a Real-Life, High Motivational Context," *Journal of Parapsychology*, 37, 1973, 210-217. This study, however, was not actually designed to test Stanford's PMIR model.

Rex G. Stanford & Gary Thompson, "Unconscious Psi-mediated Instrumental Response and its Relation to Conscious ESP Performance," *Parapsychological Association Convention*, Charlottesville, Virginia, 1973

Rex G. Stanford, "Toward Reinterpreting Psi Events," *Journal of the American Society for Psychical Research*, 72, 1978, 197-214.

A. A. Foster, "Is ESP Diametric?" *Journal of Parapsychology*, 4, 1940, 325-328.

Helmut Schmidt, "A Quantum Process in Psi Testing," in J. B. Rhine (ed.), *Progress in Parapsychology*. Durham, NC: Parapsychology Press, 1973, pp. 28-35.

Helmut Schmidt, "A Quantum Mechanical Random Number Generator for Psi Tests," *Journal of Parapsychology*, 34, 1970, 219-224.

. Helmut Schmidt, "Precognition of a Quantum Process," *Journal of Parapsychology*, 33, 1969, 99-108.

Helmut Schmidt, "PK Tests with a High-Speed Random Number Generator," *Journal of Parapsychology*, December 1973, 105-118.

C. E. M. Hansel, "Critical Analysis of Schmidt's PK Experiments," *Skeptical Inquirer*, V(3), Spring 1981, 26-33.

Ray Hyman, "Further Comments on Schmidt's PK Experiments," *Skeptical Inquirer*, V(3), Spring 1981, 39.

J. E. Alcock, *A Comprehensive Review of Major Empirical Studies in Parapsychology Involving Random Event Generators or Remote Viewing*. Washington, DC: National Academy Press, 1988.

Charles Honorton & Diane C. Ferrari, "Future Telling -- A Meta-Analysis of Forced Choice Precognition Experiments, 1935-1987," *Proceedings of Presented Papers, the Parapsychological Association 32nd Annual Convention*, San Diego, August 1989, 110-121.

Charles T. Tart, "Information Acquisition Rates in Forced-Choice ESP Experiments: Precognition Does Not Work as Well as Present-Time ESP,"

Journal of the American Society for Psychical Research, 77(4), October 1983, 293-310.

Charles Honorton, "Precognition and Real-Time ESP Performance in a Computer Task with an Exceptional Subject," *Journal of Parapsychology*, 51(4), December 1987, 291-320.

Dean I. Radin. "Precognition of Probable Versus Actual Futures: Exploring Futures That Will Never Be," in D. H. Weiner & R. L. Morris (eds.), *Research in Parapsychology 1987*. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1988, pp. 1-5.

Harold E. Puthoff & Russell Targ, "A Perceptual Channel for Information Transfer over Kilometer Distances: Historical Perspective and Recent Research," *Proceedings of the Institute of Electrical and Electronics Engineers*, 64, 1976, 329-354.

Brenda J. Dunne, York H. Dobyns & S. M. Intner, *Precognitive Remote Perception III: Complete Binary Data Base with Analytical Refinements*. Technical Note PEAR 89002. Princeton, NJ: Princeton University School of Engineering and Applied Sciences, 1989.

حول تأثير العقل على المادة (PK):

Stephen E. Braude, *The Limits of Influence: Psychokinesis and the Philosophy of Science.* New York: Routledge and Kegan Paul, 1986, pp. ix-xii.

Sir William Crookes, "Experimental Investigation of a New Force," *Crookes and the Spirit World, op. cit.*, p. 24.

Sir William Crookes, "The Last of Katie King," in *Crookes and the Spirit World, op. cit.*, p. 138. A poignant, yet comical, story.

Sir William Crookes, "Spirit Forms," in *Crookes and the Spirit World, op. cit.*, pp. 135-6.

Harry Price, *Fifty Years of Psychical Research*. London: Longmans, Green and Company, 1939.

Soji Otani, "Past and Present Situation of Parapsychology in Japan," *Parapsychology Today: A Geographic View*, pp. 34-5.

J. Gaither Pratt, *ESP Research Today.* Metuchen, NJ: The Scarecrow Press, 1973, pp. 108-9. An insider's view of developments in psychic research.

Jule Eisenbud, *The World of Ted Serios.* New York: William Morrow, 1967, p. 332.

Sheila Ostrander and Lynn Schroeder, *Psychic Discoveries Behind the Iron Curtain.* New York: Prentice-Hall, 1969, p. 84.

J. Gaither Pratt and H. H. J. Keil, "First-hand Observations of Nina S. Kulagina Suggestive of PK Upon Static Objects," Parapsychological Association Convention, Charlottesville, Virginia, 1973.

H. H. J. Keil and Jarl Fahler, "Nina S. Kulagina: A strong Case for PK Involving Directly Observable Movements of Objects Recorded on Cine Film," Parapsychological Association Convention, New York, 1974.

Montague Ullman, "Report on Nina Kulagina," Parapsychological Association Convention, 1973.

Benson Herbert, "Report on Nina Kulagina," *Journal of Paraphysics*, 1970,

Andrija Puharich, *Beyond Telepathy*. New York: Doubleday, 1972.

Russell Targ and Harold Puthoff, "Experiments with Uri Geller," Parapsychological Association Convention, 1973.

H. H. J. Keil and Scott Hill, "Mini-Geller PK Cases," Parapsychological Association Convention, 1974.

Uri Geller, *My Story*. New York: Praeger, 1975. Geller's own account of his worldwide spoon-bending stir.

Wilbur Franklin, "Fracture Surface Physics Indicating Teleneural Interaction," *New Horizons, 2*(1), April 1975

W. G. Roll, "Poltergeists," in Richard Cavendish (ed.), *Encyclopedia of the Unexplained.* New York: McGraw-Hill, 1974,

A. R. G. Owen, *Can We Explain the Poltergeist?* New York: Taplinger, 1964.

Matthew Manning, *The Link.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1975.

Peter Bander, "Introduction," *The Link*. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1975.

Brian Josephson, "Possible Relations Between Psychic Fields and Conventional Physics," and "Possible Connections between Psychic Phenomena and Quantum Mechanics," *New Horizons, 1*(5), January 1975.

A. R. G. Owen, "A Preliminary Report on Matthew Manning's Physical Phenomena," *New Horizons, 1*(4), July 1974,

Joel L. Whitton, "'Ramp Functions' in EEG Power Spectra during Actual or Attempted Paranormal Events," *New Horizons*, July 1974, pp. 173-186.

Iris M. Owen and Margaret H. Sparrow, "Generation of Paranormal Physical Phenomena in Connection with an Imaginary Communicator," *New Horizons, 1*(3), January 1974, pp. 6-13.

K. J. Batcheldor, "Report on a Case of Table Levitation and Associated Phenomena," *Journal of the Society for Psychical Research, 43*(729), September 1966, pp. 339-356.

C. Brookes-Smith, "Data-tape Recorded Experimental PK Phenomena," *Journal of the Society for Psychical Research, 47*(756), June 1973, pp. 68-9.

Philip, The Imaginary Ghost. This film has been available for rent or purchase from George Ritter Films Limited in Toronto, Canada.

Iris M. Owen, "Philip's Story Continued," *New Horizons*, 2(1), April 1975.

Joel L. Whitten, "Qualitative Time-Domain Analysis of Acoustic Envelopes in Psychokinetic Table Rappings," *New Horizons*, April 1975.